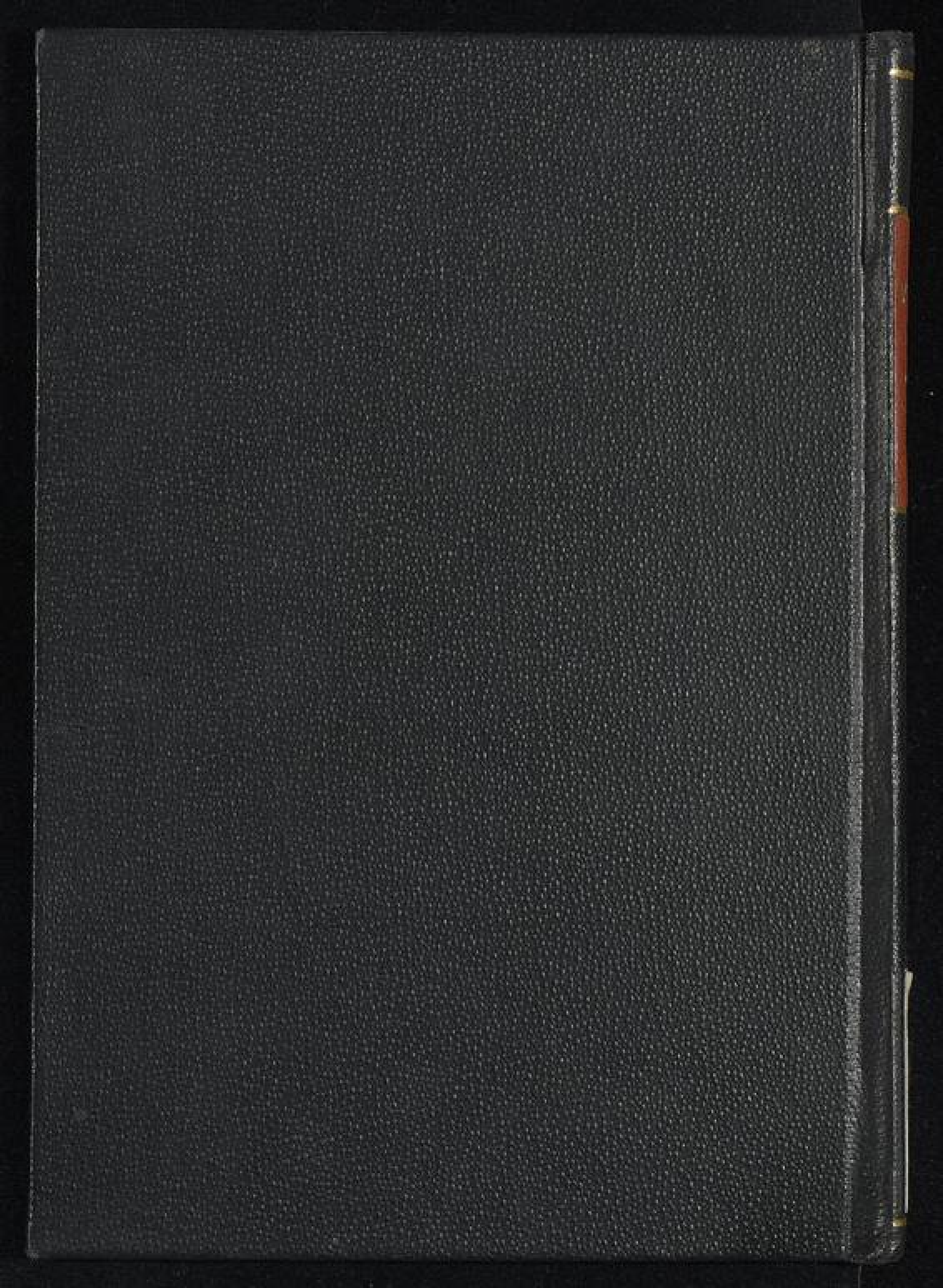
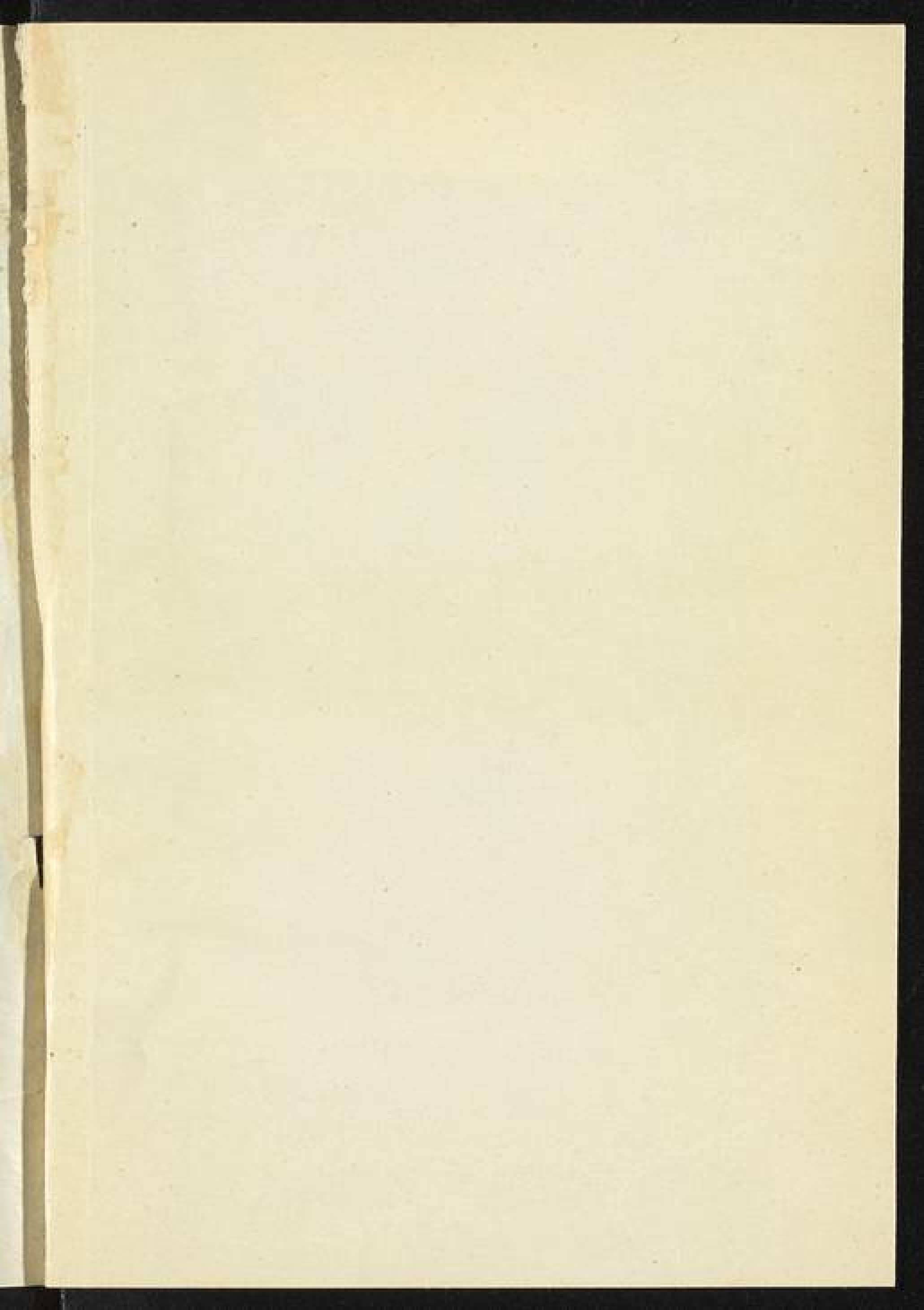






المفرد العلم في رسم القلم

تأليف

المرحوم السيد أحمد الهاشمى

مدير مدارس فؤاد الأول وولى العهد بالقاهرة

الطبعة السابعة عشرة : على حسب آخر برنامج قررته وزارة المعارف العمومية
لتلاميذ المدارس الابتدائية والأولية والمعاهد العلمية

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة حجازى بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن علم بالقلم ، وشكراً على ما أنعم به ورسم ، وصلاة وسلاماً على « المفرد العلم » سيدنا محمد سيد العرب والعجم ، وعلى آله وأصحابه وسائر إخوانه وأحبابه ،

(وبعد) فإن من أرفع العلوم وأعلاها ، وأنفس الفنون وأغلاها ، فن الرسم الذى طالما دُرست رسومه ، وصار كالهباء منثوراً رميمه ، حتى ولعت به حينا ، وأقمت على خدمته رهينا . فنظمت دره فى قلائد هذه الرسالة اللطيفة ، والتحفة المنيفة ، متحفا بها نجباء أبناء المعاهد العلمية . التى هى باهداء نفائس المؤلفات النافعة حرية ، اقتطفت ثمرتها من رياض كتب المتقدمين والمتأخرين ، فجاءت بحمد الله متخلية عما يشين ، متحلية بما يزين . وسميتها :

المفرد العلم فى رسم القلم

والله أسأل أن ينفع بها الطلاب ، ويفيد بها الكتاب . آمين

المؤلف

السيد أحمد الهاشمى

إليكم معشر الكتاب

أعلموا حفظكم الله أن مرتبة الكتابة هى من الأمور التى بسببها ظهرت من القوة إلى الفعل خاصة نوع الانسان ، وامتاز بها كمال الامتياز عن سائر الحيوان . ولذلك قيل : إن الخط أفضل من اللفظ ، لأن اللفظ يفهم الحاضر ، والخط يفهم الحاضر والغائب ولأن الكتاب يفعل مالا تفعله الكتائب (١) فلذلك كانت فضائل الخط جمة ، ومزيته لارتفاع درجة النوع الانسانى مُهمة ، وهو وسيلة لغيره من سائر العلوم العقلية والنقلية . والسبب فى توسيع دائرة المعيشة الدنيوية من الزراعة والتجارة ، والصناعة والأمارة وربما كان مَن تقدّم فى هذا العلم النفيس ومهر ، وعُرف بالجودة فيه واشتهر . يفوز بأعلى المراتب ، ويتزاحم على رِقّة رَقه المنشور وكتابه المسطور بالمناكب ، ويتقلد بمنصب الوزارة ، ويكون ممن عقد على أعلى المجد والشرف إزاره . فريدة عقد نظام الدولة ، المرجع إليه عند إظهار الصولة ونفوذ القولة . هذا الوزير أبو على محمد بن على بن مقلة قد مازه بعين نقده ، وابتدع فيه طريقة لم يظهر

---

(١) الكتائب جمع كتيبة . وهى الجيش المجتمع : والمراد أن الكتائب لاتفعل مع استلزامها للشافهة اللفظية ما يفعله الكاتب الرداع الزاجر .

مثلها من قبله ، ولا من بعده ، وتبعه فى ذلك المشروع المستطاب . على بن هلال المعروف بابن البواب . سالكا مسلكه ومنهجه . فهذب طريقته وكساها حلاوة وبهجة .

مقدمة

فى مبادىء علم الرسم

(١) علم رسم الحروف : هو قواعد اصطلاحية بمعرفتها يحفظ قلم الكاتب من الزيادة والنقصان .

(٢) وموضوعه : الهمزة والألف اللينة والكلمات التى يجب انفصالها من بعضها ، والتى يجب اتصالها ببعضها ، والحروف التى تبدل ، والحروف التى تزاد ، والحروف التى تنقص .

(٣) وثمرته : حفظ قلم الكاتب من الخطإ واللحن فى الرسم .

(٤) وحكمه : الوجوب الكفائى ، لما أن صنعة الكتابة واجبة على الكفاية كسائر الصناعات .

(٥) وفضله : احتياج كل علم إليه . ولاغنى له عنه ، لأن تدوين العلوم بأسرها و حفظها متوقف على الكتابة .

(٦) ونسبته إلى البنان : كنسبة النحو للسان ، والمنطق للجنان .

(٧) واستمداده من الأصول الصرفية والقواعد النحوية .

(٨) وواضعه علماء[1] البصرة والكوفة .

---

(١) والصحيح أن أول من خط بالعربى ، مرامر بن مرة كان يسكن لأنبار إلى أن ظهر علماء الكوفة واستغلوا باستنباط القواعد له فسمى بالخط الكوفى ، ثم تبعهم فى تدوين قواعده علماء البصرة ، ومن الأنبار انتشرت الكتابة فى العرب حتى جاء الإسلام فانتشرت فى مكة ، والمدينة ، وجميع البلاد التى افتتحها المسلمون، ثم جاء ابن مقلة فنقل الكتابة من الخط الكوفى إلى هذه الصورة ، وبعده ابن البواب .

واعلم أن الكتابة العربية قريبة الحدوث قبل الاسلام ، لأن العرب كانوا أهل حفظ ورواية ، أغناهم حفظهم عن الكتابة ، وكانت أشعارهم هى دواوين تواريخهم وضابطة لأيامهم وحروبهم ، وأما الشكل والنقط فحدثا بعد الاسلام ، والواضع لبعض الشكل أبو الأسود الدؤلى لما فشا اللحن باختلاط العرب بالعجم ، واصطلح على أن يكون الشكل نقطا فيدل على الفتحة بنقطة فوق الحرف ، وعلى الكسرة بنقطة تحته ، وعلى الضمة بنقطة عن شماله والسكون لا علامة له والتنوين بزيادة نقطة على نقطة الشكل ، غير أنها توضع بجانب أختها إن لم يكن بعد التنوين حرف حلق ، وفوق أختها إن كان بعد حرف حلق .

وأول من وضع النقط نصر بن عاصم ويحى بن يعمر تلميذا أبى الأسود غير أنهما كانا يرسمان نقط الشكل بمداد يخالف مداد النقط وقسما الحروف إلى مهملة : أى خالية من النقط، ومعجمة: أى مشتملة عليه وعلى ذلك كانت الحروف المهملة ثلاثة عشر ، وهى : ا ح د ر س ص ط ع ك ل م ه و

والمعجمة أربعة عشر وهى :

ب ت ث ج خ ذ ز ش ض ظ غ ف ق ن

والكتابة لغة : مصدر كتب إذا خط بالقلم ، وجمع وضم ، وخاط وخرز . وفى الاصطلاح : نقوش مخصوصة ذات أصول بها تعرف تأدية الكتابة بالصحة ، ويقال لها فن رسم الحروف ، وقد سموا هذا الفن بعلم الخط القياسى أو الاصطلاحى المخترع فى مقابلة خطين لا يقاس عليهما ، فالخطوط ثلاثة .

= أما الياء فمهملة فى الطرف معجمة فى الأول والوسط . وأول من وضع الشكل الذى ترسمه الآن هو الخليل فجعل للفتحة ألفا صغيرة مضطجعة فوق الحرف وللكسرة رأس ياء صغيرة تحته وللضمة واو صغيرة فوقه ، وكرر الحرف الصغير للتنوين فكتبه مرتين فوق الحرف رفعاً ونصباً وتحته جراً ووضع للسكون الشديد — وهو المصاحب للادغام — رأس سين مهملة وللسكون الخفيف رأس حاء مهملة وللهمزة رأس عين . ولألف الوصل رأس صاد فوقها . وللمد ميما صغيرة متصلة بجزء من الدال ، فمجموع ما وضعه الخليل ثمانى علامات (الفتحة والضمة والكسرة) مفردة ومكررة والسكون والشدة والمدة والصلة والهمزة وهذا شكلها

بَ ، بُ ، بِ ، باً ، بٌ ، بٍ ، بْ ، بّ ، أ ، آ ، أ

وكلها حروف صغيرة أو أبعاض حروف بينها وبين مدلولاتها مناسبة ظاهرة بخلاف طريقة أبى الأسود وأتباعها فانها مجرد اصطلاح لم ينبن على مناسبة بين الدوال والمدلولات

وقد تفنن أتباع الخليل بحذف جزء من رأس الياء المجعولة علامة للكسرة فصارت هكذا — وحذف رأس الميم من علامة المد فصارت هكذا ـ وأجازوا الضمتين أن تكتبا

الأول — خط المصحف ، ويكتب على ما رُسم فى مصحف الإمام وإن خالف القياس ، مثل اتصال التاء بحين فى قوله تعالى (ولاتحين مناص) ، فإن القياس يقتضى فصل التاء من حين ، لأن لات كلمة واحدة وحين كلمة أخرى .

ومثل قوله تعالى (فمال هؤلاء القوم ، ومال هذا الرسول ، وكل ما ألقى فيها فوج) ، فإن القياس عدم فصل الهاء من اللام ، وما من كل . وهكذا مما خالف القياس ، ولكنه سنة متبعة مقصورة على القرآن الشريف .

على الأصل هكذا ʺ أو ترد الثانية على الأولى هكذا ʺ أو تتصل بطرف الأولى مقلوبة هكذا ʺ وفى الكسرة مع الشدة أن توضع الكسرة تحت الشدة ، أو تحت الحرف هكذا بِّ ، بّ وفى الهمزة المكسورة أن توضع مع الكسرة تحت الألف هكذا إ أو توضع الهمزة فوق والكسرة تحت هكذا أِ ، وفى السكون أن يكون مدوراً هكذا ، أو حاء محذوفة العجز هكذا .

وهكذا التفنن فيما غاب عما ذكرناه هنا .

وقد جرى الكتاب على ترك الشكل فى الخطابات والصحف اليومية وما أشبه ذلك وعلى شكل ما يشكل فى كتب التأليف . وشكل الكتب المقدسة . وكتب تعليم الأطفال زيادة فى الاحتياط وخوفا من الخطأ

الثانى — خط العروضيين ، وهو على حسب الملفوظ به .

الثالث — الخط الاصطلاحى فى غير المصحف والعروض فانه ليس جارياً على اللفظ كما يجرى العروض ، فقد يحذف منه ما يثبت فى اللفظ ، وقد يزاد فيه ما لم يتلفظ به ، وقد يكتب حرف بدل آخر ككتابة بشرى بالياء ، واللفظ بالألف ، وككتابة لنسفعاً وليكوناً وإذاً بالألف ، واللفظ بالنون ، وككتابة مثل أو ممن المبنى للمجهول بالواو ، ولفظه فى الدرج بالهمز وغير ذلك مما سنبينه :

وهذا القسم الأخير هو الذى سنكتب على حسب أصوله وينحصر فى ثمانية أبواب .

الباب الأول

في الهمزة ، وفيه ستة مباحث

المبحث الأول

في الهمزة التى تُرسم ألفاً فى أول الكلمة

الهمزة التى فى أول الكلمة حقيقة [1] تُرسم ألفاً مطلقاً سواء

(١) بخلاف الهمزة التى فى أول الكلمة حكماً ، وهى الهمزة التى دخلت عليها همزة الاستفهام أوها التنبيه أو اسم زمان أو لام مفتوحة ، فتكتب حرفاً من جنس حركتها نفسها نحو هؤلاء — يومئذ — حينئذ — وقتئذ — صبيحتئذ .

أكانت همزة قطع (١) أو همزة وصل (٢) مضمومة ، أو مفتوحة ، أو مكسورة ، مثل اسم — أب — أخ — أخت — أم — إمام — أكرم — إكرام — اسكت .

= ليلتئذ - ساعتئذ - قبلئذ - بعدئذ - لأنت أعلم الناس - لئن لم تنتهوا - أئذامتنا - أئن ذكرتم - أئنك لأنت يوسف - أئنكما أدعيت هذا المدعى - أئنك إذا لست بمن وعى - أؤنبئكم - أأسجد - أؤنزل .

هذا إذا لم تكن الهمزة التى فى أول الكلمة همزة وصل فان كانت همزة وصل فتحذف إذا دخلت عليها همزة الاستفهام نحو أصطفى البنات على البنين. ونحو أشتريت هذا . واعلم أنه لا يخرج الهمز عن كونها أول الكلمة سين المضارعة نحو سأكرم الضيف ولا أل والفاء وباء الجر وتاؤه وكافه ولامه ولام التعليل ولام القسم ولام الابتداء والواو

وإن دخلت عليها اللام المكسورة تبقى على حالها نحو لأنك تقول الحق — لإيلاف قريش إيلافهم - هذا إذا لم تكن اللام المكسورة داخلة على أن المصدرية الواقع بعدها لا النافية . فان كانت داخلة على المصدرية الواقع بعدها لا النافية كتبت همزة الكلمة ياء نحو لئلا يعلم أهل الكتاب ونحو لئلا يكون عليك حرج.
وإن دخلت عليها همزة الوصل فان كانت مضمومة كتبت همزة الكلمة واوا نحو أوتمن الرجل . وإن كانت همزة الوصل مكسورة كتبت همزة الكلمة ياء نحو إيتزر - إيت إيتمن - إيتمر - إيتاما - إيتزرا - إيتمانا - إيتمارا . مالم يتقدم الهمزة الأولى فى الماضى والأمر فاء أو واو . فان سبقها ذلك وأمن اللبس حذفت الأولى . ورسمت الثانية ألفاً لحلولها محلها نحو فأتمن وأتوا جميعا.

(١) هى التى ينطق بها فى الابتداء والوصل مثل أكرم وأجاب

(٢) هى التى تثبت فى التلفظ إذ وقعت فى ابتداء الكلام =

المبحث الثانى

فى الهمزة التى ترسم ألفاً فى وسط الكلمة

الهمزة التى فى وسط الكلمة تكتب ألفاً فى ثلاثة مواضع :

(١) إذا كانت ساكنة بعد فتح كرأس ، كأس ، بأس .
رأى ، طمأنينة ، يأمر ، مأرب ، وأمر ، فأت .

(٢) أو كانت مفتوحة بعد فتح كسأل ، متأمل ، نأى ، الحدأة ، يتأخر ، اتأد اشمأز ، قرأ يقرآن سآمة .

(٣) أو كانت مفتوحة بعد حرف صحيح[1] ساكن نحو : مرأة ، مسألة ، ينأى ، ملأى ، جزأين ، بطأين ، دفأين ، يسأل ، يرأس ، يدأب ، نشأة ، فجأة .

= وتسقط فيه إذا جاءت أثناءه مثل استخراج — وكذا إن مدت مفتوحة كتبت ألفا عليها مدة مثل آخذ — آمر — آثر — آمن .

(١) وإن كان الساكن معتلا بالألف أو الواو كتبت مفردة نحو تساءل ودناءة وسموءل ومروءة وضوءان — ومثلها المضمومة والمفتوحة بعد واو مشددة نحو تبوءك فى حالتى الرفع والنصب — وإن كان الساكن معتلا بالياء كتبت الهمزة على نبرة نحو شيئان — إلى آخر ما سيأتى وإن وقع بعدها ألف للتثنية أو للفاعل أو للتنوين يرسم مفردة إن لم يمكن اتصال ما قبلها بما بعدها وترسم على نبرة إن أمكن . والواو المشددة قبل الهمزة كالواو الساكنة نحو التبوء .

المبحث الثالث

فى الهمزة التى ترسم واواً فى وسط الكلمة

الهمزة التى فى وسط الكلمة تكتب واواً فى خمسة مواضع :

(١) إذا كانت ساكنة بعد ضمّ كلؤلؤ ، يؤمن ، سؤْل ، لؤم ، رؤية ، سؤر ، أؤمن ، مؤلم ، بؤس .

(٢) أو كانت مفتوحة بعد ضم كمؤلّف ، سؤال ، رؤال ، يؤجل ، مؤجل ، مؤامرة ، مؤوّل ، الزؤام .

(٣) أو كانت مضمومة بعد سكون كأرْؤس ، التفاؤل ، هاؤم ، يلؤم ، التضاؤل ، التثاؤب ، التشاؤم .

(٤) أو كانت مضمومة بعد فتح ولم يقع قبلها ولا بعدها حرف لين أو مدّ نحو : قوم يؤمّ ، لؤم أوؤلق ، أؤوّل .

(٥) أو كانت مضمومة بعد ضم نحو نؤم وشؤن[١] .

---

(١) جمعى نؤوم وشأن . إلا إذا وقع بعدها واو فانها ترسم مفردة إن لم يمكن اتصال ما قبلها بما بعدها كرؤوف وعلى نبرة إن أمكن ككئوس ويستثنى من ذلك : ما يلتبس بغيره كشؤون وسؤول فان الهمزة ترسم على واو بعدها واو كما سيأتى

ملخص

الهمزة المتوسطة ترسم واواً فى موضعين :

الأول — إذا كانت مضمومة وما قبلها مفتوح أو مضموم أو ساكن .

الثانى — إذا ضم ما قبلها وهى مفتوحة أو ساكنة .

المبحث الرابع

فى الهمزة التى ترسم ياء فى وسط الكلمة

الهمزة التى فى وسط الكلمة تكتب ياء فى سبعة مواضع :

(١) إذا كانت مضمومة بعد كسر كمئون ، فئون .

(٢) أو كانت مفتوحة بعد كسر كفئة ، رِئة ، ناشِئة[1] .

(٣) أو كانت ساكنة بعد كسر كبئر ، بِئس ، ذِئب .

(٤) أو كانت مكسورة بعد كسر كمئين ، فئين ، ابطئى .

---

(١) ويزاد قبل الياء الف فى مائة ومائتين . واعلم أن الهمزة المشددة كالهمزة المتحركة بعد متحرك مثل ترأس — ترؤساً — رئيس — مترئس — سؤال ، وفى مثل هكذا تكتب الهمزة والشدة خوف اللبس

(٥) أو كانت مكسورة بعد ضم كسُئل ، دُئِل ، رُئِىَ

(٦) أو كانت مكسورة بعد فتح كمطمئن ، يَئِنّ ، ضئيل

(٧) أو كانت مكسورة بعد سكون مطلقاً صحيحاً أو معتلا — كأسئلة ، مسائل ، أفئدة ، وُضُوئى ، ضَوْئى .

ملخص

الهمزة المتوسطة ترسم ياء فى موضعين :

الأول : إذا كسرت وقبلها فتح أو كسر أو ضم أو سكون .

الثانى : إذا كسر ما قبلها وهى مفتوحة أو مضمومة أو ساكنة

المبحث الخامس

فى الهمزة التى ترسم مفردة فى وسط الكلمة

الهمزة التى فى وسط الكلمة تكتب مفردة بدون أن تصوّر بحرف فى موضعين :

الأوّل — إذا كانت مفتوحة وقبلها حرف مدّ أو لين ساكن[١]

كتفاءل ، السموءل ، جزاءان ، جزاءين ، قراءات .

الثانى — إذا وقع بعدها حرف مد نحو سوءى ، مرءوس ،

رءوس ، رءوف ، إسرائيل ، جبرائيل ، الجاءى ، رءيس[٢] .

أمثلة على أحوال الهمزة المتوسطة

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً ، أوليصمت . تاج المروءة التواضع ، لولا أن المروءة صعب محملها ، لما ترك أصحاب اللؤم للكرام منها شيئاً ، ليس من المروءة أن تكون أوانيك من الذهب والفضة ، وجارك طاوٍ ،

---

(١) إلا إذا كانت الهمزة واقعة بعد ياء ساكنة مثل جيئل «للضبع» وخطيئة ومشيئة وبطيئين ورديئة ودنيئة وشيئان فيرفع لها نبرة تركز عليها الهمزة حتى لا تفصل حروف الكلمة من بعضها كما فعلوا ذلك فى مسئول ومشئوم وفئوس ومئون وكئوس وفئون

(٢) وبعضهم يرسم همزة الألفاظ الأربعة الأخيرة وماشا كلها على ياء بعد ياء . كالنسائى ، النائى ، عزرائيل ، ميكائيل ، رئيس .

وغيرك عار ، المروءة أنك لاتعمل عملا فى السر تستحى منه فى العلانية كفر النعمة لؤم وصحبة الأحمق شؤم ، الحكمة ضالة المؤمن فخذها ولو من أهل النفاق ، المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، الطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار عجز ، نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع ، رب رأي أنفع من مال ، وحزم أنفع من رجال . لن يهلك العبد حتى يؤثر شهوته على دينه ، لا تمار سفيهاً ولا حليما ، فإن السفيه يؤذيك ، والحليم يقليك ، لا تمنع العلم أهله فتأثم ، بالعدل والإنصاف تكون مدة الائتلاف ، المزاح يورث الضغائن ، من لا يعرف الخير من الشر فألحقه بالبهائم ، من استبد برأيه خفت وطأته على أعدائه . لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده ، فان الناس لا يسألون فى كم فرغ منه ، بل ينظرون إلى إتقانه وجودة صنعه ، أدب المرأة مذهبها لا ذهبها ، وضاءة النفوس أنضر من وضاءة الأجساد ، لا تكن حاطباً فى حبلك وموقداً ناراً ضوءها لغيرك ، الحلم والأناة توءمان ينتجهما علو الهمة ، من طلب من لئيم حاجة ، فكمن طلب السمك فى المفازة ، الناس يرونك بقدر تصويرك لنفسك ، فان أعززتها رئيت عزيزة ، وإن أهنتها رئيت مُهانة ، من كثر كلامه كثر خطؤه ، ومن كثر خطؤه قل حياؤه ، من طاب منشؤه حسن مبدؤه ، من أخذ

كتابا يقرؤه وأتم قراءته ، فقد ذهب ظمؤه . إياك والسآمة فى طلب الأمور ، فتقذفك الرجال خلف أعقابها . ليس كل طالب يصيب ، ولا كل غائب يؤوب . كلكم راع ومسؤول عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل فى أهله راع وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسؤولة عن رعيتها ، والخادم فى مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته . كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله :

إذا أنت حملت الخؤون أمانة　　فإنك قد أسندتها شر مسند

قال أبقراط : « نحن نأكل لنعيش لا نعيش لنأكل » .

المبحث السادس

فى الهمزة التى فى آخر الكلمة ولها أربع حالات

الحالة الأولى : تكتب ألفا إذا كان ما قبلها مفتوحا نحو قرأ ملجأ . صدأ . يملأ يتبوأ . مهيأ عبأ الجيش .

(تنبيه) إذا اتصل بالهمز المتطرفة تاء التأنيث أو ضمير الرفع المتحرك كان حكمها كحكم الهمزة المتوسطة حقيقة نحو قرأت فاطمة وظمئت . واعلم أن كل همزة صورت ياء لا تنقط مطلقا .

الحالة الثانية : تكتب واواً إذا كان ما قبلها مضموما نحو لؤلؤ ، التواطؤ . التباطؤ . هزُؤ . وضُؤ .

الحالة الثالثة : تكتب ياء إذا كان ما قبلها مكسوراً نحو منشئ . برِئ . مبتدئ . قارئ . لم يجئ .

ففي هذه الأحوال الثلاثة ترسم على حرف من جنس حركة ما قبلها .

الحالة الرابعة : لا تصوَّر الهمزة بحرف من الحروف الثلاثة بل توضع القطعة فى محلها وذلك فى موضعين :

(١) إذا كان ما قبلها ساكنا مطلقاً سواء أكان صحيحا أو حرف علة كجزء . جزاء . بسوء . بُطء . ملْء . صفاء . هناء . عزاء . يضىء . دنىء . جرىء . يجىء . برِىء .

(٢) إذا كان ما قبلها واواً مشددة مضمومة كالتبوُّء .

أمثلة على أحوال الهمزة المتطرفة

ينبغى للمرء أن تكون ثقته فى الشدائد بإخوانه وذوى قرابته ، وفى العهد والذمة بأهل الصدق ، وفى المسكن بالمرأة الصالحة ،

وعند الموت بما قدّم من الحسنات . ضربة الناصح خير من تحية الشانئ. أشد البلاء تأمُّر الكرماء على اللؤماء . إنى لأعجب من الناس حيث مكّنهم الله من الاقتداء بالملائكة ثم هم يميلون إلى الاقتداء بالبهائم . اصطناع المعروف يقى مصارع السُّوء . خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت : قال أبقراط « داو كل امرىء مريض بعقاقير أرضه ، فان الطبيعة تتطلع إلى أهوائها ، وتميل إلى غذائها » لا تكن كالذُّبالة تضىء للناس وهى تحترق . ثوب العارية لا يدفىء ، وإن أدفأ لا يدوم الطمع مطيّه سوء من ركبها ذلّ ، ومن صحبها ضلّ سفير السوء يفسد ذات البين . وحدة المرء خير من جليس السُّوء . الخلق السىء يفسد العمل كما يفسد الخلّ العسل ، الحق ثقيل مرىء ، والباطل خفيف وبىء هلك امرؤ لم يعرف قدر نفسه . المرء مخبوء تحت طى لسانه . لا تحت طيلسانه . لأن يخطىء القاضى فى العفو : خير من أن يخطىء فى العقوبة ، الدليل على الحمق ، إعجاب المرء بنفسه . كرم المرء دينه ، ومرُوءته عقله ، وحسبه خُلقُه . رُبّ موت يجىء من طلب الحياة . المرء توّاق إلى ما لم ينل . أحبُّ شىء إلى الانسان ما مُنع لا وفاء لمن ليس له حياء .

قال عليه الصلاة والسلام : « مَن أمَّن رجلا على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل ولو كان المقتول كافراً » .

مفردات

قرء . ضوء . مسيء . نداء . نوء . دفء . ملء محبيء .

تنبيهــــات

الأوَّل — كل همزة مضمومة غير مكسور ماقبلها و بعدها واو ساكنة تحذف صورتها مثل رءوس ، مسئول[1] كشوس فئوس يبدءون اقرءوا . مرءوس رءوف .

الثاني — كل همزة مفتوحة بعدها حرف مد من جنسها تحذف صورتها مثل مرآة وقرآن ورآسة إلا مع ألف الاثنين فلا تحذف نحو قرأا . بدأا . يبرأان . لم يقرأا . يقرأان . وإن كان ماقبلها ألفاً تكتب مفردة ، نحوهما جاءا ، وإن كان بعدها ألف المثنى الحرفية ، فان سكن ما قبلها كتبت مفردة إن كان ماقبلها لا يتصل بما بعدها ، نحو قرءان (مثنى قرء) وإن كان يتصل به تكتب على نبرة نحو بُطئان وإن تحرك

(١) يستثنى . سؤول . شؤون . صؤون . فؤول . لؤوم . نؤوم . يؤوب . يؤوس . يؤول . تؤود فتكتب الهمزة على واو منعا لالتباس هذه الكلمات العشر بغيرها إن رسمت بواو واحدة .

ما قبلها ، فان كان مكسوراً أو مضموما تكتب على حرف مناسب لحركته نحو : ملجئان واؤاؤان ، وإن كان ما قبلها مفتوحا تقلب مدة نحو مبدآن :

الثالث — كل همزة مكسورة بعدها حرف مدّ من جنسها غير ياء مخاطبة أو تكلم أو نسب قد تحذف صورتها مثل اسراءيل . جبراءيل : الجاءى ، رءيس — ويصح رسم الهمزة على نبرة هكذا — إسرائيل ، جبرائيل ، ميكائيل ، رئيس — كما سبق .

الرابع — كل همزة فى أول الكلمة جاء بعدها مدٌ من جنسها تكتب كما ينطق به نحو ائتمر ، اؤمر ، إلا الألف فانها تكتب مدًا مثل آخذ ، وإن سُبقت الهمزة غير المفتوحة بالواو أو الفاء حذفت همزة الوصل ورُسمت همزة الكلمة على ألف مثل وأمر أهلك ، وأتونى بأهلكم أجمعين فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ منهم .

الخامس — الهمزة المشددة تعطى حكم الهمزة المتحركة بعد متحرك نحو ترأس ، ترؤّساً ، مترئس ، رئّيس ، كما سلف .

السادس — إذا اجتمع همزة ومدة وشدة حذفت الهمزة ويكتفى فى الكتابة بالمد والشدة نحو (لآّل) أى بائع اللآلىء ، وإذا اجتمعت همزة وشدة كتبتا معا نحو الترؤّس .

السابع — همزة الوصل لا توضع على الألف ولو ابتدىء بما هى فى أوّله ، لأن الهمزة من الشكل ، والشكل يتبع الوصل لا الوقف والابتداء ، وهمزة القطع توضع على الألف ، فان كانت مكسورة وضعت الكسرة تحت الألف للتفرقة بين المكسورة وغيرها ، ومثل ذلك إذا كان الحرف مشدداً بأن كان مكسوراً وضعت الكسرة تحت الحرف والشدة فوقه .

وأما الهمزة المتوسطة فتوضع فوق الألف أو الواو أو الياء .

تطبيقات عملية على أحوال الهمزة

١ — بسم الله مبدئى ومن العدم مُنْشِىء

نستفتح الإملاء بحمد بارىء هذه الكائنات ، ومُنشىء هؤلاء المخلوقات ، ومُبــدع الأرض والسموات الرحمن الرحيم . العلىّ الأعلى جل شأنه ، وتقدست أسماؤه ، وله الشكر على آلائه التى لا تحصى ونعمائه التى لا تُستقصى ، ونصلى ونسلم على خاتم أنبيائه الذى أدبه رُبه فأحسن تأديبه . ونشأ على أكمل الفضائل الحسنى من مَبدإ صباه حتى بلغ من ذُرا الكمالات كل ما يتمنّاه . صلى الله عليه وعلى

آله أولى الهدى . وأصحابه نجوم الاهتداء ، المتلألىء نور هداهم فى الأرض والسماء . أصحاب المآثر الغراء ، والشيم الشماء . غرسوا الإيمان فى أفئدة المؤمنين ، الناءين عن سوء البؤس وشؤم دناءة الأدنياء ، وبذاءة لؤم اللئام . فخلوا من بعدهم بضياء الهدى ، وبلآلىء التقوى ، وتمسكوا بالسبب الأقوى ، ففازوا بأعلى درجات الكمال .

٢ — الأدب

الأدب : كلمة جامعة لمحاسن الأفعال ، وأحاسن الأقول ، وهو أكرم الخصال ، ورافع الاحساب ، به يحصل المرء على الرغائب الجليلة ، ويتوصل إلى نجاح المقاصد الجميلة : يرفع العبد المملوك ، ويجلسه فى مجالس الملوك : كما روى أن رجلا قال لبعض العقلاء (وقد كان لايحب زينة ثيابه) مالك لا تجمل الملبوس ، وإن زينة الثياب تدلّ على حسن العقل .

لكل شىء زينة فى الورى　　　وزينة المرء تمام الأدب

قد يشرف المرء بآدابه　　　فينا وإن كان وضيع الحسب

فقال له العاقل : ما صدقت ، إنما يرفع المرء أدبه وعقله لا حيلته ولا حلته . قاتل الله أمرأ يرضى ان ترفعه هيئته وجماله .

٣ ـ ثمرة الادب

ينبغى للمرء أن يحترم الكبير ، ويعطف على الصغير ، وأن يعامل من هو مساو له بما يحب أن يعامل به نفسه ، وأن يمتثل رئيسه بصفته مرءوساً له ، وأن يكون حسن الألفاظ والاشارة ، متباعداً عن دنىء الكلام . وأن يحفظ لسانه عن الفضول فى الحديث ، فلا يتكلم بما لا يعنيه ، ولا يدخل فيما لا يرضيه وأن يكون بشوشاً لا يستهزىء بأصدقائه ، ولا يزدرى بأقرانه ، وألا ، يكون فظا غليظا ، وأن يتباعد عن اللؤم والحقد والحسد ، وألا يمدح نفسه وأن يكون حميد الفعال ، حسن المعاشرة كريم الخلق متواضعاً ذا تؤدة فى شؤونه ، صدوقاً صموتاً .

٤ ـ آداب المجالسة

إذا جلست فأقبل على جلسائك بالبشر والطلاقة ، وليكن

مجلسك هادئا ، وحديثك مرتبا واحفظ لسانك من خطئه ، وهذّب ألفاظك ، والتزم ترك الغيبة ، ومجانبة الكذب والعبث بأصبعك فى أنفك وكثرة البصاق ، والتمطى والتثاؤب والتشاؤم ولا تكثر الاشارة بيدك ، واحذر الايماء بطرفك إلى غيرك ، ولا تلتفت إلى من وراءك . فمن حسنت آداب مجالسته ، ثبتت فى الأفئدة مودّته . وحسنت عشرته ، وكملت مروءته .

٥ ـ معاوية وعبد الملك بن مروان

المرء بأدبه لا بحسبه

ورد أن عبد الملك بن مروان استأذن على أمير المؤمنين معاوية فى الدخول ، فأذن له ، ثم سلم عليه وجلس ، وبعد أن فرغ من حديثه ، قام وانصرف . فقال معاوية : ما أكمل أدب هذا الفتى ! فقال بعض الحاضرين : نعم يا أمير المؤمنين لقد أخذ بأخلاق أربعة ، وترك أخلاقا أربعة : أخذ بأحسن البشر إذا لقى ، وبأحسن الحديث إذا حدّث ، وبأحسن الاستماع إذا حُدّث ، وبأحسن الوفاء إذا وعد . وترك مزاح من لا يثق بعقله ، وترك مجالسة من لا يرجع إلى الحق ،

وترك مخالطة من لا أدب عنده ، وترك من القول والعمل كل ما يُعتذرُ منه .

إن أنت جالست الرجال ذوى النهى
فاجلس إليهم بالكمال مؤدبا
واسمع حديثهم إذا هم حدثوا
واجعل حديثك إن نطقت مهذبا

٦ — فضل العقل

العقل : قوة لطيفة درّاكة ، أودعها الرءوف الرحمن فى المرء ، بها يفرق بين الحق والباطل ، وبها يميز الخطأ من الصّواب ، والعقل يميل بصاحبه إلى الحسنات ، ودرء السيئات . ويعرض به عن رذائل الأعمال ، ويرغبه فى ابتداء صنائع المعروف ، ويبعده عما يكسبه عاراً ، ويورثه شناراً ، وقد قيل لبعض الحكماء بم يُعرف عقل المرء ! فقال : بقلة سقطه فى كلامه ، وكثرة إصابته ، فقيل : فان كان غائباً . فقال : بأحد شيئين : إما برسوله ، وإما برسالته . فأما

رسوله ، فهو قائم مقام نفسه ، وأما رسالته . فتصف نطق لسانه وبها يعرف قدر عقله

إذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه

٧ — العلم

إن العلم للنفس الانسانية كمال تتحلى بفضائله ، وهو نور العقل وسراج القلب . به تنال الشرف ، وتكتسب الفخر ، وكم من وضيع الأصل ، عديم الحسب تعلم العلوم فصار جليل الذكر ، عالى القدر ، معروفاً عند الوجهاء والأمراء ، محترماً فى مجالس الملوك والوزراء ، تعظمه الناس ، فإذا أقبل عليهم قاموا إليه ، وإذا جلس يجلسون بين يديه وإذا انصرف عنهم أثنى الجميع عليه .

٨ — المأمون وإبراهيم المهدى

اطلب العلم من المهد إلى اللحد

روى أن إبراهيم بن المهدى دخل على المأمون وعنده جماعة يتذاكرون فى مسائل من العلم فقال : يا هذا ، هل لك معرفة بما يقول

هؤلاء ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، شغلونا فى الصغر ، واشتغلنا فى الكبر ، فقال المأمون : لِمَ لم تتعلم اليوم ؟ فقال : أو يحسن بمثلى طلبُ العلم ؟ فقال : نعم ، والله لأن تموت طالباً للعلم ، خير من أن تعيش قانعاً بالجهل ، قال : وإلى متى يحسن طلب العلم ؟ قال : ما دامت بك الحياة :

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافل

٩ ـ الاجتهاد

الاجتهاد : أساس نجاح الأعمال ، والوسيلة إلى ارتقاء درج الكمال ، فينبغى للعاقل إذا أراد أن يشرع فى أى عمل تعود عليه منفعته ، أن يجتهد فيه ، وألا يقدّم غيره من الأعمال عليه ، وأن يبذل طاقته ومجهوده فى حصوله ، وألا يؤخّر عمل يومه إلى غده ، لا يلهيه عنه دواعى الملاهى ، ولا يثنيه عن المواظبة والعكوف عليه ثناه ، حتى تظهر الثمرة المرغوبة ، وتبين الفائدة المطلوبة ، والحذر من فتور الهمة بعد نشاطها ، ومن تثبيط العزيمة بعد انبعاثها ، فإن

ذلك مما يجلب التأخر بعد الأخذ فى أسباب الصلاح ، والرجوع إلى ما وراء بعد التقدم والنجاح .

١٠ — الملك والصانع المجتهد

أمس لا يردُّ وغداً ليس فى اليد

يُروى أن ملكا من الملوك ركب فى موكب عظيم ، فخرجت الناس أفواجاً ينظرون إلى هذا الملك فى زينته ، حتى مرَّ بامرىء يصنع شيئاً موجِّهاً فكره إليه غير مُلتفت إلى الملك لينظره ، فوقف الملك عليه يتعجب من هيئته ، وقال له مستطلعاً أفكاره : كل هذه الفئة تنظر إلى الموكب إلا أنت ، فنهض ذلك المرء قائلا : يأيها الملك أدام الله ملكك ، إنى رأيت الأيام تمرُّ مرَّ السحاب ، وما رأيت أنفع ولا أبقى لابن آدم من عمل ينتفع به فى حياته ، وتنتفع به الناس بعد مماته ، فها أنا أبذل فى جميع أعمالى كل جهدى ، ولا أؤخر عمل يومى إلى غد ، ولا أشتغل بما لا بقاء له ولا فائدة فيه . فاستحسن الملك عقله ، وأثنى عليه وانصرف .

١١ - سليمان بن عبد الملك والأعرابى الفصيح

لا تخش فى الحق لومة لائم

يُقال إن سليمان بن عبد الملك كان مَهيباً ، لا يجرؤ امرؤٌ أن يكلمه . وكانت وزراؤه قد استأثروا بشؤون أغضبت العامة . فدخل عليه أعرابى فصيح اللسان شديد العارضة ، جرىء الفؤاد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنى مكلمك بكلام فاحتمله إن كرهته ؛ فإن وراءه ما تحب إن قبلته . قال : هات يا أعرابى . قال : سأطلق لسانى بما سكتت عنه الألسنُ أداء لحق الله وحق أمانتك . إنك قد أحاطت بك وزراء اشتروا دنياك بدينهم ، ورضاك بسُخط ربهم ؛ خافوك فى الله ، ولم يخافوا الله فيك . فلا تصلح دنياك بفساد آخرتك . فقال له سليمان : أما أنت فقد نصحت إلا أنك جردت لسانك فهو سيفك . فقال : أجَلْ يا أمير المؤمنين ، هو لك لا عليك :

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده

فلم يبق إلا صورة اللحم والدّم

١٢ – حسن الخلق

حسن الخلق : أن يكون المرء لين الجانب ، طلق الوجه ، قليل النفور ، طيّب الكلمة ، تدوم بين الشعب محبته ، وتتأكد مودّته ، وتقال عثرته ، وتهون زلّته ، وتغتفر ذنوبه ، وتستر عيوبه . فإذا حسُنت أخلاق الانسان كثر مصافوه ، وقل معادوه ، وتسهّلت إليه الأمور الصّعاب ، ولانت له الأفئدة الغضاب : ومن ساءت أخلاقه ، ضاقت أرزاقه ، والناس منه فى شؤم وبلاء ! وهو من نفسه فى تعب وعناء ، وأما من ألانَ للخلق جانبه ، واحتمل صاحبه ، ولطفت معاشرته ، وحسنت محادثته ، مال إليه الخلق ، واتسع له الرزق ، وهو من نفسه فى راحة ! والناس منه فى سلامة ، وأدرك المطلوب ، ونال كل أمر محبوب :

إذا لم تتسع أخلاق قوم   تضيق بهم فسيحات البلاد

١٣ – المروءة

المرُوءة : صفة جامعة لصفة الكمال ، حاوية لمحاسن الخصال ،

وسجيّة جُبلت على التّخلّق بها ذوُو النفوس الزكية ، وشيمة طُبعت على حبها أولو الهمم العلية . وأعظم فضائلها منفعة تعود على بنى الانسان مثل مواساة الإخوان وإغاثة الملهوف . وإغاثة الضعيف وحفظ العهد ! والوفاء بالوعد . والتعفّف عن الحرام . والتخلق بأخلاق الكرام ومودة القربى ! وصلة الارحام ، وقضاء حوائج الناس ! والانصاف فى الحكم ، والكفّ عن الظلْم .

١٤ - الإخاء

ينبغى للانسان ألا يتخذ من إخوانه إلاّ من اختبر شؤونه قبل إخائه ، وكشف عن أخلاقه قبل اصطفائه . فمن وجده محمود الطبائع مرضىّ الأفعال محبًّا للخير ، آمراً به . كارهاً للسُّوء وللشر نائيا عنه حافظا لعهده ، ذاكراً لوده . اتخذ صديقاً وحبيبا ورفيقا . وليحذر المرء مصاحبة الأشرار اللئام . فان مودة الدنىء الشرير تكثر الأعداء : وتفسد الأخلاق . ولاخير فى مودة تجلب عداوة . وتورث مذمة فالعاقل يجب عليه أن يصطفى من الاخوان ذا الدين والحسب . والرأى والأدب . فانه يكون مساعدا له على نوائب الدهر . وعونا له على حاجته .

١٥ ـ الوزير المهلبي وعبد الله

مقابلة الاحسان بالاحسان ، وكما يَدِين المرء يُدان

قيل إن الوزير المهلبي سافر قبل أن يتولّى الوزارة ، فلحقه فى سفره عبء شديد بسبب فقره وضيق حاله وقد صحبه امرؤ عاقل يقال له عبد الله كان أخاً صادقاً له . حافظا لعهده ، ذا كراً لودّه ، معينا له حاجته ، مساعداً له على شدّته ، قائما بكل ما يحتاجه . ثم ان الأيام فرّقت بينهما وتقلّبت بهما . حتى أوصلت المهلبي إلى منصب الوزارة . فصفا عيشه . وحسنت هيئته . وأوصلت رفيقه إلى هيئة سيئة يرثى لها العدوّ اللئيم ، والصديق الحميم ، فبلغه وزارة المهلبي فقصده وكتب إليه يذكره بعهده ، فقربه من مجلسه ووصله بصلات الملوك والأمراء ، وقلده ولاية من الولايات فهكذا يكون الاخاء ، والمودة والمروءة .

دعوى الإخاء على الرخاء كثيرة

ومع الشدائد تُعرَف الإخوان

١٦ - الوفاء

الوفاء : مراعاة العهد ، وتجنب خلف الوعد ، وحفظ الودّ وهو أحسن شمائل الإنسان ، وأوضح دلائل الفضل والإحسان وأقوى وسائل أسباب المجد . وأحق الأفعال بالشكر والحمد . تمسُّ الحاجة إليه . وتجب المحافظة عليه فمن تحلى بالوفاء ، وتخلى عن الجفاء ، وراعى عهد إخوانه ، وحفظ حقوق أوطانه . وجبت مودّته ، وحسنت سيرتهُ ، وكملت مُرُوءتُه .

ثبتت على حفظ العهود قلوبنا   إن الوفاء سجية الأحرار

١٧ - التواضع

التواضع : سهولة الأخلاق . وتجنُّب العظمة والكبرياء . والتباعد عن الإعجاب والخيلاء وهى حلية يتحلى بها الانسان وإن كان عاطلا . ويرفع ذكره وإن كان خاملاً ، به ويسمو فى الدنيا قدره . ويعظم فيها خطره : يتملك صاحبه مودّة القلوب : وينال كل مرغوب ومحبوب . وبه يجتلب المجد . ويكتسب الحمد .

وضده الكبر : وهو أقبح وصف يسلب من الإنسان الفضائل . ويكسبه النقائص والرذائل . يوغر صدور الإخوان . ويُبعد مودّة الخلاّن : يظهر السّيئة . ويخفى الحسنة . ويهدم كل فضيلة مستحسنة . يثير الحقد والحسد ويوجب لصاحبه الذّم والنكد يروى صاحبه علوّ همته وإن كانت ساقطة . ويظنّ الرّضى من الناس ولو كانت ساخطة .

١٨ — الحياء

الحياء حُلّة جمال ، وحلية كمال . يحترم فى عيون الناس صاحبه ويزداد قدره ويعظم جانبه . وإذا رأى ما يكره غضّ بصره عنه . وكلما رأى خيراً قَبِله وتلقّاه . أو أبصر شرا تحاماه . يمتنع عن البغى والعدوان . ويحذر الفسوق والعصيان . يخاطب الناس كأنه منهم فى خجل . ويتجنب محارم الله عزّ وجلّ ، فمن لبس ثوب الحياء استوجب من الخلق الثناء . ومالت إليه القلوب . ونال كل أمر محبوب . ومن قلّ حياؤه قلّت أحبّاؤه .

١٩ — الامام على والأعرابى

رب إشارة أبلغ من عبارة

يُروى أنه بينما كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرّم الله وجهه أيام خلافته جالساً فى ضواحى المدينة ، إذ وفد عليه أعرابى يسأله حاجته والحياء يمنعه أن يذكرها له ، فخط بعصاه على الرمل هذين البيتين :

لم يبقَ عندى ما يباع بدرهم ... تُنبيك حالة منظرى عن مخبرى

إلا بقية ماء وجهٍ صنته ... عن أن يباع وقد أبحتك فاشتر

فما قرأها حتى وافاه رسول يخبره أن نصيب أمير المؤمنين فى الغنيمة من الفضة محمول على أربعة جمال بباب المدينة . فقال : هى هبة لهذا الأعرابى . وقال :

وافيتنا فأتاك عاجل برنا ... فاهنأ ولو أمهلتنا لم نقتر

فخذ القليل وكن كأنك لم تبع ... ماء الحيا وكأننا لم نشتر

٢٠ - الحلم

الحلم : هو سكون النفس عند دواعى الغضب مع ترك الانتقام . وهو من أشرف الأخلاق وأكرمها ، وأعلى مراتب الكمال وأعظمها يُبلِّغ صاحبه ذروة المجد ، ويُكسبه جميل الحمد . به يصون الانسان عرضه ، ولا ينال منه السَّفيه غرضه ، يعصم النفس من مواقع النَّدم ، ولذا قيل (ما قُرِنَ شىءٌ إلى شىء أزينُ من حلم إلى علم ، ومن عفو إلى قدرة) ويُدْرَك بالرِّفق ما يُدرك بالعُنف . واحتمال السفيه خيرٌ من مشابهته ، والاغضاء عن الجاهل خيرٌ من مناضلته . وبالحلم تكثر الأنصار ، وتدفع الأشرار . فمن غرس شجر الحلم ، اجتنى ثمر السِّلم .

٢١ — الامام على والفارسى

الحلم سيد الأخلاق

يُروى أن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ، لقى كبيراً من كبراء فارس ، فقال له : مَن أحمدُ ملوككم سيرة ، قال : أحمدُهم سيرة

أنو شروان . فقاله له : وما كان أغلب خصاله عليه ؟ قال : الحلم والأناة. فقال له عليّ هما توءمان ينتجهما علوّ الهمّة .

أحبّ مكارم الأخلاق جهدى   وأكره أن أعيب وأن أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلما   وشرّ الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيّبوه   ومن حقر الرجال فلن يُهابا

٢٢ ـ الصبر

الصّبر : هو ترك الشـــكوى من ألم البلوى ، يقضى لصاحبه بالسّيادة ، ويكسوه فضيلة الحزم . ويدفع عنه نقيصة الحرمان يكبت العدوّ الألدّ . ويغيظ الحسود الأشد ، تحمد عقباه . ويبلغ صاحبه مناه . فكثيراً ماأدرك الصابر مرامه أوكادت . وفات المستعجل غرضه أو كاد . فمن هداه الله بنور توفيقه . ألهمه الصبر فى مواطنه والتثبت فى حركاته وسكناته .

٢٣ ـ الجزع أتعب من الصبر

يروى عن بعض الحكماء وقد رأى رجلاً أصيب بمصيبة عظمت

عليه أنه قال الجزع : أتعب من الصبر . ففى الجزع التعب والوزر ، وفى الصبر الراحة والأجر . ولو صور الجزع والصبر لكان الصبر أحسن صورة ، وأكرم طبيعة . وكان الجزع أقبح صورة ، وأخبث طبيعة ، ولكن الصبر أولاهما بالغلبة لحسن الخلقة وكرم السجية .

إنى رأيت وفى الأيام تجربة　　للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقلّ مَن جد فى شىء يؤمله　　واستعمل الصبر إلا فاز بالظفر

٢٤ — الكرم

الكرم : بذل المال بغير إسراف ، والتصرف الحسن بغير إتلاف . وهو أشرف وصف يتزين به الإنسان ، وأجمل أثر يكسب صاحبه الثناء مدى الأزمان ، وقد حث على التحلى به أولو النفوس العلية ، وحضت على التخلق بهِ ذوو الأخلاق المرضية ، فقد قيل : ذللوا أخلاقكم للمطالب ، وعودوها على المحامد ، وعلموها المكارم ، وتحلوا بالجود ، يلبسكم ثوب المحبة . فمن جاد ساد ، ومن ساد شاد ، وخير المال ما أفاد حمداً ، ونفى ذما وصان عرضاً . وأدى فرضاً .

٢٥ ـ الانصاف

الانصاف : هو استيفاء الحقوق واستخراجها بالأيدى العادلة والسياسات الفاضلة ، وهو والعدل توءمان نتيجتهما علو الهمة ، وبراءة الذمة باكتساب الفضائل ، واجتناب الرّذائل . فالانصاف استثمار ، والعدل استكثار . ولذا قيل : « حقّ على مَن ملكه الله بلاده وحكمهُ فى عباده ، أن يكون لنفسه مالكا ، وللهوى تاركا ، وللغيظ كاظماً ، وللظلم هاضماً ، وللعدل فى حالتى الرضا والغضب مظهراً ، وللحق فى السر والعلانية مؤثراً »

لكل ولاية لا بدّ عزل ... وصرف الدهر عقد ثم حل
وأحسن سيرة تبقى لوال ... على الأيام إحسان وعدل

٢٦ ـ الصدق

الصدق : هو أن تنبئ عن الشيء على ما هو عليه وهو وصف يدعو إليه الدين والعقل والمروءة وحب الثناء ، والاشتهار بالفضائل فلا مزية أجمل منه ، ولا سجية أكمل منه ، ولا عطية أشرف منه ،

ولا سمعة ألطف منه ، ولا أثر أنفع منه ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) والكذب من أقبح الرذائل ، وأسوأ الوسائل ، صفة لؤم وشؤم ، بل هو عادة دنيئة رديئة ؛ تؤوب بالعار والشنار والهلاك ، قال تعالى : (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) وقال عليه السلام : (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) فمن الكذب ريبة ، والصدق طمأنينة .

٢٧ — ولاة الأمور

وُلاة الأمور : هم الرؤساء الألى بواسطتهم ينصر الدين ، فتقام الحدود ، وتؤدى الفروض ، وتؤلف ، وتنتظم البلاد ، وتحفظ أرواح العباد ، ويشيد عماد التربية والتعليم ، وغير ذلك مما يرفع طوارىء الجوْر والعدوان ، ويكفل حصول الأمن واستتباب الراحة والأمان ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) .

٢٨ ـ الشعراء فى مجلس عبد الملك

اجتمع جرير والفرزدق والأخطل : وهم ثلاثة من رؤساء الشعراء فى مجلس عبد الملك ، فأحضر لهم رِهاناً من المال وقال : ليقل كل امرئ منكم بيتاً فى مدح نفسه ، فأيكم غلب وظفر فله هذا الرهان فبادر الفرزدق وقال :

أنا القَطِرانُ والشعراء جربَى ‏ ‏ ‏ وفى القَطران للجربَى شفاء

وقام الأخطل فقال :

فإن تكُ زِقَّ زامِـــلةٍ فانى ‏ ‏ ‏ أنا الطاعون ليس له دَواء

ونشط جرير وقال :

أنا الموت الذى آتى عليكم ‏ ‏ ‏ فليس لهارب منه نجاء

فقال له عبد الملك : لك الرّهان فقد غلبتَ خصيمك فلعمرى إن الموت يأتى على كل شىء :

٢٩ ـ خالد بن عبد الله والأعرابي

حسن الجواب ولطف الخطاب

أخالد إني لم أزرك لحاجة   سوى أنني عاف وأنت جواد
أخالد بين الحمد والأجر حاجتي   فأيهما تأتي فأنت عماد

فقال له خالد سَلْ حاجتك قال الاعرابي : مائة ألف درهم . قال خالد : أسرفت يا أخا العرب ، فأحططنا منها قال الاعرابي : حططتك ألفاً : فقال له : ما أعجب ما سألت وما حططت !!! . قال الأعرابي : لايعجب الأمير ، سألته على قدره ، وحططته على قدري .

٣٠ ـ الحجاج والاعرابي

الحركة والسكون بيد الله تعالى

حج الحجاج فنزل بين مكة والمدينة وطلب الغـــذاء ، وقال لرسوله : اذهب وتحرَّ من يأكل معي : فولى الرسول وجهه شطر الجبل ، فاذا هو براع نائم ، فلكزه بيـده وقال : ائت الأمـير فلمـا مثَلَ بين يدي الحجاج قال له . اغسل يديك وتغذ معي . فقال الأعرابي

دعانى مَن هو خير منك فأجبته . قال من هو فقال : دعانى الرءوف الأعلى إلى الصيام فصمت . قال : أفطر وصم غداً . فقال : إن ضمنت لىَ البقاء إلى غد . قال ليس ذلك إلى فقال : كيف تسألنى عاجلا بآجل لا تقدر عليه ؟ . قال لأنه طعام طيب . فقال : لم تطيبه أنت ولكن طيبته العافية .

٣١ — أبو تمام والكندى

سرعة الخاطر وفصاحة اللسان

امتدح أبو تمام أحمد بن المعتصم بقصيدة ، فلما بلغ إلى قوله :

إقدام عمرو فى سماحة حاتم ⁂ فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

قال له الكندى بجرأة وثبات : الأمير فوق من وصفت فأطرق أبو تمام مليا ثم قال :

لا تنكروا ضربى له من دونه ⁂ مثلا شروداً فى الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره ⁂ مثلاً من المشكاة والنبراس

فسكت الكندى ، وأعجبت الفئة الحاضرة لفطنة أبى تمام وأصالة رأيه ، وجودة فكره ، وسرعة فؤاد .

٣٢ — المنصور والواشى

صدق الجواب منجاة من العقاب

وشى بعضهم إلى المنصور برجل فأمر باحضاره ، ولما مثل بين يديه قال له : لقد أتيت أمراً إدا سيئا أوجب عليك العقاب . فقال الرجل : ياأمير المؤمنين ، ذنبى السوء أعظم من نقمتك ، وعفوك أوسع من ذنبى . وأنشد قائلا :

فهبنى مشيئاً كالذى قلت ظالماً

فعفوا جميلا كى يكون لك الفضل

فان لم أكن للعفو منك لسوء ما

أتيت به أهلا فأنت له أهل

فقال له المنصور : لولا جوابك لما تركت عقابك

٣٣ — معاوية وضئيل

كمال الرجل آدابه لا ثيابه

نظر معاوية إلى امرىء ضئيل فى مجلسه ، عليه عباءة رديئة رثة

فازداره مستهزئا به . وأبى مجاذبته أطراف الحديث . فاستشعر ذلك المرء بسوء نية معاوية له . فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن العباءة لا تكلمك إنما يكلمك من فيها ، وأنشد قائلا :

إنى وإن كانت أثوابى ملفقة ليست بخز ولا من نسج كتان
فإن فى المجد هماتى وفى لغتى فصاحة ولسانى غير لحان

فخجل معاوية من جوابه ، وبالغ فى إكرامه واحترامه

٣٤ ــ الامانة

الأمانة هى : أن تؤدى حقوق الرءوف الأعلى ، وألا تفشى سر من أودع إليك شؤونه ، وألا تنقض عهد من عاهدته ، وإلا تختلس ما ليس لك فيه حق ، وألا تغش امرأ فى معاملاتك ، وأن تحافظ على من جعل تحت رعايتك . قال عليه السلام (لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له) .

وإذا أؤتمنت على الأمانة فارعها إن الكريم على الأمانة راعى

فالأمانة عليها مدار عموم المعاملات ونجاحها . وهى أصل من

أصول الدّيانات . ولذلك أكدت جميع الشرائع وجوب رعايتها والحثّ على الاتصاف بها .

٣٥ ـ الدين

الدين هو الذى أرشدنا إلى أن لنا خالقاً رءوفاً رحيما ، أنعم علينا بنعم هذه الحياة الدنيا ، وأعدّ فى الآخرة مكافأة حسنة يكافىء بها المحسنين ، كما أعدّ عقاباً شديداً للمسيئين ، فاذا اعتقد المرء منا أن هناك جزاء طيباً للمحسن ، وعذاباً أليما للمسىء ، فانه يصنع الفضائل والحسنات ، ويتجنب الرذائل والسيئات ، وهو الذى هدانا إلى أن الصدق ، والحياء ، والأمانة ، والعدل : أخلاق فاضلة ، وصفات كاملة ، وعليها نظام المعاملات . وأن الكذب ، والخيانة ، والدناءة ، والسُّوء ، والتّجرأ على الجور والظلم ، هى أسباب فساد المعاملات ، وخراب الأمم .

٣٦ ـ الرفق بالحيوانات والشفقة عليها

قد أوجبت جميع الشرائع والأديان ، الرّفق بالحيوانات

وقامت الأمم المُتمدينة للدفاع عنها ، والشّفقة والحنوّ عليها ، لضعفها عن الشكوى ، وعدم قدرتها على النطق ، قال عليه السلام : (اتقوا الله فى البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة ، وكلوها صالحة) وقد سخرها المولى لمنافعنا وقضاء لوازمنا ، من حمل ما لا نطيق حمله من العبء الثقيل ، ومن حملنا فى أسفارنا ، واتخاذ قوتنا من ألبانها ، ولحومها ، واصطناع ملابس وفرش من أصوافها وأوبارها وأشعارها ، قال تعالى : (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ، ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون ، وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، إن ربكم لرءوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) .

٣٧ — عبد الله بن جعفر والاعرابى

لو كان الفقر رجلا لقتلته

بينما كان عبد الله بن جعفر راكباً إذ تعرض له أعرابى وأمسك بعنان فرسه وقال : يأيها الأمير ، سألتك بالله أن تضرب عنقى ، فقال له الأمير : أمعتوهٌ أنت ، فقال الأعرابى : لا ورأس الأمير ،

قال فما خطبك أيها الأعرابى ؟ قال : لى خصم سوء ليس لى به طاقة ، فقال له الأمير : ومن خصمك هذا ؟ فقال له : الفقر ، فالتفت الأمير إلى مرءوس له وقال ادفع إليه ألف دينار ، ثم قال له : خذها ونحن مسؤولون، ولكن إذا عاد إليك فأتنا فإنا منصفوك منه . فقال الأعرابى : أطال المولى بقاءك ، إن معى من جودك ما أدحض به حجة خصمى بقية عمرى .

٣٨ — كسرى وحاجب بن زرارة

المرء بقرينه

جاء حاجب بن زرارة على باب كسرى فحال الحاجب بينه وبين الوصول . فقال له : قل للملك إن بالباب امرأ من العرب يريد المثول بين يديك . فلما أذن له بالدخول قال له : من أنت فقال : سيد العرب . قال كسرى : ألست القائل إنك امرؤ من العرب ، فقال نعم قلت ذلك قبل وصولى إليك ، ومثولى بين يديك . أما الآن ، وقد تشرفت بخدمتك ، وحظيت برؤيتك

فقد صرت سيد العرب ، فقال له كسرى : لله دَرُّك أجبت فأعجبت ..

٣٩ ــ معاوية وزياد

لا تكن ليناً فتعصر ، ولا يابساً فتكسر

طلب زياد رجلا ، فلجأ إلى أمير المؤمنين . معاوية واحتمى به ، فكتب زياد إلى معاوية يقول إليه إن هــذا اللين مُسيء لشؤونى ، ومفسد لأعمالى ، إذا طلبت امرأً لجأ إليك ولاذ بك . فكتب معاوية إليه يقول : إنه لا ينبغى لنا أن نسوس الناس بسياسة واحدة فيكون مقامنا مقام رجل واحد ، ولكن فلتكن أنت للشدة والخشونة ولأكن أنا للرأفة والرحمة . فيستريح الناس فيما بيننا .

٤٠ ــ المأمون والمتظلم

حسن الجواب يستوجب العفو

ســار المأمون مع يحيى بن أكثم ، وبينما هما فى الطريق إذ

خرج عليهما رجل فجأة ، فنفرت منه دابة المأمون ، وألقته على الأرض ، فأمر بضرب عنق ذلك الرجل ، فقال يا أمير المؤمنين أمهلني حتى أكلمك ، وافعلْ ما بدا لك . قال قل وأوْجز . فقال إنّ الرجل المضطرّ يركب الصعب من الأمور وهو عالم بركوبه ، ويتجاوز الأدب ، وهو كاره لتجاوزه ، ولو أحسنَتِ الأيام مطالبتي ، لأحسنت مطالبتك ، ولأنت على رد ما لم تفعل أقدرُ مني على رد ما قد فعلت ، فعطف عليه المأمون وقال ليحيي : ألا تنظر مخاطبة هذا الرجل ثم عفا عنه وأمر له بصلة ، واعتذر إليه .

٤١ — المنذر بن ماء السماء وضمرة بن ضمرة

المرء بأصغريه : قلبه ولسانه

دخل ضمرة بن ضمرة على المنذر بن ماء السماء ، والمنذر إذ ذاك ملك الحيرة واليمامة . وكان ضمرة ذا عقل وعلم وحلم وشجاعة وحكمة ، غير أنه كان دميم الخلقة ، قصير القامة ، وكان أمره قد شاع وذاع لخصاله المحمودة . وأعماله المشكورة ، فلما رآه المنذر احتقره ، وقال « تسمعُ بالمعيدي خيرٌ من أن تراه » . فقال له ضمرة : أيها

الملك ، ليس المرء بحسنه وجماله ، وبهائه وكماله ، وهيئته وثيابه ، لا والله حتى يشرف أصغراه : لسانه وقلبه . ويعلو أكبراه : همته ولبُّه . وقد قال الشاعر :

وما المرء إلا الأصغران لسانه ومعقولُه والجسم خَلْق مصوَّر

فعطف عليه المنذر ، وأمر له بصلة ، فأخذها ومضى .

٤٢ — الملك والناصح والحسود

على الباغي تدور الدوائر

يروى أن رجلا كان يقف كل يوم عند ملك الملوك ويقول له : « أحسن إلى المحسن بإحسانه والمسيء سيَكفيكَهُ مساءيه » ، وكان الملك يحسن إليه . فحسده على ذلك أحد أصحابه ووشى به لدى الملك . فكتب الملك بيده إلى عامله : إذا وصلك كتابي هذا فاذبح حامله . وابعث إلى برأسه . ثم دفع الكتاب إلى الرجل الناصح ، فأخذه وخرج ، فقابله صاحبه ، وقال له : ما هذا ؟ قال كتاب بخط الملك فقال له الحاسد . هبه لي فإني محتاج . فدفعه الناصح إليه شفقة ورحمة به ، فأخذ ومضى إلى

العامل ، فأنفذ به العامل أمر الملك . أما الناصح فذهب كعادته وقال مقالته ، فقال له الملك . ما فعلت بالكتاب ؟ قال : دفعته إلى فلان ، بعد أن طلبه منى ، فقال الملك : إنه ذكرك عندى بسوء . فبرّأ الناصح نفسه . وصدّقه الملك . وجيء برأس الحاسد : فقال الملك . صدَقتَ وصدَقتْ موعظتُك . قم كما كنت تقوم ، وقل كما كنت تقول .

٤٣ — الاعرابى والامام على كرم الله وجهه

الإحسان فى الطّلب يستوجب الإعطاء

قدم أعرابى على علىِ بن أبى طالب . كرم الله وجهه . فقال يا أمير المؤمنين : لى إليك حاجة يمنعنى حيائى أن أذكرها لك ، فقال له : يا أعرابى خُطّها فى الأرض فخطّ : إنى فقير . فقال علىّ لغلامه : اكسه حلّتى . فكساه الحلة فأنشد الأعرابى يقول :

كسوتنى حلّة تَبلى محاسنها
فسوف أكسوك من حُسن الثناء حُللا

إن نلتَ حسن ثناء نلت مكرُمة
ولستَ تبغى بما قد نلته بدلا

إنَّ الثناء لَيُحيي ذكر صاحبه كالغيث يُحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر فى عرف بدأت به
كل امرىء سوف يجزى بالذى فعلا

فأمر له بمال ، فأخذه الأعرابى ومضى فرحاً مسروراً

٤٤ — إبراهيم بن المهدى وبختيشوع الطبيب

الحاكم العادل نصير الحق

تنازع إبراهيم بن المهدى وبُخَيْتشوع الطبيب فى مجلس الحكم فى عقار ، فأغلظ له إبراهيم القول ، وكان القاضى أحمد بن أبي دُاؤد فغضب وقال له : يا إبراهيم إذا نازعت فى مجلس الحكم امرأ ، فلا ترفع عليه صوتاً . ولا تشر بيدك . وليكن قصدك أَمَمًا وطريقك نهجاً . وكلامك معتدلا . ووفِّ مجالس الخليفة حقَّها من التوقير والتعظيم . والاستكانة والتوجُّه إلى الحق فان أشكل بك . وأجمل بمذهبك فى محتدك وعظيم خطرك . ولا تعجلنَّ فرب عجلة تهب رَيْثاً . والله يعصمك من الزلَّل وخطل القول والعمل ويتم نعمته عليك كما أتمَّها على أبويك من قبل . إن ربك عليم

حكيم فقال إبراهيم : أمرت أصلحك الله بسداد ، وحضضت على رشاد ، ولست عائداً لما يثلم قدرى عندك ، ويسقطنى من عينيك ، ويخرجنى عن مقدار الواجب إلى الاعتذار . فهأنذا معتذر إليك من هذه البادرة اعتذار مقرّ بذنبه ، باخع بجُرمه . لأن الغضب لا يزال يستفزّنى بمواده فيردنى مثلك بحلمه . وتلك عادة عندك وعندنا فيك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وقد جعلت منى هذا العقار لبُختيشوع ، فليت ذلك يكون وافياً بأرش الجنـــاية عليه ولم يتلف مال أفاد موعظة وبالله سبحانه وتعالى التوفيق .

٤٥ - معاوية وأحد مخالفيه

حسن الاعتذار يستوجب الصفح

بعث زياد إلى معـــاوية برجل من بنى تميم كان من أهل الفتنة فلما مثل بين يديه قال له معاوية : أنت القائم علينـــا ، المكثر لعدوّنا ؟ ! قال : يا أمير المؤمنين ، إنما كانت فتنة عمّ عماها ، وأظلم دجاها ؛ ورجح فيها الوضيع ، وخفّ الحليم والرفيع ، فاحتدمت ، وأكلت علينا وشربت ، حتى إذا انحسرت ظلماؤها ، وانكشفت

غطاؤها . آل الأمر إلى ماله ، وصرح عن محضه ، وارتفع العبوس ، وثابت النفوس . فتركنا فتنتنا وتركنا عصمتنا ، وعرفنا خليفتنا ، ومن يجد متاباً ، لم يرد الله به عقاباً ، ومن يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما . فعجب معاوية من فصاحته ، وجميل اعتذاره ، وعفا عنه وأحسن إليه .

٤٦ — أنو شروان ووزيره

من صبر ظفر

غضب أنو شروان على وزيره فسجنه ، وصفده بالحديد ، وألبسه الخشن من الصوف ، وأمر ألا يعطى من القوت إلا القليل من الخبز والملح والماء . وأن تقيد ألفاظه حتى يطلع عليها ، فأقام الوزير أشهراً لم يسمع له لفظ واحد ، فوجه إليه الملك قوماً ينظرون فى أمره ، فقالوا له : يا أيها الوزير ، نراك فيما نراك فيه من الشدة والضيق ، وأنت كما أنت لم تتغير حالك ، فما شأنك ؟ قال : إنى استعنت على أمرى بستة أشياء : الثقة بالله تعالى ، وعلى أن كل مقدر واقع ، وبالصبر الجميل ، ومعرفة

أنى إن لم أصبر أكُن قد أعنت على نفسى بالجزع ، وإنى ربما أكون فى شرّ أصعب من هــذا ، وما بين ساعة وأخرى يأتى الله بالفرج القريب . فلما قالوا مقالته لأنو شروان عفا عنه ، ورده إلى عمــله ، وأحسن إليه .

٤٧ ـ الاعرابى والحجاج

فى وصف العصا

لقى الحجاج أعرابياً فقال له : من أين أقبلت ؟ قال من البادية : قال: وما بيدك ؟ قال : عصا أركزها لصلاتى ، وأعُدُّها لعداتى ، وأسوق بها دابتى ، وأقوى بها على سفرى ، واعتمد بهـا فى مشى ، ليتسع بهـا خطوى ، وأبث بها النهر فتؤمننى ، وألق عليها كسائى فيسترنى من الحرّ ، ويقينى من القرّ وتُدنى ما بعد منى وهو محمل سفرتى ، وعلاقة أدواتى ومَشْجبُ ثيابى ، وأعتمد بها عنــد الضراب ، وَأقرع بها الأبواب ، وأتق بها عقور الـكلاب تنوب عن الرمح فى الطعان وعن الحراب عند منازلة الأقران ، ورثتها عن أبى ، وأورثها بعدى ابنى ،

وأهشُّ بها على غنمى ، ولى فيها مآرب أخرى ، كثيرة لاتحصى .

٤٨ — الحجاج والشيخ

حسن التخلص

أراد الحجاج أن يقف على أسرار الناس فيه وفى عماله ، فخرج متنكراً حتى لقى شيخا فقال له : ما رأيكم فى رُؤسائكم ؟ قال الشيخ إنهم ظلمة مستبدون غير أكفاء قال ما رأيكم فى رئيسكم الحجاج ؟ قال . إنه دنىء الخصال ، برىء من الفضائل ، فأسف الحجاج على سؤاله وتلا قوله تعالى . (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) ثم قال للشيخ . أتدرى من أنا . قال لا قال . أنا الحجاج فقال الشيخ : وأنا زيد بن عامر ، يمسنى الشيطان كل يوم مرة فأصرع ؛ فلا أدرى ما أقول ولا يؤاخذنى الناس على ما يصدر عنى ، ويبدو منى ؛ فعفا عنه الحجاج لحسن تخلصه .

٤٩ ـ الأعرابية وعبد الله بن أبي بكرة

حسن البيان يستوجب الإحسان

دخلت أعرابيــــة على عبد الله بن أبي بكرة بالبصرة ، بين السماطين[(١)] وقالت : أصلح الله الأمير ، وامتنع به حدَرَتْنا إليك سنة اشتد بلاؤها ، وانكشف غطاؤها . أقود صبية صغاراً وآخرين كباراً ، فى بلدة شاسعة ، تخفضنا خافضة ، وترفعنا رافعة للمَّات من الدهر برَين عظمى ، وأذهبن لحمى ، وتركتنى والهةً[(٢)] أدور بالحضيض[(٣)] ، وقد ضاق بي البلد العريض فسألت فى أحياء العرب : من الكاملة فضائله ، المُعطى سائله ، الكفىُّ[(٤)] نائله ؟ فدُلِلتُ عليك ، أصلحك الله تعالى ، وأنا امرأة من هوزان ، قد مات الوالد ، وغاب الرافد[(٥)] ، وأنت بعد الله غياثى ، ومنتهى أملى ، فافعل بي إحدى ثلاث خصال : إما أن تردّنى إلى بلدى ، أو تحسن صفدى[(٦)] ، أو تقيم أودى[(٧)] فقال :

---

(١) السماطان من الناس : الجانبان والصفان : أى وقفت بين الصفين
(٢) الوالهةوالواله : التى ذهب عقلها من الحزن (٣) الحضيض . المنخفض من الأرض . (٤) الكفى : أى الكافى كفاية زائدة . (٥) الرافد : المعين .
(٦) الصفد . العطاء (٧) الأود . العوج .

بل أجمعهن لك . فلم يزل يجرى عليها كما يجرى على عياله حتى ماتت .

٥٠ — المأمون والحسن بن رجاء

بالإحسان فى البديهة تتفاضل العقول

دخل المأمون بعض الدواوين ، فرأى غلاماً جميلا على أذنه قلم ، فقال : من أنت يا غلام ؟ قال . أنا يا أمير المؤمنين الناشئ فى دولتك، المتقلب فى نعمتك ، المؤمل لخدمتك ، خادمك وابن خادمك ، الحسن ابن رجاء . فقال المأمون : أحسنت يا غلام ، وبالإحسان فى البديهة تتفاضل العقول . وأمر برفع مرتبته وزيادة عطائه .

٥١ — الغلام وعمر بن الخطاب

الإحسان فى الإجابة من أمارات النجابة

مرّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه بغلمان يلعبون ، فلما رأوه تفرّقوا هائبين ، وثبت أحدهم مكانه . فقال له عمر : مالك لم

تفارق مكانك ؟ وقد فرّ من كانوا معك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما الطّريق ضيقة فأوسعها لك ، ولا ذنب لى فأخافه . فسُرّ من جوابه وكافأه مكافأة حسنة .

٥٢ ــ الشعبي والحجاج

فى الصدق النجاة

خرج الشعبى مع ابن الأشعث على الحجاج ، فظهر الحجاج على ابن الأشعث ، فاستشار الشعبى أصحابه فأشاروا عليه بالاعتذار قال الشعبى . فلما دخلت خالفت مشورتهم . ورأيت والله غير الذى قالوا : فسلّمت عليه بالإمرة ثم قلت : أيد الله الأمير . إن الناس قد أمرونى أن أعتذر بغير ما يعلم الله أنه الحق ، ولك الله ألا أقول فى مقامى هذا إلا الحق : قد جهدنا وحرضنا ، فما كنا بالأقوياء الفجرة ، ولا الأتقياء البررة ، ولقد نصرك الله علينا ، وأظفرك بنا . فان سطوت فبذنوبنا ، وإن عفوت فبحلمك والحجة لك علينا . فقال الحجاج : أنت والله أحبُّ إلينا قولا ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ، ويقول : والله ما فعلت ولاشهدت أنت آمن ياشعبى .

فقلت : أيها الأمير اكتحلتُ والله بعدك السّهر ، واستحلست[1] الخوف ، وقطعت صالح الاخوان ، ولم أجد من الأمير خلفاً . قال : صدقت . وانصرف .

٥٣ — الذئب والظبي

خَفْ عدوك واحذره

صاد ذئب ظبياً ضئيلا من الجوع . فرأى أن يشبعه حتى يسمن ثم يأكله . فجاء إليه وسلم عليه وقال : يا أخي ما شأنك ؟ قال : جوع شديد كاد يقتلُني . فأظهر الذئب شفقة زائدة . وبكى لحال الظبي ، وقال : لقد تركت عداوة مثلك ، وحلفت ألا آكل حياً وأنِفتُ القساوة ، وملت الفتك بالنُّفوس البريئة .

وقـــد علمت واللبيب يعلم   بالطبع لا يُرحم مَن لا يَرحم

فاغـــترّ الظبي بقوله ، وانتظر الذئب حتى جاءه بالأكل فأكل وشبع وشكر للذئب جميل إحسانه ، ولم يزل كذلك حتى سمن

---

(١) استحلست الخوف . لزمته ولم أفارقه .

وامتلأ فوثب عليه الذئب وأكله . وتلك عاقبة من يستسلم لأعدائه ، ويغترّ بأقوالهم وأفعالهم .

٥٤ — الطاوس والبوم

العاقل لا يستشير عدوه وإذا وقع فى شدة فكر فى سبيل النجاة

وقع طاوس فى حبائل صياد فوجد فيها بوماً ، فازداد هماً إذ رأى عدوّة فيها : ولكن أظهر الرضا ، وتحادث معه كيفَ ينجوان ؟ فقال البوم : الرأى عندى أن نتماوت فيتركنا الصيّاد ، فتماوتا ، وجاء الصيّاد وألقى بالبوم ، ونتف ريش الطاوس لنفاسته فلقى الطاوس شقاء وعناء باتباع رأى عدوه ، وندم على سوء فعله وقال لنفسه : لو أنى عشت ولم أتماوت لكنت مُكرّماً معزّزاً عند من يأخذنى . ثم طرحه الصياد ومضى ، فجاء البوم ، وجعل ينقره حتى كاد يهلكه ثم طركه على أسوإ حال ، فجاء ثعلب وحمله بأنيابه إلى أن ألقاه أمام زوجته وأبنائه ومضى . فقال الطاوس للزوجة : إنى مريض فان أكلتينى يصبك مرضى . فذكرت الثعلبة ذلك للثعلب فقال : هذه حيلة تريد النجاة بها .

فراجعته حتى رضى بتركه إلى أن يبرأ . فعاش الطاوس حتى عوفى وطال ريشه ، وطار على شجرة . فقالت له الثعلبة انزل ولك الأمان . فقال لها : « العاقل إذا خلص من شدة لا يوقع نفسه فيها مرة ثانية » ثم طار إلى أهله وأنبأ بنبئه . فلق اللوم على اتباع مشورة عدوه ، والمدح على احتياله للخروج من كربته والتخلص من مصائبه .

٥٥ ـ الظليم[١] والصياد

لا تترك الموجود طلبا لأمر موهوم

وقع ظليم فى شرك صياد . فأخذه الصياد وقاده . فقال له الظليم . لم أخذتنى ؟ فقال لأنى شيخ فقير ذو عيال . فبكى الظليم وضحك . فدهش الصياد وسأله عما فعل . فقال : بكيت لتركى فراخى وهى تنتظر رجوعى بشغف ولهف ، فذكر الصياد أولاده ، وهم بترك الظليم ، ولكنه صبر حتى يتم كلامه ، ثم قال

---

(١) الظليم : ذكر النعام .

الظليم ، وضحكت لأنى تركتُ فى بيتك مالا كثيراً فى موضع كذا ، ففرح الصياد ، وهمّ بإطلاقه ، غير أنه قال للظليم : لو تركتك تركتُ شيئاً موجوداً لأمر قد يكون معدوماً ، ولو علمتَ الغيب ما وقعت فى شركى . فقال له الظليم : سترى جملا تتبعها أبناؤها . وكان الظليم قد رآها من قبل . فلما مضى الصياد ورأى الجمال وأولادها أطلق الظليم ، وذهب مسرعاً إلى داره ، وجعل يحفر فيها حتى خربها فرماه الناس بالجنون ، ولم يحصل على شىء » فالعاقل لا يغتر ، ويحافظ على معه حتى يجد العوض عنه » .

٥٦ - السمكات الثلاث والصياد

اليأس شيمة العاجز

كان بغدير ثلاث سمكات : الأولى كيسة ، والثانية أكيس والثالثة عاجزة . وكان الغدير بعيداً عن المارة ، ومتصلا بنهر جار فمرّ به الصياد ، فأحست به السمكات ، فارتابت أكيسهن ،

وخرجت من الغدير إلى النهر ، وبقيت الكيسة والعاجزة . فجاء الصياد وسد الوصلة التى بين الغدير والنهر ، ورمى بشباكه فى الغدير ، فقالت الكيسة لنفسها : « هذه نتيجة التفريط ؛ فهل من حيله ، وهل تنفع حيلة الخائف ؟ وربما تنفع ، ولذلك لا أيأس . ثم تماوتت وطفت على وجه الماء ، وجعلت تتقلب ظهراً لبطن ، فأخذها الصياد ، ووضعها بين الغدير والنهر ، فوثبت إلى النهر ونجحت بهـــذه الحيلة . أما العاجزة فيئست كل اليأس ، ولم تزل فى إقبال وإدبار وارتفاع وانخفاض حتى صادها ، وذلك جزاء اليائسين . فالعاقل لا ييأس ، بل يستعين على النجاة بالثبات والصبر كما قال القائل :

لا تيأس وإن طالت مطالبة   إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

٥٧ ــ القردة والأسد

القوة فى الاتحـــاد

يُروى أن حبشياً ذهب بأبقاره إلى نهر لتشرب ، فرأى هناك أسداً قد ربض على الشاطئ ، فلما بصر به الأسد ، تحفز للوثوب ،

فلجأ الرجل إلى شجرة ، وخاضت أبقاره الماء ، ثم شاهد الرجل قِردة يتبعها ولدها فافترس الأسدُ ولدها ، فحزنت كثيراً ، وعادت من حيث أتت . ثم رجعت ومعها جمّ غفير من القردة ، وهى أمامهن وقد سبقهن غبار سد الأفق ، وبأيديهن العصىّ ، فذهل الرجل ودهش الأسد ، الذى لم يلبث أن رأى نفسه داخل سور من القِردة ، وهى تتقدم إليه بكل ثبات وشجاعة ، ثم أوسعته ضرباً ووخزاً حتى مات . ونالت منه ثأرها على قوته ، وضعفها ، ولكن القوّة فى الاتحاد .

٥٨ — اليمامة والصياد

الصمت واجب إذا ضرّ الكلام

قيل إن يمامة كانت آمنة مطمئنةً فى عشها بأعلى شجرة مورقة جميلة ، فجاء فى مكانها صياد ، وجعل يبحث عن طير يصيده ، فلم يجد شيئاً . ولما هم بالرجوع ، برزت اليمـــامة من عشها ، وترنمت بجميل صوتها . فتوجه إليها الصياد وصادها ، فلما وقعت فى يده قالت لنفسها :

« سلامتى كانت فى صمتى ، ولو ملكت منطق ، لملكت نفسى » ،

وقد قيل :

يموت الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يموت المرء من عثرة الرّجل

٥٩ — سليمان عليه السلام والهدهد

الظلم مرتعه وخيم

وقف هدهد أمام سليمان عليه السلام خاضعاً ذليلا ، وشكا إليه سوء حاله ، وتكدّر عيشه من حبّة بُرّ تناولها . فقال سليمان عليه السلام لمن حوله : قد جنى هذا الهدهد ذنباً عظيما ، وظلم ظلماً كبيراً . لأن هذه الحبة سرقها من بيت نملة ، تعبت فى الحصول عليها تعباً شديداً . فكافأه الله عزّ وجل على ظلمه وبغيه ، وأكله ما ليس له ، بما ترَوْن من المرض وسوء الحال . فأنا لا أسمع له شكوى ، ولا أنظر له فى دعوى ، وذلك جزاء الظالمين الباغين (وسيعلمُ الذين ظلموا أىَّ منقلب ينقلبون) .

٦٠ — الغلام والقط

جزاء سيئة سيئة مثلها

دخل غلام غرفته فتبعه قط . فلما رآه بادر بإغلاق النوافذ ، وجعل يعدو وراء القطّ ويضربه بالعصا وهو يموء ويقفز حتى كسر بعض ما فى الغرفة من الأدوات ، فاغتاظ الغلام وحنق على القط وازداد فى الضرب المؤلم والإيذاء من غير شفقة ولا رحمة ، فتألم القط كثيراً ، ولم يجد مفراً ، فاستجمع قُواه ووثب على الغلام ففقأ عينه ، وجرح وجهه ، فأسرع الغلام إلى الباب وفتحه مستغيثاً ، ففرّ القط ونجا ، وبقى الغلام مفقوء العين مشوّه الوجه ، طول حياته ، وعرف أن الظلم مرتعه وخيم يوجب لصاحبه البلاء ، ويوقعه فى الشقاء ، وندم على ما فعل ولات ساعة مندم .

٦١ — السيدة والكلب الصغير

الرفق بالحيوان من الإيمان

خرجت امرأة لقضاء ما تحتاج إليه ، فرأت أبناء يسحبون كلباً

ضئيلا وهو ينبح ويتألم ، فأشفقت عليه ، واشترته منهم ، وحملته إلى بيتها ، وسقته وأطعمته وأحسنت إليه ، فأحبها وتعلق بها ، ثم حدث أن جاء لص واختبأ تحت سرير تلك المرأة فجعل الكلب يروح ويغدو وينبح تحت السرير على خلاف عادته ، فرابها الأمر ، وانشغل فؤادها ، فنظرت تحت السرير بهدوء واطمئنان ، فرأت اللص مختبئاً ساكناً ، فأسرعت بدون بطء إلى الباب وأغلقته ، واستغاثت بأهلها وخدمها . فجاءوا وأوسعوا اللص ضرباً ، ثم سيق إلى السجن ليلقى جزاءه ، ونجت المرأة من سوء شره لإحسانها إلى الكلب ورفقها به وشفقتها .

٦٢ — الكلب ووفاؤه

فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره

اعتنى ولد بتربية كلبه ، فجاء أعداء الولد وأخذوه ومعه كلبه إلى إحدى الدور . وشرعوا يقتلون الولد ودفنوه في فناء الدار . فجعل الكلب يناضل عنه ويقاتل دونه ، حتى خارت قواه .

وقتل الولدَ عداه فلما غاب الولد عن أمه خرجت تبحث عنه فلم تجده ، وقطعت أملها فى رجوعه ولكن الكلب رأى أحد قتلة سيده فتعلّق به ، واجتمع الناس ، ومعهم أم الولد لإنقاذ القاتل من الكلب حتى أنقذوه بكل جهد ومشقة . فلما مضى القاتل اتّبعه الكلب وأمّ سيده حتى دخل القاتل الدّار وأغلقها دون الكلب ، فارتابت الأم وأبلغت الأمر للرّئيس الحاكم فأرسل معها بعض أعوانه للتحقيق . فساروا ومعهم الكلب وفتحو الدار ، فتبعهم الكلب إلى الجهة التى دفن فيها سيده ، وشرع ينبش بيده ورجليه باذلا كل ما فى وسعه ، فعرف الحاضرون غرضه ، فحفروا وأخرجوا الجثة وحاكموا القاتلين ، وأخذ الكلب بثأر سيده بعد موته ، وفاء له جزاء إحسانه إليه .

٦٣ — الأسد والثعلب وابن التاجر

كنْ عالىَ الهمّة

أرسل أحد التّجار ولده فى تجارة ، فرأى فى طريقه ثعلباً طريحاً يتلوّى من الجوع فقال . من أين يتغذّى هذا المسكين ،

وإذا بأسد أقبل يحمل فريسته ؟ فانزوى الولد وهو يرتعد . ثم راقب الأسد حتى أكل فريسته وترك منها بقية لا خير فيها ومضى ، فقام الثعلب وأكل من فُضالة الأسد ، فأراد الولد أن يقتدى بالثعلب. ورجع إلى أبيه وأخبره بما رأى . فقال له والله إنك مخطىء يابنىّ ، وإنى أرجو أن تكون أسداً تأكل الثعالب ما أبقيت ، ويسوءنى أن تكون ثعلباً تأكل من بقايا الأسود وتشرب من سُؤرها ورده عن خطئه — وقال :

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه فكن طالباً فى الناس أعلى المراتب

٦٤ — الثعلبان والاسد

تلجىء الضرورة الحرّ إلى مصادقة عدوٍّ بلا مفرّ

تآخى ثعلبان واتفقا على أن يضربا فى الأرض ابتغاء الرزق فرأيا أسداً قد أقبل عليهما . فقال أحدهما لصاحبه : لا بد لنا من حيلة تُنجينا من هذا العدو الآتى . فلما جاءهما الأسد ، تقدّما بين يديه خاضعين . وقال أحدهما : يا أبا الحارث إنا قد ورثنا أغناماً

عن أبينا ، واختلفنا كيف نقسمها . فجئناك لتقسم بيننا بالعدل ، كما هى شيمتك . فقال الأسد : « عادلاً حكمتما » فليذهب أحدكما لاحضارها . فذهب أحدهما مسرعا وانزوى فى كرم عنب ولم يعد . فقال الآخر : يا سيدى ، قد غاب هذا الخائن ليختص بالأغنام فمرنى أن أحضره بها . فأمره وذهب ، ودلا حائطا ولم يعد . فذهب الأسد فى طلبهما ، فرأى الثعلب الثانى فوق الحائط فأمره بالنزول ليحكم بينه وبين صاحبه . فقال الثعلب : قد اصطلحنا واذهب حيث شئت . فغضب الأسد ، فقال الثعلب : عجبا ، ما رأينا قاضيا يغضب من اصطلاح الخصمين سواك . وقد نجيا منه بحسن حيلتهما ، وفضل تعاونهما .

٦٥ - الثعلب والديك

إحذر عدوك فقوله تغرير وتمويه

يُروى أن ثعلبا رأى ديكا ، فأقبل عليه طلق المحيا ، بادى البشر . فلما رآه الديك علا شجرة حتى انتهى إلى أعلا غصن

فيها فناداه الثعلب وقال له : ما بالك قد خفت منى ؟ فقال له الديك : أنت عدوّى قديما وحديثا ، فمن الحمق والجهل أن أنزل إليك فتأكلنى ظلماً وبغياً . فقال الثعلب : أما سمعت أن منادِىَ السلطان نادى الأمان فى جميع البلدان ، فاجتمع القط بالفأر ، والأسد بالإنسان ، والذئب بالغزلان ، انزل ولا تخف إنى لك من الناصحين . فقال الديك لنفسه : إن هذا الثعلب لا ينفكّ يحتال علىّ ليوقعنى فى حبائله ، لا بدّ لى من حيلة . ثم قال للثعلب : يا أبا الحصين ، إنى أرى شبحاً يعدو على أربع كأنها السهام فارقت قسيّها ، وهو يقصدك . فقال الثعلب : ذاك عدوّى الكلب . وفرّ هارباً ، فناداه الديك وقال له : أقبل ولا تخف ، فقد قلت إن منادى السلطان نادى بالأمان . فقال وهو يعدو : لعل هذا الخبيث لم يسمع النداء . ونجا الديك بحسن حيلته ، وكمال ذكائه ، ولم يصدّق قول عدوه .

٦٦ — الضفدعة والبقرة

الجاهل عدوُّ نفسه

رأت ضفدعة بقرة عظيمة الجثة كثيرة النشاط ، فحسدتها على ما أعطاها الله ، ورغبت أن تكون مثلها ، فتمددت وبسطت أعضاءها ، وجعلت تشرب الماء ، كي يعظم جسمها ، وتكون كالبقرة ، ثم عرضت نفسها على أخواتها ، وطلبت منهن أن يقارن بينها وبين البقرة . فقلن لها : هيهات أن تصلي ما وصلت إليه وعبثا تحاولين ، فلم تصغ للقول ، ورجعت إلى شرب الماء ، حتى انتفخت ، وماتت لوقتها ، ضحية ضلالها ، وفريسة جهلها ، كما قال الشاعر :

لايبلغ الأعداء من جاهل   ما يبلغ الجاهل من نفسه

٦٧ — الكلب الحر والكلب المأسور

الحرية مع الفقر خير من الاستعباد مع الغنى

مرّ كلب ضئيل قد أنهكه الجوع ، وأضعفه الاحتياج ، بكلب

مُمتلىء قد عظم جسمه ، وكثر خيره فتحادثا . فقال الكلب السمين ، صاحب العيش الرغيد : مالك قد أضناك الجوع ، وكاد يودى بحياتك ، وما عليك لو جئت معى ، وعشت عيشتى ، ولقيت نعيمى . فقال الكلب الضعيف : ذلك ما أبغيه ، ولكن ما هذا الذى أراه بجيدك . قال هذا أثر الحديد . لأن أصحابى يطلقوننى ليلا ، ويضعون الأغلال فى رقبتى نهاراً . فقال الضعيف دعنى أعش حُراً ، فلا لذة لى فى نعيم الحياة ورغد العيش ، وأنا أسمع رنين الحديد فى رقبتى .

إذا لم أجد فى بلدة ما أريده فعندى لأخرى عزمة وركابُ

٦٨ ـ الحصان والذئب

السيىء يرجع سوء عمله عليه

صادف ذئب حصاناً قد امتلأ شحما ولحما ، ورونقا وشبابا فى فصل الربيع . فعقد الآمال على أن يأكل من هذا اللحم الطرى الجميل ظلما وبغيا . فجاء إلى الحصان . وألقى عليه السلام وقال له

يا كريم الجياد ، إني حكيم ماهر ، عارف بأسرار الطب ، أعالج وأصرف الدواء مجانا . فقال له الحصان : بي وجع في رجلي من أثر القيد فقال الذئب : أرني يا أخي ، لا بأس عليك ، كأن هذا الوجع بكبدي ثم أمسك رجل الحصان وجعل يفكر كيف يفترسه . فلما أيقن الحصان بالشر ، ضرب الذئب برجليه ضربة جدعت أنفه ، وفرقت بين فكيه وتركته صريع بغيه ، قتيل مكره وخداعه لأن من حفر بئراً لأخيه أوقعه الله فيه (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) .

٦٩ — كسرى والكهل

اعمل الخير لأبنائك كما عملته لك آباؤك

مر كسرى على رجل كهل ، يغرس شجراً يثمر بعد زمن طويل ، فقال له : يا هذا ، إنك قد بلغت من العمر نهايته ، فكيف تغرس شجراً لعلك لا تدرك ثمره . فقال له : يا بني ، قد زرع لنا آباؤنا فأكلنا ، ونحن نزرع لأبنائنا ليأكلوا من بعدنا ،

فسر الملك من جوابه وأمر له بصلة . فقال الشيخ : أيها الملك الجليل ، قد أثمرت هذه الشجرة ثمراً طيباً بما وصلتني به وانتفعت به في حياتي ، فوصله ثانية فقال : إنها شجرة مباركة ، أثمرت مرتين في وقت واحد ، فسر كسرى وقال : هلموا بنا ، فقد ألقى علينا هذا الكهل درساً نافعاً فالعاقل من يعمل العمل المفيد لأنه في نفسه مفيد ، ولو لم ينتظر منه فائدة لنفسه في حياته الدنيا فما عند الله خير وأبقى ، وربما استفاد منه كما استفاد ذلك الكهل العاقل العامل المخلص .

٧٠ ـ مروان بن محمد وعبد الحميد الكاتب

أخوك حقيقة مَن قدَّمك وآثرك على نفسه

لما أيقن مروان بن محمد ، آخر خلفاء بني أمية ، بانقضاء ملكه وانتهاء حكمه ، لظهور آل العباس عليه ، ومناهضتهم إياه قال لعبد الحميد وكان إمام الكاتبين : قد احتجت إلى أن تصير مع عدوي ، وتظهر الغدر لي ، فإن إعجابهم بأدبك ،

وحاجتهم إلى كتابتك يدعوان إلى حسن الظن بك . فان استطعت أن تنفعنى فى حياتى ، وإلا لم تعجز عن حرمانى من بعد مماتى » . فقال عبد الحميد : « إن الذى أمرت به أنفع الأشياء لك وأقبحها .

بى وماعندى غير الصبر معك   حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك » ثم لزمه ولم يفارقه . وهكذا يكون الوفاء وتكون الأصدقاء « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

٧١ — معاوية وعبد الله بن الزبير

يستفيد العاقل باللطف ما لا يستفيده الجاهل بالعنف

كان لمعاوية بن أبى سُفيان عبيد يعملون فى أرض له تجاورُ أرضاً لعبد الله بن الزُّبير . فدخلوا ذات يوم أرض عبد الله فكتب إلى معاوية .

أما بعدُ . فيا معاوية إن عَبيدك دخلوا أرضى فانههم عن ذلك ، وإلا كان لى ولك شأن » فأخبر معاويةُ ابنه يزيد فقال : ابعث إليه بجيش ، أوله عنده وآخره عندك . يأتوك برأسه . فقال معاوية غير : هذا أوفق . وكتب يمدح عبد الله ويعظمه ويخبره أنه

ضم الأرض بعبيدها إليه . فكتب عبد الله : « قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه ، ولا أعدمه الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل ، والسلام » فأخذ معاوية الكتاب ودفعه إلى يزيد ، فتهلل وجهه . فقال له « يا بُنىّ من عفا ساد ، ومن حَلُم عَظُم ، ومن تجاوز استمال إليه القلوب : فإذا ابتليت بشىء من هذا فداوه بهذا الدواء » .

٧٢ ـ الهادى والخارجى

العاقل يعتمد على حيلته والجاهل يعول على قوته

ركب الهادى حماره ، وسار فى بستان له ، ولا سلاح معهُ ومعه بعض حاشيته فجىء إليه بخارجى ذى بأس وكيد ، بين اثنين قد أمسكا بيديه ، فلما اقتربا من الهادى أفلت منهما ، واختطف سيف أحدهما ، وقصد الهادى ففر الحاضرون ، وثبت الهادى مكانه حتى دنا منه الخارجى وهم أن يضربه بالسيف ، فأشار الهادى وراء الخارجى ، وقال يا غلام اضرب عنقه ، ولم

يكن هناك غلام فنظر الخارجي خلفه ، فنزل الهادي مُسرعا وقبض على عنقه وانتزع السيف منه وقتله به ، ثم ركب حماره ، فجعل الفارُّون يرجعون وقد ملئوا رعباً وخوفا ، فلم يعاتبهم . ثم التزم السّيف وركوب الخيل حتى قَضى نحبهُ من الدنيا وفارقها .

٧٣ — الرجل وابن عمه

أحبّ لأخيك ما تحبّ لنفسك

ذهب رجل من جند اليرموك[١] يبحث عن ابن عم له بين القتلى والجرحى ، ومعه قدح مملوء ماء ، فعثر به فوجده فى غاية ما يكون من التّعب ، فقال له : هل لك أن تشرب ، فلم يستطع أن يكلّمهُ ، فأشار إليه أن نعم ، ولكنه سمع رجلاً يئن جواره ، فأشار إلى الرجل أن يسقيهُ أوّلا ، فذهب إليه وقال له : هل لك أن تشرب ؟ قال : نعم ، ولكنه سمع رجلا يتأوّه فقال للرجل : أسرع إليه وأتنى بما يبقى ، فذهب إليه فرآه قد مات ، فعاد إلى الثانى فاذا هو ميت ، فذهب إلى

---

(١) اليرموك واد بالشام وقعت فيه حرب بين المسلمين والروم فى خلافة أبى بكر .

ابن عمه فوجده قد لحق بربه . فتلك هى المحبة ، وهذه هى الصداقة ،
وبمثل هذه الخلال ترقى الأمم وتتقدم الدول .

٧٤ — النساء والجند

الحاجة تفتق الحيلة — أو — الحاجة أمُّ الاختراع

خرج جيش المسلمين لقتال الروم الذين نقضوا العهود ، ولم يعبأوا بالمواثيق ، فلما التقى الجمعان انحـــاز نساء المسلمين إلى جانب ، فرأين العدوّ غالباً فقالت إحداهن : إن رجالنا فى نحر العدو ؛ ونحن خلوف وليس عندنا من يمنعنا . وقالت أخرى : إن الهزيمة بادية على رجالنا ، فلو أننا سِرنا إليهم كمدد ، لظن المشركون ذلك وانكسروا ، وهى مكيدة . فوافقتها على رأيها ، فعقدت لواء من خمارها ، واتخذت النساء رايات من خُمُرهن ، ومَضَين وهى أمامهن تقول .

يا ناصر الإسلام صفاً بعد صف إن تهزموا أو تدبروا عنا نخف[1]

أو يغلبوكم يغمزوا فينـــا القُلف[2]

---

(١) النخيف النفس العالى كناية عن شدة العذاب .

(٢) القلف نهايات حدود السيف .

وهن يرددن هذا الصوت كأنهن رجال ، فلما سمع العدو ورأى ، قال : هذا عدد ومدد أتى المسلمين ، فانهزم وانتصر المسلمون بهذه الحيلة :

الرأى قبل شجاعة الشجعان   هو أول وهى المحلُّ الثانى

٧٥ — المعتصم والغلام

فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

ذهب المعتصم ليعود عاملا من عُمّاله وكان لهذا العامل ولد ذكى الفؤاد سريع الخاطر ، حاضر الجواب . فلما رآه المعتصم قال له : « دارى أحسن أم دار أبيك ؟ » فقال الغلام : ما دام أمير المؤمنين فى دار أبى فهى أحسن . فسر منه ، ثم أراه خاتمه الذى بيده وقال له : « هل رأيت أحسن من هذا الخاتم ؟ » قال : نعم يا أمير المؤمنين ، اليد التى هو فيها . فسر المعتصم لذكاء الغلام ، وسرعة خاطره ، وانتزع الخاتم من يده ، وكافأه به وأنشد قائلا :

نعم الإله على العباد كثيرة   وأجلهن نجـــابة الأولاد

٧٦ — الإسكاف والأعرابى

رجع بخُفَّىْ حُنين

كان حنين إسكافاً ، فأراد أعرابى شراء خُفَّين منه ، فاختلفا وغضب حُنين وأضمر الشرّ للأعرابى ؛ فلما ارتحل الأعرابى ودخل الصَّحراء ، ذهب حنين مسرعاً مختفياً ، ووضع أحد خفيه فى طريق الأعرابى ، ووضع الآخر بعيداً عن الأول ، ثم كمن ، فلما مرّ الأعرابىُّ بالأوّلَ ، قال : ما أَشْبَهَ هذا بخُفِّ حُنَيْنٍ ولو كان معه الآخر لأخذتهما . ولما انتهى إلى الآخر ، نزل عن راحلته وأخذه وترك الراحلة وعاد ليأتى بالأول فخرجَ حنين من مكمنه واستاق الراحلة بما عليها . فرجع الأعرابى بالخفين ولم يجد الراحلة ، فذهب إلى قومه ، فقالوا له : بماذا رجعت إلينا ؟ فقال : « رجعت بخفى حنين» فذهب مثلا يُضرب عند الرجوع بالحقير ، وترك العظيم الخطير .

٧٧ — عمرو بن العاص وأمير غزة

الحازم مَنْ إذا وقع فى مكروه احتال للتخلُّص منه

دخل عَمْرُو بن العاص غزَّة فاتحاً ومعهُ أصحابه ، فبعث إليه

أميرها أن أوفد عليّ رجلا من أصحابك لأحدّثه بما أرى . فذهب عمرو بنفسه وحادثه فعجب منه وقال : هل فى أصحاب عمرو مثلك : فقال : إنى هيّن إذ بعثوا بى إليك ، فأمر له بجائزة ، وبعث إلى الحاجب سرًّا أن اضرب عنقه ، فلما مضى عمرو قابله صديق له نصرانى وقال له : ياعمرو إنك قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج ففطن عمرو ورجع إلى الأمير ، فقال له ما ردّك ؟ قال : نظرت فيما أعطيتنى فوجدته لا يسع بنى عمى ، فرأيت أن آتيك بعشرة منهم ، ليكون معروفك أوسع وفضلك أعم . فطمع الأمير فى قتله وقتل عشرة من أصحابه وقال له : عجّل بهم ، وبعث إلى الحاجب لا تقتل عَمْراً . فخرج عمرو وهو يقول : لا عدت لمثلها ، ونجا بحسن حيلته .

٧٨ — كسرى ومؤدبه

حسن الإرشاد سر النجاح والإسعاد

كان لكسرى مؤدّب نال على يديه التقدّم والرّقى ، فضرب كسرى ذات يوم من غير ذنب ، ليذوق ألم الظلم فلا يظلم وهو

ملك . فتألم كسرى وبحث عن ذنب فعله فلم يجد . فلما تولى الملك أمر بإحضار مؤدبه فجاء ، فقال له كسرى : فى يوم كذا ضربتنى ولا ذنب لى . فقال : أيها الملك العادل ، رأيت أنك ستكون ملكا ذا قول نافذ ، وحكم مسموع ، فأردتُ أن أذيقك ألم الظلم وأنت صغير حتى لا تلجأ إليه وأنت كبير فتعيش آمناً مطمئناً . فشكر له عمله ، ورفع منزلته .

٧٩ — عمر بن عبد العزيز والغلام

المرء بأصغريه : قلبه ولسانه

دخل على عمر بن عبد العزيز فى مبدإ ولايته وفود المهنئين ، فتقدم وفد الحجازيين بين يديه ، فقام من بينهم غلام لم يتجاوز الحادية عشرة من عُمره ، وأراد أن يتكلم عن قومه . فقال له عمر : اجلس أنت وليقم من هو أسن منك . فقال الغلام : أيدك الله يا أمير المؤمنين ، المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، فاذا منح الله العبدَ لساناً لافظاً وقلباً حافظاً ، فقد استحق الكلام ، ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن ، لكان فى الأمة من أحقّ منك بمجلسك هذا . فسرّ عمر من حسن

جوابه ، وفصاحة لسانه ، وأكرمه ، وسمع منه شكاة فئته ، وقضى حوائجهم .

والناس ألف منهمو كواحد وواحد كالألف إن أمرٌ عنا

٨٠ — المأمون ومؤدبه

من علّمنى حرفاً صِرْتُ له عبداً

يروى أن مؤدب المأمون حضر ذات يوم وانتظر خروج المأمون حتى سئم الانتظار ، فلما حضر المأمون ضربه مُؤدبه فبكى فاذا بوزير من وزراء أبيه استأذن عليه ، فاستوى المأمون جالساً ومسح عينيه وأذن له ، فلما دخل قابله المأمون بالبشر والايناس ، ولم يُظهر له أى كدر حتى انصرف ، فلما ذهب الوزير قال المؤدّب للمأمون : كنت أظن أن تذكر له ما كان بينى وبينك . فقال المأمون : إنى لا أحب أن أطلع أحداً على احتياجى إلى الأدب ووالله ما يطمع منّى والدى فى مثل هذا . لأن مَن علّمنى حرفاً صِرْتُ له عبداً . فسرّ منه مؤدبه وأحسن معاملته .

٨١ — الرشيد والخارجى

قوّة الحجة قد تكون من أسباب النجاة

ظفر الرشيد برجل من الخارجين عليه ، فقال له : ما تريد أن أصنع بك ؟ . قال : الذى تريد أن يصنعه بك الإله إذا وقفت بين يديه ، ولا أجد أذلّ منى بين يديك . فأطرق الرشيد ثم قال : اذهب حيث شئت ، فأغراه جلساؤه به ، وحذّروه منه . فأمر بردّه . فلما حضر قال : يا إمام الأئمة لا تطعهم فىّ ، فلو أطاع الله فيك خلقه ما استخلفك عليهم . فعجب من قوله ، وكمال فطنته وخلى سبيله ، لقوة حجّته ، وتمام ذكائه . فخرج آمناً مطمئناً .

٨٢ — خالد بن برمك وقحطبة

الاستعداد للحرب سِلْمٌ

مما ينبغى أن يتّصف به صاحب المُلك أن يكون بأعلى مكانة من اليقظة ، والاستدلال بقليل القول على كثيره ، كما روى عن

خالد بن برمك ، أنه بينما كان مع قحطبة فى معسكره جالسين فى خيمة إذ نظر خالد إلى سِرْب من الظّباء كاد يخالط العسكر ، فأشار على قحطبة بالركوب ، فسأله عن السبب فقال : الأمر أعجلُ أن أبين سببه ، فركب وأركب العسكر ، فلم يستتمّوا الركوب إلاّ والعدوُّ قد دَهِمهم . وقد استعدوا له بغير بطء ، فكانت النّصرة لهم على العدوّ . فلما انقضى الحرب ، سأل قحطبةُ خالداً من أين أدركتَ ذلك ؟ . فقال : رأيت الظباء وقد خالطتْ العسكر ، فعرفت أنها لم تفعل ذلك مع نفورها من الإنس إلا لأمر عظيم قد دَهِمَهَا من ورائها . فهكذا تكون اليقظةُ ، ويكون الانتباه ، والحذر أمانٌ من الخطر .

٨٣ — الملك ووزيراه

كتمان السر من خُلق الحر

يُرْوى أن ملكاً من ملوك العجم ، استشار وزيريه معاً فى مسائل سرّية . فقال أحدهما : لا ينبغى للملك أن يستشير منا أحداً فى أسراره إلا خاليا ، فإنه أصون للسر ، وأحزم للرأى ، وأجدر

بالسلامة ؟ وأعفى لبعضنا من غائله بعض ، فان إفشاء السر إلى رجل واحد : أوثقُ من إفشائه إلى اثنين ، وإفشاءه إلى ثلاثة كإفشائه إلى جملة . لأن الواحد رَهنٌ بما أفشى إليه ، والثانى مطلق عليه ذلك الرهن ، والثالث زائد ، وإذا كان السر عند واحد ، كان أحرى ألا يظهره رغبة أو رهبة ، وإن كان عند اثنين كان على شبهة واتسعت على الرجلين المعاريض[1] ، فان عاقبهما عاقبَ اثنين بذنب واحد ، وإن اتّهَمهما اتهم بريئاً بجناية مُجرم ، وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له ، وعن الآخر ولا حُجّة معه

٨٤ — المرأة وهارون الرشيد

اللبيب تكفيه الاشارة

دخلت امرأة على هارون الرشيد ، وهو بين فِئَة من أصحابه فقالت : يا أمير المؤمنين أقرّ الله عينيك ، وفرّحك بما أعطاك ، لقد حكمت فقسطت . فقال : من تكونين ؟ فقالت : من آل برْمك ممن قتلت رجالهم ، وأخذت أموالهم . فقال : أما الرجالُ فقد

---

(١) المعاريض من الكلام : مايقال فرارا من الحقيقة ويظن السامع أنه حقيقة

مضى فيهم قدَرُ الله ، وأمّا المال فردود إليك . ثم توجه إلى أصحابه وقال : أتدرون ما قالت هذه المرأة ؟ فقالوا : ما نراها قالت إلا خيراً . قال : ما فهمتم غرضها ، أمّا قولها : أقرّ الله عينيك ـ تريد أسكنها عن الحركة ، وإذا سكنت عميت . وأمّا قولها : وفرحت بما أعطاك تشير به إلى قوله تعالى : (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) . وأمّا قولها : حكمت فقسطت ، تشير به إلى قوله تعالى : (وأمّا القاسطون[1] فكانوا لجهنم حطباً) فسرّ الحاضرون من عبقرية الرشيد وسرعة خاطره .

٨٥ ـ كافور الاخشيد وصاحبه

المرء حيث يجعل نفسه

كان كافور وصاحبه عبدين أسودين ، فجيء بهما إلى قطائع ابن طولون ، حاضرة الديار المصرية وقتئـــذ ، ليُباعا في أسواقها . فتمنى صاحبه أن يباع لطبّاخ حتى يملأ بطنه بما شاء ، وتمنى كافور أن يملك

---

(١) القاسطون : الجائرون .

هذه المدينة ليحكم وينهى ويأمر ، وقد بلغ كلٌّ مناه ، فبيع صاحب كافور لطباخ ، وبيع كافور لأحد قوّاد المصريين ، فأظهر كفاءة واقتداراً ، ولما مات مولاه ، قام مقامه واشتهر بذكائه ، وكمال فطنته ، حتى صار رأس القواد ، وصاحب الكلمة عند الولاة ، وما زال يجدّ ويجتهد حتى ملك مصر والشام والحرمين . ثم مرّ يوماً بصاحبه فرآه عند الطباخ بحالة سيئة ، فقال لمن معه : « لقد قعدت بهذا همتَه فكان كما ترون ، وطارت بي همتي فكنت كما ترون ، ولو جمعتني وإياه همة واحدة ، لجمعنا عمل واحد » ولله درّ عمرو بن العاص ، حيث يقول : « المرء حيث يجعل نفسه ، إن رفعها ارتفعت ، وإن وضعها اتضعت » .

٨٦ — المهلب بن أبي صفرة وآخر

علم بلا عمل ، كشجر بلا ثمر

قال رجل للمهلّب بن أبي صفرة : يا أبا المهلب ، بم أدركت ما أدركت ؟ فقال المهلب : إنما أدركتُ ما أدركتُ بالعلم . قال الرجل : ولكن غيرك قد علم أكثر ممـــا علمت ولم يُدْرِك ما أدركتَ .

فقال المهلب : ذلك علم جُهِلَ ، وهذا علم استعمل ، وقد قالت الحكماء : العلم قائد ، والعقـــل سائق ، والنفس ذود . فإن كان قائد بلا سائق هلكت ، وإن كان سائق بلا قائد ، أخذت يميناً وشمالا ، وإذا اجتمعا أنابت طوعا أو كرها .

٨٧ — ابو العلاء المعرى وغلام عربى

ليس فى الإمكان أبدع مما كان

لقى غلام من العرب أبا العلاء المعرى الشاعر المشهور ، فقال له : من أنت يا شيخ ؟ قال : أنا أبو العلاء المعرى شاعركم المعروف ، فقال الغلام : أهلا بالشاعر الفحل ، أنت القائل فى شعرك :

وإنى وإن كنتُ الأخيرَ زمانُه ... لآت بمـــا لم تَستَطِعْهُ الأوائل

قال أبو العلاء : أنا الذى قلت هذا ، ولماذا ؟ فقال الغلام : قول طيب وثقة بالنفس ، وإعلان الكفاءة والقدرة ، ولـكن الأوائل قد وضعوا ثمانية وعشرين حرفاً للهجاء ، فهل لك أن تزيد عليها حرفاً واحداً ؟ فسكت أبو العلاء ، وقال : والله ما عهدت لى سكوتا كهذا السكوت .

٨٨ - الجاحظ وسعد بن عبد العزيز وغيرهما

لا يحمد الصمت فى كل المواطن

قال أبو تمام : تناقشنا فى مجلس سعيد بن عبد العزيز ، وفى فضيلة الكلام ، وفضيلة الصمت وأيهما أرفع شأنا ، وأعزُّ مكانا ، فقال واحد فى المجلس : إن الصمت زين الرجل وفضيلة من الفضائل المطلوبة له ، والمكملة لأدبه ، وكثرة الكلام دليل الطيش وعلامة على ضعف الرأى فأجاب سعيد بن عبد العزيز : يا هذا ، إنك تمدح السكوت بالكلام ، ولا يمدح الكلام بالسكوت ، ومن أنبأ عن شىء فهو [1] أكبر منه .

فقام الجاحظ وقال : كيف تقولون إن الصمت أنفع من الكلام ؟ ونفع الصمت لا يتجاوز صاحبه ، ونفع الكلام يعمُّ ويخصّ ، والرواة لم ترو سكوت الصامتين كما روت كلام الناظمين والناثرين فبالكلام أرسل الله تعالى أنبياءه ، وليس بالصمت أرسلهم ، ومواضع الصمت المحمودة قليلة ، ومواطن الكلام المحمودة كثيرة ، وبطول الصمت يفسد البيان ، ومحادثة الرجال تلقيح لألبابها .

---

(١) هكذا بالأصل ولعل الصواب فهو أكثر منه اه مصححه عبد الوصيف محمد .

٨٩ — عبد الملك بن مروان وأعرابى

احمد الله تعالى على ما أنت فيه

جاء أعرابى إلى عبد الملك بن مروان . فقال له عبد الملك : تكلم بحاجتك يا أعرابى : قال الأعرابى : يا أمير المؤمنين ، جلال الدّرجة ، وهيبة الخلافة يمنعاننى من ذلك . فقال عبد الملك : على رِسْلك يا أعرابى ، فإنا لا نحبّ مدح المشاهدة ، ولا تزكية الأمّاء . قال الأعرابى : أنا لست أمدحك يا أمير المؤمنين ، ولا أزكيك ، ولكننى أحمد الله تعالى على النعمة فيك .

٩٠ — أبو نواس وهارون الرشيد

الشعراء يقولون ما لا يفعلون

غضب يوما هارون الرشيد على أبى نواس فطلب إحضاره إلى ديوانه وأمر بقتله ، فلما حضر ورأى الديوان مُكتظا بالعلماء والأعيان ، وسمع أمر الرشيد بالحكم على قتله ، قال : يا أمير المؤمنين .

شهوة لقتلى ؟ قال : لا ، بل باستحقاق فقال أبو نواس : إن الله يحاسب ثم يعفو ، أو يعاقب ، فيم استحققت القتل ؟ . قال بقولك :

ألا فاسقنى خمراً وقل لى هى الخمر
ولا تسقنى سراً إذا أمكن الجهر

قال : يا أمير المؤمنين ، أعلمت أنه سقانى ؟ قال : أظن ذلك . قال : أتقتلنى بالظن ، وبعض الظن إثم . فقال : قلت أيضاً ماتستحق به القتل ، وهو قولك فى التعطيل .

ما جاءنا أحد يخبِّر أنه فى جنة مذ مات أو فى نار

قال . أفجاءنا أحد ؟ قال : لا . قال . فتقتلنى على الصدق ؟ ! .

قال : أوَ لست القائل :

يا أحمد المرتجى فى كل نائبة
قم سيدى نعص جبار السموات

قال : يا أمير المؤمنين أو صار القول فعلا ؟ قال : لا أعلم . قال : أتقتلنى على ما لا تعلم ؟ قال دع هذا كله فقد اعترفت فى مواضع كثيرة من شعرك بما يوجب القتل ، وذلك كالزنا والفجور

فقال أبو نواس : قد علم الله من هذا من قبل علم أمير المؤمنين ، وأخبر أنى اقول مالا أفعل . قال الله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ألم ترَ أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون » .

فقال الرشيد : دعوه يذهب وشأنه ، قطع الله لسانه .

٩١ — مطيع بن إياس ومعن بن زائدة

الدراهم كالمراهم

مدح مطيع بن إياس مَعن بن زائدة بقصيدته التى منها :

أهلاً وسهلاً سيّد العرب ذا المجد الواضحات والنُّجب

فتى النزار وكهلها وأخى الـ جود حوى غايته من كثب

فلما فرغ قال له معن : إن شئت مدحناك كما مدحتنا ، وإن شئت أثبناك . فاستحى مطيع من اختيار الثواب على المديح ، وكره اختيار المديح وهو محتاج إلى الثواب ، فأنشد يقول .

ثناءً من أمير خيرُ كسب لصاحب مغنم وأخى ثراء

ولـكن الزمان برى عظامى وما مثل الدراهم من دواء

فضحك مَعْن وقال له ، لقد صدقت ، فلعمرى ما مثل الدراهم من دواء وأنشد:

إن الدراهم فى المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وكمالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة وهى السلاح لمن أراد قتالا

ثم أمر له بجائزة حسنة مُكافأة له .

٩٢ - الحسن بن سهل واعرابى

لا خير فى السَّرف ، كما لا سرف فى الخير

كان الحسن بن سهل جم السخاء ، كثير العطاء ، فكتب إليه أعرابى يقول : ما هكذا والله ياالحسن سبيل الإحسان ، أما علمت أن لا خير فى السَّرف ، فأجابه الحسن بن سهل قائلاً : قد علمتُ أنا أنْ لا خير فى السَّرف ، فهل علمتَ أنت أيضاً أنه لا سرف فى الخير ؟

٩٣ _ الثقيل والظريف

زُرْ غِبًّا تزدد حبا

تردد ثقيل على ظريف وأطال ترداده عليه حتى سئم منه ،

فقال له الثقيل : من تراه أشعر الشعراء ؟ فأجابه الظريف : هو ابن الوردى بقوله :

غبْ وزُرْ غبا تزدد حبا فمن أكثر الترداد أضناه الملل

فقال الثقيل أخطأت فان النجارى أشعر منه بقوله :

إذا حققت من خلٍّ وداداً فزُره ولا تخف منه ملالا
وكن كالشمس تطلع كل يوم ولا تك فى زيارته هلالا

فأجاب الظريف : إن الحريرى أشعر منه بقوله :

ولا تزرمن تحبٌّ فى كل شهر غير يوم ولا تزده عليه

وإن لم تصدقنى فقد وهبتك الدار بما فيها ، وخرج وهو يقول :

إذا حل الثقيل بأرض قوم فما للساكنين سوى الرحيل

فخجل الثقيل وذهب فى سبيله .

٩٤ — الشاعر والمأمون

الشعر بالشعر حرام

أتى شاعر إلى المأمون فقال :

حيّاك ربُّ الناس حيّاكا إذ بجمال الوجه رقّاكا

بغداد من نورك قد أشرقت　　وأورق العود بجدوا كا

فأطرق المأمون وقال :

حياك رب الناس حياك　　إن الذى أملت أخطا كا

أتيت شخصا خلا كيسه　　ولو حوى شيئا لأعطا كا

فقال الشاعر : يا أمير المؤمنين ، الشعر بالشعر حرام ، فاجعل بينهما شيئا يستطاب . فضحك المأمون وأمر له بجائزة جزيلة .

٩٥ _ أعرابية وأخرى

الهوى خطرات محدثات

عاتبت أعرابية من المدينة أعرابية مثلها على هوى لها فقالت لها : أما علمت يا أختاه أنه قيل فى الحكمة الغابرة والأمثال الثائرة « لا تلومن من اساء بك الظن ، إذا جعلت نفسك هدفا للتهمة ومن لم يكن عونا على نفسه مع خصمه لم يكن معه شىء من عقدة الرأى ، ومن أقدم على هوى يعلم ما فيه من سوء المغبة ، سلط على نفسه لسان العذل وضيع الحزم » فأجابت الأعرابية المعذولة . أو ما علمت أنت أيضا أن الهوى ليس أمره إلى الرأى فيملكه ، ولا

إلى العقل فيدبره . وهو أغلب قدرة ، وأمنع جانبا من أن ينفذ فيه رأى الحازم . وهلاَّ سمعت قول الشاعر :

ليس خطب الهوى بخطب يسير
لا ينبيك عنه مثل خبير

ليس أمر الهوى يدبر بالرأ ى ولا بالقياس والتفكير
إنما الأمر فى الهوى خطرات محدثات الأمور بعد الأمور

فقالت : صدقت أنت ، وكذبت أنا .

٩٦ — اعرابى وسائل

لا تكن لحوحا

قال سائل لأعرابى : يا أعرابى ، أعطنى حاجة لوجه الله تعالى . فقال الأعرابى : والله ليس عندى ما أتفضل به على الناس ، والذى عندى ، أنا أولى الناس به . قال السائل : أين الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . فقال الأعرابى : ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافا .

٩٧ - عبيد الله بن سليمان وابو العيناء

الطَّبع يغلب التطبع

دخل أبو العيناء الشاعر على الوزير عبيد الله بن سليمان فشكا إليه حاله . فقال عبيد الله : أما كتبنا لك إلى إبراهيم بن المدبر ؟ فقال أبو العيناء : نعم ، كتبتَ إلى رجل قصّر من همته طول الفقر ، وذلُّ الأسر ، ومعاناة محن الدهر ، فأخفقته فى طلبتى .

فأجابه عبد الله : إنما أنت الذى اخترته لنفسك . فقال أبو العيناء . وما على - أعز الله الوزير - فى ذلك فقد اختار موسى من قومه سبعين رجلاً ، فما كان منهم رجل رشيد . واختار المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، ابن أبى السرح كاتباً ، فرجع إلى المشركين مرتدًّا . واختار علىّ بن أبى طالب أبا موسى حاكما له فحكم عليه .

٩٨ - الخليفة المتوكل وابو العيناء

الجزاء من جنس العمل

قال الصولى : دخل أبو العيناء على الخليفة المتوكل ، فدعا له

وكمله فاستحسن الخليفة . كلامه وقال : يا أبا العيناء بلغنى أن فيك شرًا . فأجاب أبو العيناء : إن يكن الشرّ عبارة عن ذكر المحسن بإحسانه ، والمسىء بإساءته ، فقد مدح الله وذمّ . فقال فى المدح . « نعم العبدُ إنه أوّاب » وقال فى الذم « همازٍ مشاء بنميم مناع للخير ، معتد أثيم » وقال الشاعر :

إذا أنا لم أمدح على الخير أهله   ولم أذمم الرجل اللئيم المذمما

ففيم عرفت الخير والشر باسمه   وشق لى الله المسامع والفما

وإن كان الشرّ كفعل العقرب التى تلدغ الرفيع والوضيع بطبع لا يتميز ، فقد صان الله عبدك من ذلك .

٩٩ — الطفيلى والشعراء

نظر طفيلى إلى قوم ذاهبين فلم يشك فى أنهم مَدْعُوّون إلى وليمة . فقام وتبعهم ، فإذا هم شعراء ، قد قصدوا السلطان بمدائح لهم . فلما أنشد كل امرىء منهم شعره ، وأخذ جائزته ، فلم يبق إلا الطفيلى وهو جالس ساكت . فقال السلطان أنشد شعرك . فقال الطفيلى : لست بشاعر وإنما أنا من الغاوين الذين قال الله تعالى

فى حقهم : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، فضحك السلطان وأمر له بجائزة الشعراء .

١٠٠ ـ النابغة والنعمان وكعب بن زهير

رب كلمة جلبت نعمة ، وكلمة جرت نقمة

دخل النابغة على النعمان بن المنذر فقال :

تخف الأرض إن تفقدك يوماً   وتبقى ما بقيت بها ثقيلا

فنظر إليه النعمان نظر الغضبان وكان كعب بن زهير حاضراً فقال : أصلح الله الملك ، إن مع هذا البيت بيتاً ضلّ عنه ، هو

لأنك موضع القسطاس منها   فتمنع جانبيها أن تميلا

فضحك النعمان وأمر له بجائزتين .

١٠١ ـ الحريرى وطالب الادب

تسمع بالمعيدى خير من أن تراه

كان الحريرى قذراً فى نفسه ، رديئاً فى شكله ، رث الهيئة فجاءه يوما رجل غريب ، لكى يأخذ عنه شيئاً ، فلما رآه على تلك

الحالة السيئة ، ازدراه فى نفسه . ففهم الحريرى منه ذلك . ولما حان وقت أخذ الدرس أملى الحريرى قوله :

ما أنت أول سار غرّه قمر ورائد أعجبته خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيرى إننى رجل مثل المعيدى فاسمع بى ولا ترنى

فخجل الرجل وانصرف عنه .

١٠٢ — الخليل بن احمد وابنه

كان الخليل بن أحمد يقطّع فى علم العروض ، فدخل عليه ولده فى تلك الحالة التى لم يبق له بها مثيل ، فخرج إلى الناس وقال : إن أبى جنّ فدخل الناس عليه وهو يقطع العروض الذى اخترعه من بنات فكره وأخبروه بما قاله ابنه ، فقال له :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتى فعذلتنى وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

١٠٣ — داود بن المهلب واحد الأعراب

ليس فى مال الأمير ما يفى بقدره

قام أعرابى بين يدى داود بن المهلب وقال : إنى مدحتك

يا أمير المؤمنين فاستمع . فقال له داود : على رِسْلك . ثم دخل بيته فتقلد سيفه وخرج وقال له : قل الآن ، فان أحسنت جازيناك ، وإن أسأت قتلناك . فأنشد الأعرابي :

أمنت بداود وجود يمينه　　من الحدث المخشى والبؤس والفقر
وأصبحت لا أخشى بداود كبوة　　من الدهر لما أن شددت به أزرى
له حكم داود وصورة يوسف　　وملك سليمان وعدل أبي بكر

فقال له داود ، قد كافأناك فان شئت على قدرنا وإن شئت على قدرك ؟ قال الأعرابي : بل على قدرى يا أمير المؤمنين ، فأمر له بخمسين ديناراً ، فأنكر عليه ذلك أحد الحاضرين وقال له : يا أعرابي ، أتحتكم على قدر نفسك ، ولا تحتكم على قدر الأمير ؟ وفيه كسب لك ؟ ! قال الأعرابي : نعم ، أحتكم على قدرى ، لأنه ليس فى مال الأمير ما يفى بقدره .

١٠٤ – ملك وغلام وعربى

لا تمتحن امرأ حتى تجربه

مر أحد الملوك بغلام عربى يسوق حيواناً بعُنْفٍ وشدة ، والحيوان

بطىء الحركة قليل الهمّة . فقال الملك : يا غلام ، ارفق بهذا الحيوان ، فقال الغلام : يا أيها الملك ، فى الرفق به مضرّة له . قال الملك : وكيف ذلك ! وإنى لا أرى مضرة غير الذى هو فيه الآن ؟ قال الغلام : ذلك أنه إذا أبطأ يطول طريقه ، ويشتد جوعه ، ففى العُنف به إحسان إليه. فقال الملك : وما الإحسان إليه ؟ قال الغلام : يخفّ حمله ، ويطول أكله . فأعجب الملك بجوابه وكافأه . فقال الغلام : هو رزق مقدور ، وواهب مأجور . قال الملك : لقد أمرت بإثبات اسمك فى بطانتى . قال الغلام : كفيت مؤونة ، ورزقت بها معونة ، قال الملك : ولولا حداثة سنك لاستوزنك . قال الغلام : لن يعدم الفضل من رُزق العقل . قال له الملك ، وهل تصلح لذلك يا غلام ؟ قال الغلام ، إنما يكون المدح والذم بعد التّجربة ، ولا يعرف الانسان نفسه حتى يبلوّها .

١٠٥ — اعرابية واخرى

لذّة الهوى فى التّنقل

تزوّج أعرابى امرأة على امرأته ، فجاءت الثانية على باب الأخرى وقالت :

وما يستوى الرجلان(١) صحيحة

ورجل رمى فيهـــا الزمان فشُلَّت

ثم عادت بعد أيام وقالت :

وما يستوى الثوبان ثوب به البلى

وثوب بأيدى البـــائعين جديد

فعند ذلك خرجت الزوج القديم وقالت :

نقِّل فؤادك حيث شِئت من الهوى

ما القلب إلا للحبـــيب الأول

كم منزل فى الأرض يألفه الفتى

وحنينـــه أبداً لأول منزل

١٠٦ ـ هشام بن عبد الملك وأعرابى

وأما بنعمة ربك فحـدث

مدح أعرابى هشام بن عبد الملك فقال له هشام · يا هذا ، إن مدح الرجل فى وجهه غير مرغوب فيـــه ، ومنهى عنه ، فلا تمدح

(١) هكذا بالأصل والبيت مختل المعنى والوزن وصحته : رجلان صحيحة اه مصححه عبد الوصيف محمد .

الناس فى وجوههم . فقال الأعرابى . والله ياهشام إنى لست امدحك ولكننى اذ كّرك بنعم المولى تبارك وتعالى عليك ، حتى لا تنساها ، فتجد لها شكرا .

١٠٧ ـ ثلاثة يناظرون عالما من العلماء

كل ما خطر ببالك فهو هالك ، والله بخلاف ذلك

كان أحد العلماء عاكفا فى بستان له ، لا يخالط أحدا من الناس ، فسمع به ثلاث من الذين يسخرون من أمثاله ، فقال قائل منهم ، هلموا بنا لنناظره . فلما ذهبوا واجمعوا أن يسألوه ، أشار إليهم أن ادنوا وتكلّموا ، فتقدم الأول وقال ، أنتم تقولون . الله موجود ، وبناء عليه اطلب أن أرى الله . فأشار إليه نعم . وتقدم الثانى وقال له ، انتم تقولون العذاب يوم القيامة بالنار ، والجن خلقت من النار فكيف تعذب النار بالنار ؟! ثم تقدم الثالث وقال له : أنتم تقولون كل شىء بالقضاء والقدَر ، فان كان كما تقولون ، فالإنسان غير مؤاخذ على أعماله ، وانا أرى ان المرء يخلق اعماله فما كان من هذا العالم المسئول . إلا أن أخذ حفنة من التراب

وذرّها فى وجوههم وقال لهم : هذا جوابى لكم على ما سألتمونى .
فأجمعوا أمرهم لا بد من سياقه إلى المحاكمة ، ومشوا به إلى الحاكم
فسأله الحاكم : أصحيح ما يقولون ، من رميك التراب فى وجوههم ؟
قال : نعم . قال له ولِمَ ؟ قال : لأن الأول سألنى أن اريه ربّه ، حيث
إنه موجود . فقل له : يرينى الألم الذى تألم به من حفنة التراب ، وأنا
أريه ما يريد . فسأله الحاكم : يمكنك أن تريه الألم ؟ قال لا . قال العالم :
قل إذاً ، ليس كل موجود يرى .

وأما الثـانى ، فسألنى عن كيفية عذاب الجن بالنار يوم القيامة ،
واستبعد إيلام الشيء بمادته . فقل له : لِمَ هو تألم من التراب وهو
مخلوق منه .

وأما الثالث فسألنى عن معنى القضاء والقدر ، وقال لى : لا بد
ان اسلم له بأن المرء مجبور على أعماله ، ونسى ما للانسان من الاختيار
الكسبى . فاذا كنت أنا لا اختيار لى فيما فعلت به من ذرّ التراب ،
فلِمَ ساقنى إلى المحاكمة .

فنطق الحاكم وقال لهم : لا ترموا أن تحيطوا بالله خُبْرَة ، فانه
أعظم من أن تدركه فِطَن المخلوقات إلا من آثاره .

١٠٨ ـ المنصور وابن إدريس

الحياء من الايمان

رُوى أنّ ابن إدريس ، كان ليلة بين يدى المنصور ، وكان القمر يبدو تارة ويخفيه السحاب مرة أخرى ، فاقترح المنصور على ابن إدريس أن يقول فى ذلك شيئا . فقال :

أرى بدر السماء يلوح حينا فيبـــدو ثم يلتحف السّحابا
وذلك أنه لمـــا تبدّى وأبصر وجهك استحيا فغابا

١٠٩ ـ الجاحظ ومحمد بن عبد الملك

الكريم إذا نال أقال ، واللئيم إذا نال استطال

كان الجاحظ كثير الميل ، عظيم الرغبة إلى محمد بن عبد الملك دون (أبى داؤد) فلما نكب ، محمد بن عبد الملك ، جاءوا بالجاحظ بين يدى أبى داؤد مكبلا بالأصفاد . فقال له : (والله لا أعرفك إلا متناسيا للنعمة ، كفوراً للصنيعة ، معددا للمساوى ، وما فتئت أستعطفك ،

ولكنّ الأيام لا تصلح منك ، لفساد طويتك ، ورداءة دخيلتك ، وسوء اختيارك ، وتغلب طباعك) .

فأجاب الجاحظ بثبات وتؤدة : خفض عنك ، اصلحك الله ، فوالله لأن يكون لك الأمر علىّ ، خير من أن يكون لى عليك ، ولأن أسيء وتحسن ، أحسن فى الأحدوثة من أن أحسن أنا ، وتسيء أنت ، ولأن تعفو عنى ، على حال قدرتك علىّ ، أجمل بك من الانتقام منى ، والسلام.

١١٠ - ابو العيناء وابن ابى دؤاد

لا يحيق المكر السيء إلا بأهله

قال أبو العيناء لابن أبي دؤاد : إن قوماً تضافروا على . فقال ابن أبي دؤاد : لا يضرك تضافرهم ، فيد الله فوق أيديهم . قال أبو العيناء : ولكنهم جماعة ، وأنا فرد واحد . فقال ابن أبي دؤاد « كم من فئة قليلة غلبت فئةً كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » قال أبو العيناء : إن لهم مكرا واخاف مكرهم . فقال ابن ابى دؤاد « ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله » .

١١١ ـ اعرابى وعجوز

إذا عميت البصائر ، فلا ينفع نور النواظر (١)

بينما كانت امرأة عجوز تمشى الهُوينا ، إذ مر بها أعرابي يقود بعيراً محمَّلا . فقالت إلى من تحمل هذه الهدية ؟ فقال . ليست هذه هـديةً ، وإنما هى هدًى . قالت : وما هُداك ؟ قال : كتاب فى الدليل على وجود الله ، فضحكت العجوز ، فاستغرب الأعرابي وقال : ألم أنبئك بالصَّريح ، فما هذا الضحك يا أماه ؟ قالت يا بُنىّ أنا لست أضحك منك ، وإنما أضحك ممّن لا يقر بوجود مولاه بعـد مشاهدة هـذا الكون وما فيه من الآيات ، ثم هو يقنع بحمل بعير . قال لها : أما علمت أنها إذا عميت البصائر ، فلتقرأ النّواظر قالت : صـدقت .

١١٢ ـ الصرصار والنملة

العاقل من ادّخر فى الرّخاء ، ما ينفعه فى الشّدة والشّقاء .

---

(١) هكذا بالأصل ولعل صوابه : فقد ينفع نور النواظر وفى الآخر يقال لم يبق إلا أن تقرأ النواظر ليستقيم أول الكلام مع آخره اه مصصحه عبد الوصيف محمد .

أضاع صرصار زمن الصيف فى اللهو واللعب ، ولم يدّخر للشتاء ما يغنيه عن المسألة ، ويقيه شرّ الذلّ . فلما جاء الشتاء ، افتقر إلى الغذاء وعجز عن السّعى لشدّة البرد ، فقصد مسكنَ نملة ، واستقرضها شيئاً من القمح، حتى إذا جاء الصيف ردّه . فقالت له : وما منعك أن تدّخر مثلى ، وتسعى سعيى ، ولا تعرّض وجهك لذلّ المسألة ؟ فقال قد فرّطت ، وندمت على ما فعلت . فقالت له : جزاء المفرط الإهمال ومقابلته بالإعراض ، وليس عندى ما أستغنى عنه ، وأدفعه إليك ، فسل غيرى ، وتذكّر موقفك هذا متى جاء الصيف . قال يا أختاه قد سمعت مقالتك ، وقبلت نصيحتك ، والآن لا أجد من يقرضنى فأجيبى سؤالى ، وكفانى ما رأيت ، جزاك الله خيراً . فأعطته جزءاً من القمح ، فتناوله ومضى كئيباً حزيناً وذلك جزاء المهملين .

١١٣ — الأسد والذئب والثعلب

الفتنة نائمة ، لعن الله من أيقظها

يروى أن أسداً مرض ، فعادته الوحوش ، وتخلّف الثعلب ، فوشى به الذئب عند الأسد ، فسمع الأسد كلامه ، وقال له : إن

جاء فأخبرني . وكان بحضرتهما أرنب ، فمضى مسرعاً وأخبر الثعلب بما جرى ؛ فصاد الثعلب كركيّاً ؛ وترقّب خلوة الأسد؛ ودخل عليه . فقال له الأسد : ويلك ؛ أمرضُ فتعودني الوحوش كلها إلا أنت . فقال الثعلب : أيها الملك ، المطاع امرُه ؛ الشديد بأسه ، الجليل قدره ، لقد علمت مرضك ، فحزنتُ كثيراً ، ولكني كنت أستشير الأطباء فأشاروا عليّ بأن تأكل كركيّاً ، وتستخرج مرارته وتمزجها بدم من ساق ذئب وتدهن بها ؛ فإنك تبرأ بُرءا عاجلا بمشيئة الله تعالى ، وقد احضرت الكركى . فتناوله الأسد واستخرج مرارته ، وأكله ؛فوجد من نفسه نشاطاً ؛ فصدّق الثعلب . فلما حضر الذئب ؛ قبض عليه الاسد وقطع رِجلاً منه ؛ ومزج مرارة الكركى بدمها وادهن بها فخرج الذئب ودمه يتقطّر ؛ ورجله ترجف ؛ حتى سقط مغشياً عليه . فقال له الثعلب . يا صاحب الخف الأحمر ؛ إذا حضرت المجالس ؛ فاحفظ لسانك ؛ واترك الوشاية ؛ فإنك تنجو من الضرر ؛ وتسلم من الخطر .

اذا حضرتَ الملوكَ فالبس من التوقّى أجلّ ملبس

وادخل إذا ما دخلت أعمى وأخرُج إذاماخرجتَ أخرس

١١٤ — البلبل والأرنب

لاتظهر الشماتة بأخيك ، فيعافيه الله ويبتليك

يقال إن نسراً اختطف أرنباً وطار ، فرآهما بلبل ، فخاطب الأرنب شامتاً مستهزئاً ، وقال له اين كانت رجلاك أيها الأرنب حتى اختطفك هذا النسر ؟ فسمع صوته غراب ، فانقضّ عليه وأخذه . فقال الأرنب للبلبل ، وهما يعانيـــان الموت : أين كان جناحاك يا بلبل حين أخذك الغراب ؟ فانظر ما دهـاك ، وشاركنى فى الهـلاك ، ولا تفرح لمصيبة غـيرك ، ولا تشمت به ، فإن ذلك جهل وحمق ، ألم تسمع قول القائل :

إذا ما الدهر جرّ على أناس نوائبه أناخ بآخرينا

فقل للشـامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتـون كما لقينا

ثم شهق شهقة مات بعدها ، وكذا البلبل . فالعاقل لا يشمت بغيره ولا يفرح لمصيبة سواه .

١١٥ - البطتان والسلحفاة

من لم يسمع يأكل لما يشبع

كان بغدير بطتان وسُلَحفاة ؛ كنّ على أحسن ما يكون من الوِئام والصفاء ؛ ففاض ماء الغدير ؛ وأجدبت الأرض ؛ فعزمت البطّتان على الرحيل لارتياد الماء والعشب . فقالتا للسُّلَحفاة : قد اصبح هذا المكان كما ترينْ من الجدب ؛ وسنرتحل عنه . فقالت لهما : خذانى معكما ، لأنى لا أهنأ بفراقكما . فقالتا لها : حبا وكرامة ؛ سنأخذ بطرفى عود ؛ وتتعلقين فى وسطه بأسنانك ؛ وإياك أن تنطقى إذا سمعت الناس يذكرونك بشىء ، ففعلت وطارتا بها . فقال الناس : عجباً ، سُلَحفاة بين بطتين يحملانها . فلما سمعت السلحفاة قولهم ، لم تملك نفسها ولم تعمل بالوصية ، وقالت للناس : فقأ الله أعينكم . فسقطت عقب كلامها ، وماتت لوقتها ، وذلك جزاء تركها نصح المُحبّين ، ووصية المخلص الأمين .

١١٦ - الاسد والثعلب والضبع

العاقل من وعظ بغيره

اصطحب أسد وثعلب وضبع ؛ فخرجت للصيد ذات يوم فصادت حماراً وظبياً وأرنباً . فقال الأسد للضبع : اقسم بيننا . فقال : الأمر هيِّنٌ ؛ الحمار لك ؛ والظبي لى ، والأرنب للثعلب ، فضربه الأسد ضربة قضت عليه ، ثم اقبل على الثعلب وقال له : إن هذا الخائن لم يحسن القسمة ، فاقسم أنت . فقال : يا أبا الحارث ، الأمر بين ، الحمار لغذائك ، والظبي لعشائك ، وكُل الأرنب فيما بين ذلك . فقال الأسد : ما أحسن قضاءكَ من علمك هذا ؟ فقال : علَّمنيه موت هذا الخائن . والعاقلُ مَنْ وعظ بغيره .

١١٧ ـ الذئب والحمل الصغير

ذهب حمَل صغير إلى نهر ليشرب من مائه كعادته . فرآه ذئب فأقبل عليه مسرعاً ، ووقف فى الجهة العليا التى يرد منها الماء ثم قال للحمل : عكرت على صفو الماء : فقال الحمل : كيف ذلك

والماء يجرى إلىَّ من عندك ! فغضب الذئب، وقال : لقد أسأت الأدب ، واقترفت ذنباً ثانياً بردّك على ، ولى عليك ذنب ثالث ، وهو سبّى وشتمى فى السنة الماضية . فقال الحمل وهو موقن بالهلاك : يا سيدى أنا مولود فى هذا الحول ، وقد خاطبتك بكل أدب ولين . فقال الذئب : ويلك يا خبيث ، إن لم تكن أنت الشاتم ، فهو أبوك أو أخوك أو أحد أقاربك ، وعلى كل حال فأنتم لنا أعداء ، من غير استثناء . ثم وثب عليه ومزّقه وأكله .

وهكذا قوّةُ أهل الظلم تحملهم على ارتكاب الجُرم .

١١٨ - العصفور وأولادها

من لم يتحمل ذل التعلم ساعة ، عاش فى ذل الجهل أبداً

خرج تلميذ للهو واللعب ، تاركا دروسه ، مهملا واجباته . ثم جلس فى بستان ، فرأى عصفوراً فوق شجرة تعلم أولادها الطيران ، فأخرجت الأول ثم طارت أمامه من أسفل الغصن إلى أعلاه ، ومنه إلى ما يجاوره ، ثم إلى أبعد منه ، وهو يتبعها وما زالت به تعلمه ، حتى

قدر أن يفارق الشجرة إلى شجرة أخرى فتركته ، وجاءت بغيره وعلمته ، وهكذا حتى صادفها فرخ من فراخها لم يقدر على اتباعها ، فأخذته إلى العش ونقرته نقرا خفيفاً ، واخرجته وطارت ، فتبعها ، ثم عجز . فأخذته ونقرته نقرا شديدا وطارت فتبعها ، ومازالت به حتى صار كإخوته وتمتع بهذا الفضاء الفسيح يطير فيه ويصيص : فلما رأى التلميذ المهمل ما رأى خاطب نفسه وقال : إن أنا تحملت ألم التعلم جزءا من حياتى ، عشت سعيدا كما يعيش هذا العصفور . واعتنى بدروسه . فكان النجاح أليفه والسعد حليفه .

١١٩ - القنبرة وفرخها

من استعجل على شىء قبل أوانه عوقب بحرمانه

يقال إن قنبرة كانت تعلم فرخها الطيران ، فنصحت إليه ألا يعتمد على جناحيه ، حتى يأنس من نفسه القوّة والشدّة . وجعلت تطير أمامه من غصن إلى غصن يقاربه ، ومن عود إلى عود يجاوره ، وهى تستريح فى كل نقلة كى يستريح فرخها ، ولا يمل ثقل الهواء . فخالفها وطار وارتفع مظهرا النشاط والمهارة . فخاناه جناحاه ،

وسقط وانكسرت ركبتاه ، ولم ينل مناه ، ولو تأنى لنال ما تمنى ، وعاش سعيداً .

لكل شيء في الحياة وقته وغاية المستعجلين فوته

١٢٠ — الحمار والكلب

ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله

سافر رجل ومعه كلبه وحماره ، في يوم شديد الحر ، فلما جاء وقت الظهيرة ، أوقف السير ليستريح ، ثم نام ، فدخل الحمار أرضاً مزروعة وأكل منها ، وكان بعنق الحمار سلة فيها طعام . فقال الكلب : يا هذا طأطيء رأسك ، حتى آخذ طعامي من السلة فقد اضر بي الجوع ، فامتنع الحمار وقال : انتظر مولاك حتى يستيقظ فيعطيك نصيبك ، ولم يتم الحمار كلامه حتى خرج عليه ذئب عظيم ، فاستغاث بالكلب ، فقال له : إني لا استطيع منع الذئب عنك حتى يأذن لي مولاي ، فانتظر حتى يستيقظ ثم وثب الذئب على الحمار ومزق بطنه . وهذا جزاء السفيه الغبي الجاهل :

من يزرع الشر يحصد في عواقبه ندامة ولحصد الزرع إبان

١٢١ — الطير والثعلب

لا تعاشر من لا تعرفه حتى تختبره

يُقال إن ثعلباً ذهب إلى سفح جبل فيه شجر مورق ، فوقه طير كثير . فجاء إليه عظيم الطير ، وقال له : مِن أين أنت ؟ وماصنعتك ؟ فقال : إنى عابر سبيل ، وصناعتى حفظ الطير من الإنسان ، ومعرفة الثمار إذا نضجت ، فقال له عظيم الطير : عِشْ معنا وكل مما نأكل منه ، واشربْ مما نشرب ، فرضى الثعلب ، وجعل يخبر الطير بنضج الثمار ، والاحتراس من الصيادين إذا اقبلوا . فعظمت منزلته ، ثم تاقت نفسه إلى أكل اللحم ، فصار يأخذ الطائر ويأكله ويدفن ريشه وعظامه ، حتى أذهب كثيراً من الطير ، فشكت الطيور ذلك إلى عظيمها ، واتّهمت الثعلب ، فقال عظيمها : سأبحث عن ذلك بنفسى . ولما جنّ الليل ، اقبل الثعلب فصادف عظيم الطير فأخذه ، فقال له : اتركنى اجعل منزلتك عظيمة بيننا ، فقال الثعلب ، إن آبائى أدّبتنى ألا اعلق انيابى بصيد واتركه ، ثم أكله وادفن ريشه وعظمه كعادته . ولما علم

الطير ذلك ، اجتمع على الثعلب وجعل ينقره حتى مات . وهـذا جزاء الخائن ، وتلك عاقبة من يعاشر من لا يعرفه .

لا تُظهرن ودّ امرىء قبل خُبره   وبعد بلاء المرء فاذمم أو احمد

١٢٢ — الأسدان

العدل أحسن شيمة ، والغدر عاقبته وخيمة

يُزْعَمُ أن أسداً تملك على الوحوش ، فظلم واستبدّ وجار ، ولم يعدل . فأجمعت على بغضه ، وتربصت به الدوائر ، وكان فيها شبل مات أبوه وربّته أمه أحسن تربية ، فلما كبر ، ملك القلوب بإحسانه ، وجميل خلاله ، وانضم إليه قسم من الوحوش فسار بالعدل والإحسان ، ولما علم به الأسد الظالم ، جمع الوحوش لمقابلته ، والايقاع بما معه من الوحوش ، وسار إليه بقضّه وقضيضه . فارتاع الأسد العادل مما رأى ، واستشار أصحابه فأشاروا عليه بملاقاته ، وقالوا له ، إننا سنحارب بقلوبنا ، وسنخذله وما معه من الجموع . ولما التقى الجمعان انفضّ من حول الظالم جُنده وبقى فى الميدان وحيداً . فأسر وأوقف أمام الأسد العادل

موقف الصغير الذليل ، فعفا عنه وسجنه . وأمر أن يُقدَّم إليه كل ما يحتاجه من طعام وشراب ، واستولى على ملكه فحكمه بالعدل ، وانفرد بالحكم.

١٢٣ — الغراب والسنور

وإنما الإخوان فى الشدائد

تآخى غراب وسنّور ، وتصادقا وتحابّا ، فكانا ذات يوم جالسين تحت شجرة يتحدثان ، فأقبل عليهما نمر ، فطار الغراب على الشجرة ، وبقى السنور متحيراً ، فقال للغراب : أيها الصديق المخلص ، نجنى بحسن حيلتك . فطار الغراب نحو راعٍ كان قريباً من الشجرة ومعه كلابه ، فناوشها فاتبعته وما زال يناوشها وتتبعه ؛ حتى اقترب من النمر . فلما رأت الكلاب النمر ، وثبتْ عليه ومزقته شرَّ مُمزَّق . ونجا السنور بحيلة الغراب صاحبِه وصديقه ، وهكذا تكون الاخوان :

جزى الله الشدائد كلَّ خير عرفتُ بها عدوّى من صديق

١٢٤ – الاسد والحمار

لا تأمن عدوك أبداً

ذهب حمار إلى المرعى فغاصت قوائمه فى الطين ، فرام الخلاص فازداد غوصاً . فجعل يشرب مما حوله من الماء ، ويأكل مما جاوره من النبات حتى شبع ، فنهق نهيقاً عالياً فسمعه أسد ، فأقبل عليه وسلم . ثم سأله عن أمره فحيّاه وقال له : يا أبا الحارث لولا الوحل ما مكثت هنا فأنقذنى فأنت ملك كريم ، فقال الأسد : أنا كما قلت . وسأكشف عنك الكرب ، عاملا بقول القائل :

من أغاث البائس الملهوفا   أغاثه الله إذا أخيفـــا

ثم ذهب إلى مسيل الماء وسدّه ، فجعل الماء يقلّ والحشيش يذهب من الأكل ، حتى انتهى الماء والحشيش من حول الحمار . فشرع الأسد يجمع بعض الحشائش ويقدمها إليه ، حتى جفّت الأرض واستطاع المشى عليها ، فوثب على الحمار وثبة تركته ممزّقاً فأكله وانصرف ، بعد ما أظهر من المساعدة والإحسان ما يغترّ به كلّ جهول :

إن العدوّ وإن أبدى مُسالمة   إذا رأى منك يوما غرّة وثبا

١٢٥ — الحمامة والصقر

من ظلم مَن دونه ظلمه من فوقه

طارت حمامة فبَصرت بحبّ تحت خيوط جميلة بيضاء ، فنزلت لتأكل ، فأمسكت بها الخيوط ، فإذا هى شرك لصيّاد ، فحمدت ربها على ما أصابها ، ولكنها مالبثت أن رآها صقر فانقض عليها ليأخذها ظلما وبغيا . فوقع معها فى الشّرك . فقالت الحمامة : ويحى ، مُصيبتان فى آن واحد . ولم تكد تتم كلامها حتى جاء الصياد ليأخذهما . فقال له الصقر : أيها الإنسان ارحمنى واعفُ عنّى . فقال له : وما أوقعك فى هذا الشّرك ، ألم ترَ الحمامة فسقطتَ عليها كالصاعقة لتأخذها أخذ الظالم الباغى ، فوقعتَ حيث وقعت الحمامة ؟ لو أنك لم تفعل الأذى لم ينلك الأذى ، ولا بدّ للظالم من يوم يعاقب فيه على شرّ ظلمه ، ألم تسمع قول القائل :

إن من أضعف الضعفاء لدى الله قوىّ يستضعف الضعفاء ثم أخذهما ومضى .

١٢٦ — الغراب المقلد للنسر

التقليد الأعمى يضر

رأى غراب نسراً عظيماً قد انقضّ على حمل صغير من الغنم واختطفه وطار به ، فأراد الغراب أن يقلده فيما فعل . فطار وارتفع ، ثم نزل مسرعاً على كبش قد عظم صوفـــه وطال ، فعلق به أظفاره ثم حاول الصعود به فلم يقدر ، فأراد النجاة فلم يقدر ، فجاء الرّاعى وأولاده ، وأخذوا الغراب ، وأذاقوه العذاب . وذلك جزاء من لم يحسن التقليد كما قيل :

يا بارى القوس بريا لست تحكمه   لا تظلم القوس أعط القوس باريها

١٢٧ — اجتماع الجرذان

وهل فى شرعة الإنصاف أنى   أكلف خُطـــة لا تستطاع

اجتمع الجِرْذَانُ للنظر فى حيلة تهلك القط الذى كدر عليها صفوها فأبدى كلٌّ رأيه ، وذهبت أغلب الآراء سدى ، فقال كبيرها : رأيت حيلة ، وأظنها مفيدة ، إن عدونا القط يسير فى أماكن كثيرة من غير أن يسمعه أحد ، وبذلك يتمكن من إهلاكنا ، فعلينا أن نمسكه

وَ نعلّقُ بجيده جلجلا ، حتى إذا جاء سمعنا به من بعيد ، فيأخذ كل منا حذره ، وبذلك نأمن شره . فقال الصغير : الحيلة جميلة ، ولكن تنفيذها من أصعب الأمور ، لأن القط شيطان رجيم ، وعفريت كبير ، لا يقدر أحد منا أن يقبض عليه ، وأرى أن كبيرنا يقوم بتنفيذ رأيه. فقال الكبير : عليّ أن أفكر ، وعلى غيري التنفيذ . فقال له الجرذان : إذا كنت كبيرنا ولم تقدر على تنفيذ ما دبّرت ، فأنّى لنا ذلك ؟ وذهب التدبير لعدم وجود المُنفّذ ، فعادت الفيران خائبة وكبيرها ينشد :

ولو كان شيء يستطاع فعلته ولكن ما لا يستطاع شديد

١٢٨ - الذئاب والنعاج والراعى

الطّبع يغلب التّطبّع

أقبل كبير الذئاب على الراعى وقال له : ياراعى الشّاه العادل ، قد قدمت إليك ، لنتعاهد على ترك الخيانة والظلم ، وإلقاء القسوة والبغى ، ونعيش معاً فى أمان ووِئام . فقال الراعى : طلبت خيراً أجيبك إليه ، ولكن أين الضمان . فقال الذئب : الأمر هيّن ، ندع

عندك صغارنا وتحبس عنا الكلاب ، فإن خنا أطلقت الكلاب ، وأهلكتنا وأولادنا . فرضى الراعى وحبس الكلاب ، وأخذ أولاد الذئاب ورباها مع الأغنام ، ولكن الذئاب لما كبرت عدت على الأغنام وفتكت بها فتكا ذريعاً . وغلبها طبعها ، ولم يفد تأديبها ، ولم تنفع تربيتها ، وعادت إلى ما جُبلت عليه من أكل الأغنام ، والرغبة فى افتراسها . وقد قيل :

بقرتَ شويهتى وفجعتَ قلبى وأنتِ لشاتنا ولدٌ ربيب
غُذيت بدرّها وربيت فينا فمن أنباك أن أباك ذيب
إذا كان الطّباع طباع سوء فلا أدبٌ يفيد ولا أديب

١٢٩ ـــ القط والجرزان

من خاف سلم

طال جوع القطّ ، وزاد كربه ، وساءت حياته ، ولم يجد ما يسدّ به رمقه . إن ذهب إلى الآكلين يلتمس منهم كسرة ضربوه ، وإن طلب الجرذان هربت منه . حتى هزل ، وبانت

عظامه فرأى مشجباً فتعلّق فيه برجليه ، وطرح جسمه ويديه ، وصار كالمصلوب . فخرج جرذ صغير ، فرآه على هذه الحالة ، فذهب مسرعا وأخبر أصحابه : كبيرها وصغيرها . فجاءتَ عجلةً لترى القطّ وتفرح لنكبته . فلما رأته قالت له : قاتلك الله وأدخلك النار ، لقد كدّرت علينا حياتنا . ثم خاف بعضها ودخل الشقوق ، وبعضها وقف ليفرح فى عدوّه . فلما رأى القط ذلك . خاف أن تذهب كلها فانقضّ على الباقى منها وافترسه ، وأنعش نفسه بأكله ، ونجا ما خاف وأخذ حذره ، وهلك ما لم يخف ولم يأخذ حذره ، وقد قيل :

لا تترك الحزم فى شىء تحاذره   فان سلمت فما فى الحزم من باس

١٣٠ — الاسد والبعوضة

لا تحقرنّ صغيراً فى مُخاصمة   إن البعوضة تدمى مقُلة الأسد

ذهبت بَعوضة إلى الأسد وسلمت عليه ، فازدرَى بها واحتقرها ولم يردّ عليها السلام . فقالت له ماذا جنيته حتى تعاملنى هذه المعاملة ، فسبها وزجرها ، لأنها اجترأت عليه ، وقابلته فى عرينه ،

وزاد جُرمها بكلامها فى حضرته ، فتوعدَّ بالقتل . فقالت له : ما هذا الذى تسوّل لك به نفسك ؟ لا تغتر بجسمك ، ولا تعتمد على قوّتك ، وسيحكم الله بينى وبينك ، وهو خير الحاكمين . فغضب الأسد وزمجر وقام ليبطش بها ، فطارت أمامه ، وقالت له : سأشرب من دمك ، وآكل من لحمك . فازداد غيظاً وغضباً . ثم كرّت عليه ولدغته فى عينه ، فضرب عينه بيده . ثم لدغته فى إبطه ، فجعل يثب فى الهواء وثبات عظيمة . وما زالت به تلدغه ، وهو يضرب نفسه ، ويرتفع وينخفض ويزمجرُ حتى خارت قُواه ، وسالت دماه ، ووقع على الأرض ميتاً جزاء كبره وغطرسته واحتقاره شأن عدوه . ولقد صدق قول من قال :

لا تحقرنْ شأن العدو وكيده فلربما صرع البعوض الفيلا

١٣١ — النعجة وأولادها والذئب

من احترس نجا

خرجت النعجة إلى المرعى ، وتركت أبناءها بعد أن أغلقت دونها الباب غلقاً محكماً ، وقالت لكبيرة الأولاد : إياك أن تفتحى

الباب لأحد ، حتى تعرفيه ، وتعرفى جنسه ، فإن كان منا فافتحى ، وإن لم يكن فلا تفعلى . فسمع الذئب كلامها ، وكان مختفياً . فلما ذهبت النعجة جاء الذئب وقرع الباب . فقالت الكبيرة من أنت ؟ فقال : أنا ابن عمك ورأيت الذئب مقبلا ، وهو لا يرانى ، فافتحى وأنقذينى منه . فقالت له : لا أفتح لك حتى تمد يدك وأراها ، فان كانت كأيدينا فتحت لك ، وإلا عرفت أنك محتال تريد بنا الشر . فاحتار الذئب ورجع خائباً ونجت كبيرة الأولاد مع أخواتها بالاحتراس والعمل بنصيحة أمها . وقد قيل :

ولكن أخو الحزم الذى ليس نازلا

به الخطب إلا وهو للخطب مبصر

١٤٢ — الكلبان والذئب

إذا أردت شيئاً فتدبر عاقبته

اصطحب كلبان ، وسارا حتى وصلا شاطىء نهر ، فرأيا ذئباً على الشاطىء الآخر ، ورغبا فى افتراسه ، ولكن الماء حال بينهما وبينه ، فقال كبيرهما الأمر سهل يسير ، نشرب هذا الماء حتى

تبدو الأرض فنسير إليه ، ونقضى غرضنا منه . فقال الثانى : نِعْمَ الرأى رأيكَ ، ولم يفكر فى أن هذا مستحيل ، لأن الماء كثير ، وجار لا ينقطع ، ولو اجتمعت كلاب البلد لا تقدر على شربه . ثم جعلا يشربان ، والذئب يضحك من فعلهما ، ويهزأ بعملهما ، وهو آمن مطمئن ، حتى امتلأ ، وانفجرت بطنهما ، وفاضت روحهما ، جهلا وجنوناً طمعاً فى المستحيل . فالعاقل لا يعلق آماله بغير الممكن ، ولا يقدم على شىء حتى يفكر ، وإلا كان كمن قيل فيهم :

ولا يتقون السر حتى يصيبهم ولا يعرفون الأمر إلا تدبُّرا

١٣٣ ــ الذئب والراعى

رب حيلة أهلكت المحتال

خرج ذئب يبحث عن قوت له ، فرأى غنما قد أطلقها راعيها ونام خالعاً ثيابه ، ونامت كلابه بعده ، فجاء الذئب وأخذ يفكر فى حيلة ينال بها غرضه ، فرأى أن يلبث ثياب الراعى ، فلا تنفر منه الغنم ، ولا تؤذيه الكلاب ، ففعل ذلك ولكنه أراد أن يحاكى

الراعى فى كل شىء حتى فى صوته ، فعَوى . فقام الراعى مذعوراً وأقبل عليه يضربه بالعصا ، وجاءت الكلاب ومزقته شرَّ ممُزَّق ولو أنه أجاد الحيلة ، وأتم التدبير ، ولزم الصمت لنجا ، ولكنه لم يفعل ، فأهلكته حيلته ، وأماته ضعف رأيه وسوء تدبيره وقد قيل :

من دبر العيش بالآراء دام له   صفوا وجاء إليه الخطب معتذراً

١٣٤ — زياد ومعاوية والاحنف

فضل العرب

لما تم الأمر لمعاوية ، جاءته وفود المهنئين ، فكان منها وفد العراق وفيه زياد والأحنف ، فقال زياد : يا أمير المؤمنين ، أشخَصَتْ إليك أقواما الرغبة . وأقعد عنك آخرين العذرُ ، فقد جعل الله فى سعة فضلك ما يجبرُ به المتخلف ، ويكافىء به الشاخص . فقال معاوية : « مرحبا بكم يا معشر العرب ، أما والله لئن فرَّقتْ بينكم الدعوة ، لقد جمعكم الرَّحم ، إن الله اختاركم من الناس ، ليختارنا منكم ، ثم حفظ عليكم نسبكم : بأن تخير لكم بلاداً تجتاز عليها المنازل ، حتى صفاكم من الأمم ، بصفى الفضة البيضاء من

خبثها ، فصونوا أخلاقكم ، ولا تدنسوا أنسابكم وأعراضكم ، فان الحسن منكم أحسنُ لقربكم منه ، والقبيحَ منكم أقبح ، لبعْدكم عنه » فقال الأحنف : « والله يا أمير المؤمنين ، ما نعدِمُ منكم قائلا جزيلا ، ورأياً أصيلا ، ووعداً جميلا ، وإن أخاك زياداً لمتبع آثارك فينا ، فنستمتع الله بالأمير والمأمور ، فإنكم كما قال زهير :

وما يك من خير أتوه فإنما | توارثه آباء آبائهم قبل
وهل يُنبت الخطىَّ إلا وشيجة | وتغرس إلا فى منابتها النخل

١٣٥ — المعتصم وتميم السدوسى

إن من البيان لسحراً

خرج تميم السدوسى على المعتصم ، وظفر به وأحضر له السيف والنطع وكان تميم وسيما جميلا ، فأحبَّ المعتصمُ أن يعرف أين لسانه من منظره ؟ فقال له تكلم . فقال : أما إذا أذنتَ يا أمير المؤمنين فأنا أقول :

الحمد لله الذى أحسنَ كلَّ شىء خَلَقَه وبدأ خَلْق الإنسان طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، جبر الله بك صدع

الدّين ، ولمّ بك شعث المسلمين ، وأوضح بك سُبل الحق ، وأخمد بك شهاب الباطل . إن الذنوب تخرس الألسن الفصيحة ، وتُعيي الأفئدة الصحيحة ، ولقد عظمت الجريرة وانقطعت الحُجّة ، وساء الظن ، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك ، وأرجو أن يكون أقربهما منى ، وأسرعهما إلىّ أسبقهما بك وأولاهما بكرمك .
ثم قال :

أرى الموت بين السيف والنّطع كامنا
يلاحظنى حيث ما أتلفتُ

وأكبر ظنى أنك اليوم قاتلى
وأى أمرى مما قضى الله يفلت

وأى امرىء يأتى بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه مصلتُ

وما جزعى من أن أموت وإننى
لأعلم أن الموت شىء موقت

ولكنّ خلفى صبية قد تركتهم
وأكبادهم من حسرة تتفتت

فإن عشت عاشوا سالمين بغبطة
أذود الردى عنهم وإن متُ مُوّتوا

وكم قائل لا يبعد الله داره
وآخر جزلان يُسر ويشمت

فتبسم المعتصم وعفا عنه .

١٣٦ — المهدى ويعقوب وأحد عماله

المحاورة الحسنة

سخط المهدى على يعقوب فأحضره وقال : يا يعقوب : قال لبّيك يا أمير المؤمنين تلبيةَ مكروب لِوَجْدك ، شَرِقٍ بغُصّتك قال : ألم أرفع قدرك وأنت خامِل ، وأشيدُ ذكرك وأنت هامل ، وألبسكَ من نِعَم الله تعالى ونعمى مالم أجد عندك طاقة لحمله ، ولا قياماً بشكره ، فكيف رأيت الله تعالى أظهر عليك . وردّ كيدك إليك . قال : يا أمير المؤمنين ، إن كنت قلتَ هذا بتيقّن وعلم ، فانى معترف وإن كان لسعاية الباغين ، ونمائم المعاندين ، فأنت أعلم بأكثرها ، وأنا عائذ بكرمك ، وعميم شرفك . فقال المهدى : لولا الحسب فى دمك ، لألبستك قميصا لا تشدُّ عليه أزراراً . ثم أمر به إلى السّجن ، فولى وهو يقول : الوفاء يا أمير المؤمنين كرم ، والمودّة رحم ، وما على العفو ندم ، وأنت بالعفو جدير ، وبالمحاسن خليق . فأقام فى السجن إلى أن أخرجه الرشيد .

١٣٧ - معاوية والنعمان بن العجلان الزرقى

قل الحقّ ولا تخش فيه لومة لائم

يُرْوى أن معاوية بن أبى سفيان كان جالساً وعنده فئة من الأشراف ، فقال معاوية . من أكرم الناس أبا وأمًّا ، وجدًّا وجدّة وعمًّا وعمة ، وخالا وخالة ، فقام النعمان بن العَجْلان الزرقى بعد ما أخذ بيد الحسن ، فقال : هذا أبوه على ابن أبى طالب ، وامه فاطمة ، وجدُّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدّته خديجة ، وعمُّه جعفر ، وعمّته أم هانىء ابنة أبى طالب ، وخاله القاسم ، وخالته زينب . فهذا هو الشرف الذى لا يُدانى ، والفضل الذى لا يبارى ، فانظر كيف قال النعمان الحق ، ومعاوية إذ ذاك خليفة المسلمين وأمير المؤمنين ، فكان يجوز أن يُشرفه على سواه ، ولكنه آثر الحق وقال الحق . فهكذا تكون الشهامة والصراحة والحرية .

١٣٨ — عبد الله بن همام السلولى

ويزيد الأول ابن معاوية

لما تُوفى معاوية ، قَدِم عبد الله بن همام السَّلولى مهنئاً ومعزياً ، فقال : يا أمير المؤمنين آجرك الله على الرزية ، وبارك لك فى العطية ، وأعانك على الرعية ، فلقد رُزِيتَ عظيما ، وأعطيتَ جسيما . فاشكر الله على ما أعطيتَ ، واصبر على ما رزيك ، فقد فقدت خليفة الله ، ومنحت خلافة الله ، ففارقت جليلا ، وَوُهبت جزيلا إذ قضى معاوية نحبه ؛ فغفر الله له ذنبه ، ووليت الرئاسة ، فأعطيت السياسية ، فأوردك الله .. ارد السُّرور ، ووفقت لصالح الأمور . ثم أنشد :

إصبر ... فقد فارقت ذاثقة ۞ واذكر حباء الذى بالملك أصفاكا

لارزء أصبح فى الأقوام نعلمه ۞ كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

أصبحت والى أمر الناس كلهم ۞ فأنت ترعاهم والله يرعاكا

فسرّ من كلامه ، وأحسن صلته .

١٣٩ — عبد الملك وابنه الوليد

نصيحة غالية ، وموعظة عالية

يُرْوى أن عبد الملك بن مروان ، لما ولّى ابنه الوليد دمشق ، كتب له بذلك وقال له : يا بنىّ لأبيك صنائع قد رسخت فى المجد أصولها ، وأورقت فى العلا فروعها ، وانتشر عند الناس ذكرها ، فلا تهدمنّ ماقد شرف لك بناؤه ، وأضاء لك ضياؤه . فكفى من سوء رأى المرء ، وقبيح أثره وضعة نفسه . أن يهدم ما قد شُيدّ له من فضيلة البناء ، ورفيع الثناء . إياك وأعراض الأحرار ، فان الحر لا يرضيه من عرضه عوض . واجتنب العقوبة ، فانها وترٌ مطلوب وعارٌ باق . ولا يمنعك من ذى فضل سبقت إليه صنيعة غيرك أن تصطنعه ، فان صنيعة ذى الفضل شكر تستوجبه وكنز تدخره واستعمل أهل الفضل دون أهل الهون ، ولا تعزل إلا عن عجز أو خيانة ، وليكن جلساؤك غير أسنانك . فان الشباب شعبة من جنون . وإن نازعتك نفسك على أخذ شىء من المال . فلا يكن خصمك إلا بيت المال ؛ وليكن رسولك فيما بينى وبينك من

يفهم عَنِّى وعنك ، وإذا كتبت كتاباً فأكثر النظر فيه . فان الكتاب موضع عقل الرجل ، ورسوله موضع عقله :

إذا لم يُعِنْكَ الله فى ما تُريده   فليس لمخلوق إليه سبيل
وإن هو لم ينصرك لم تلق ناصراً   وإن عزَّ أنصارٌ وجلَّ قبيلُ
وإن هو لم يُرشدك فى كلِّ مسلك   ضللتَ ولو أن السماك دليل

١٤٠ — المامون وابنه العباس وامرأة متظلمة

الحقّ أحقّ أن يتَّبع

جلسَ المأمون يوماً للفصل فى شؤون الأمة . فحضرت فى آخر الجلسة امرأة . وأنشدت بين يديه :

يا خير منتصف يهدى له الرشدُ   ويا إماماً به قد أشرق البلدُ
تشكو إليك عميد القوم أرملةٌ   عدا عليها فلم يترك لها سبَد
وابتزّ منى ضياعى بعد منعتها   ظلما ففرّق عنى الأهل والولد

فأطرق المأمون حيناً ، ثم رفع رأسه إليها وهو ينشد :

في دون ما قلت زال الصبرُ والجلدُ
عنِّي وقرَّح مني القلب والكبد
هذا أذان صلاة العصر فانصرفي
وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد
والمجلس السبت إن يقض الجلوس لنا
ننصفك منه وإلا المجلس الأحد

فلما كان يوم الأحد جلس ، فكان المبتدىء بالدخول إليه تلك المرأة . فقال لها : أين الخصم السوء ؟ فأومأت إلى العباس ابنه ؛ فأجلسه معها مجلس الخصوم ؛ وأخذا ينشئان رءوس الدعوى ، وكان كلامها يعلو كلام العباس ، فقال لها أحد الحاضرين : أخفضي زئيرك . فقال المأمون : دعها ، فإن الحق أنطقها وأخرسه ، فبقيت تَنِثُّ بشكايتها أمام مَلِكِهِ ، حتى انتشر نبؤها في الجلسة ، فنصرها على العباس .

١٤١ – الكنز والعاثرون به

حب الدنيا رأس كل خطيئة

كان فى غابر الأزمان ثلاثة أشخاص سائرين ، فوجدوا كنزاً يتلألأ أمام أعينهم ، فمكثوا بجانبه وقالوا : قد جعنا واشتد ظمؤنا ، وسئمنا من التعب ، فليمض امرؤ منا ليبتاع لنا ما نأكله فمضى أحدهم ، وبينما هو ذاهب أضمر فى نفسه لهما سوءا يسوؤهما به وقال : الصواب أن أدس السم فى الدسم ليأكلاه فيموتا وأنفرد بالكنز دونهما . ثم أتبع القول بالفعل ؛ وكان الرجلان الآخران متواطئين على أنه إذا رجع بالطعام قتلاه وانفردا بالكنز دونه ؛ فلما وصل إليهما وثبا عليه وقتلاه ، وأكلا من الطعام المسموم ، فوقعا فى سوء عملهما ، فلما اجتاز بذلك المكان أحد الحكماء مع أصدقائه قال لهم مشيراً إلى الكنز : هذه الدنيا ، فانظروا كيف قتلت هؤلاء الثلاثة وبقيت بعدهم .

١٤٢ – البرغوث والبعوضة

إن يكن الكلام من فضة فالسكوت من ذهب

اجتمع برغوث وبعوضة فى ليل حالك . فقالت البعوضة للبرغوث : إنى لأعجب من شأنى وشأنك ، أنا أفصح منك لساناً ، وأوضح بياناً ، وأرجح ميزاناً ، وأكبر شأناً ، وأكثر طيراناً ، ومع هذا فقد أضرّبى الجوع ، وحرمنى المجوع ، ولا أزال عليلة مجهودة نائية عن الطريق مطرودة ؛ وأنت تأكل وتشبع ، وفى نواعم الأبدان ترتع ، فقال لها البرغوث : أنت بين العالم مطنطة ، وعلى رءوسهم مدندنة ، وهأنذا توصلت إلى قوتى ، بسبب سكوتى .

إن القليل من الكلام بأهله حسن وإن كثيره ممقوت

ما زلّ ذو صمت وما من إلا يزلّ وما يعاب صموت

إن كان ينطق ناطق من فضة فالصمت درّ زانه الياقوت

١٤٣ - الأرنب والأسد

حسن الاحتيال ينجى من الأهوال

كان أسد فى أرض فيها فئة من الوحوش لم تنتفع بشىء مما فيها لخوفها من الأسد . فاجتمعن إليه وقلن له : إنك تصيب منا الدابة بعد العنت الشديد ، وقد رأينا أن نتخذك ملكا ونبعث إليك كل يوم دابة مؤونة غذائك . فرضى الأسد بذلك ، ثم أخذت الوحوش يقترعن ، ومن خرجت القرعة عليه بعثن به إليه وداومن على ذلك مدة إلى أن أصابت القرعة أرنباً ، فانطلقت إليه ببطء حتى جاع وغضب وقال : من أين أقبلت ؟ قالت : أنا رسول الوحوش إليك ، بعثنى ومعى أرنب لك ، فتبعنى أسد ، فأخذها منى غصباً . فقلت له : إن هذا غذاء الملك أرسلته معى الوحوش إليه ، فلا تغصبنيه ، فسبك ولعنك ، فأقبلت إليك لأنبئك بحقيقة هذا الصؤول . فقال الأسد : انطلق معى ، فأرينى

موضع هذا الأسد . فانطلقت معه إلى جُبّ فيه ماء ، فنظر فرأى ظله وظل الأرنب فى الماء ، فوثب إليه ليقاتله ، فغرق فى الجب ، وانقلبت الأرنب إلى الوحوش ، فأعلمتهن صنيعها بالأسد ففرحن كثيرا بنجاتهن من ذلك العدو السوء .

١٤٤ - مجير أم عامر والضبع

وضع الإحسان فى غير موضعه

خرج فِتْيَانٌ يتصيَّدُون فى البيداء ، فصادفوا ضبعاً لجأت الى مأوى امرىء يسكن تلك النواحى ، فأقبل عليهم بالسيف مسلولا ليبعدهم عنها . فقالوا له : لماذا تمنعنا من صيدنا ؟ قال : لئن لم تنتهوا عن صيدها لأسفكن دماءكم ، فتركوها وانصرفوا ، وجعل يسقيها اللبن ويعطيها مؤونة جيدة حتى حسنت هيئتها ، فبينما هو ذات يوم نائما عدت عليه صؤولة بأنيابها ، وشقت بطنه وشربت دمه . فأنشد ابن عمه :

ومن يصنع المعروف فى غير أهله   يلاق كما لاقى مجـــير أم عامر

أعد لها لما استجارت بقربه مع الأمن ألبان اللقاح الدراير
فأشبعها حتى إذا ما تمكنت فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من
يوجـه معروفاً إلى غير شاكر

١٤٥ — المأمون وكاتب على حائط قصره

إذا كنت فى أمر فكن فيه محسنا فعما قليل أنت ماض وتاركه

أشرف المأمون يوماً على قصره ، فرأى امرأ يكتب بفحمة على حائطه هذين البيتين :

يا قصر جُمّع فيك الشؤم واللوم متى يعشّش فى أركانك البومُ
يوماً يعشّش فيك البوم من فرحى
أكون أول من ينعاك مرغـوم

فقال لبعض خدمه : أحضر هذا الرجل . فتوجه إليه ، وقال له : أجب أمير المؤمنين : فقال الرجل : سألتك بالرءوف الرحمن ألا تذهب بى إليه :

فإن قدرت فلا تفعل سوى حسن   بين الأنام وجانب كل ما قبحا

فقال الخادم : لابدّ من توجهك حالا معى ، فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين : إنه لايخفى عليك ما حواه قصرك من خزائن الأموال ، وإنى مررت عليه الآن وأنا جائع ، ولا فائدة لى فيه ، فلو كان خرابا ومررت به . لم أعدم رخامة أوغيرها أبيعها وأتقوّت بثمنها ، ولا يعزب عن علم أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه

قول القائل :

إذا لم يكن للمرء فى دولة امرىء   نصيب ولا حظٌّ تمنَّى زوالها

وما ذاك من بغض له غـير أنه   يرجى سواها فيهوى انتقالها

فأمر له المأمون بألف درهم ، وانصرف ينشد قول الشاعر .

وكلّ امرىء يُولى الجميل مُحَبَّبٌ   وكلّ مكان يُنْبِت العزّ طيّبُ

١٤٦ ـ شاعر بين يدى بعض الخلفاء

الحسنة بعشر أمثالها

استدعى بعض خلفاء مصر علماء مملكته فى يوم عيد لزيارته

فصادفهم شاعر فى طريقهم على كتفه جرة ذاهباً إلى النيل ليملأها فتبعهم حتى مثلوا بين يدى الأمير ، فبالغ فى تعظيمهم ، ثم نظر إلى ذلك الرجل ، والجرة على كتفه ، وقال ما حاجتك يا هذا ؟ فأنشد قائلا :

ولما رأيت القوم شدّوا رحالهم إلى بحرك الطامى أتيت بجرتى

فقال : املئوا جرته ذهباً ، فملئت وخرج بها الرجل ، وفرقها على الفقراء . فبلغ ذلك الخليفة فاستحضره ، وعاتبه على فعله ، فأنشد ثانياً :

يجود علينا الخيّرون بمالهم ونحن بمال الخيّرين نجود

فأعجب الخليفة بجوابه ، وأمر أن تملأ له عشر مرات فقال الشاعر ، الحمد لله ، الحسنة بعشر أمثالها ؛

١٤٧ ـ القطان والقرد

من اغتصب شيئاً حُرِم ، ومن التجأ إلى قضاة السوء ظُلِمَ

اختطف قِطّان قطعة جبنة واختلفا فى قسمتها ، فترافعا إلى

القرد ليقسمها بينهما ، فقسمها قسمين : صغيراً وكبيراً ووضع كلا منهما فى كفة من ميزانه ، فرجح الكبير ، فقضم منه شيئاً بأسنانه وبلعه ، وهو يتظاهر أنه يريد مساواته بالصغير ، غير أنه لما كان ما أخذه زائداً عن القدر اللازم رجح الصغير طبعا . ففعل به ما فعله بذاك ، ولم يزل هكذا حتى كاد يذهب بهما ، فصاح به القطان : قد رضينا بهذه القسمة فأعطنا ما بقى قال . إذا كنتما رضيتما بهذه القسمة فان العدل لا يرضى ، وما برح يقضم القسم الراجح منهما حتى أتى عليهما . فرجع القطان . خائبين آسفين ينشدان قول القائل .

إذا خان الأمير وكاتباه وقاضى الأرض داهن فى القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل لقاضى الأرض من[1] السماء

١٤٨ — المامون والأعرابى

براعة فى حسن السؤال

جاء أعرابى إلى المأمون وأنشد قائلا :

---

(١) هكذا بالأصل والوزن معه مكسور . وصحته : من قاضى السماء اه مصححه عبد الوصيف محمد .

إنى رأيتك فى منامى سيدى يابن الكرام على الجواد السابق
فكسوتنى حللا لطائف حسنها يزهو على حسن الكميت اللاحق

فقال المأمون : أعطوه حللا وفرساً . فقال :

وأجزتنى بخريطة مملوءة ذهباً وأخرى باللجين الفائق
وحبوتنى بركوبة نجدية سوداء تنهض بالغلام الآبق

فأمر له بناقة نجدية سوداء وغلام وأربعمائة دينار ، ثم قال له : إياك أيها الأعرابى أن ترى مثل هذا المنام مرة أخرى ، فإنك لن تجد امرأ يعبره ، ويفسره لك .

١٤٩ — شعراء مصر عند الوالى

كان من دأب شعراء مصر أن يأتوا الوالى كل سنة فى عيد الضحية ليهنئوه بالقصائد ، فينالوا الجوائز ، وبينما كانوا لديه إذ هاجت العواصف ، وحدثت زلزلة ارتجت منها ديار مصر ، فالتفت الوالى إلى أولئك الشعراء قائلا لهم : هل منكم من يطرفنا بديهياً بشعر

تطمئن به أفئدتنا ، وتتلألأ به فرحاً وجوهنا ، يكون مضمونه هذه الزلزلة . فقال بعضهم مرتجلا :

يا حاكم الفضل إن الحق متضح   لدى الأنام أيا ابن السادة النجبا
ما زلزلت مصر من كيد ألم بها   لكنها رقصت من عدلكم طربا

فملىء الوالى سروراً وقال : املئوا فمه لؤلؤاً وذهباً .

١٥٠ — ابو دلف وجاره

خذ الجار قبل الجار

يروى أن رجلا كان جاراً لأبى دلف ببغداد فأدركته حاجة وركبه دين فادح حتى احتاج إلى بيع داره ، وطلب ثمناً لها ألف دينار ، فقالوا له : إن دارك لا تساوى أكثر من خمسمائة دينار فقال : أجل ، ولكننى أبيعها بخمسمائة ، وأبيع جوارها بخمسمائة أخرى فبلغ القول جاره أبا دُلف ، فأمر بقضاء دينه ووصله وواساه ، ولله در القائل :

يلوموننى أن بعت بالرخص منزلى   ولم يعلموا جاراً هناك ينغص

فقلت لهم كفوا الملام فانما　　بجيرانها تغلو الديار وترخص

١٥١ - المهلب بن ابى صفرة وأولاده

القوة فى الاتحاد

لما أشرف على الوفاة المهلب بن أبى صفرة أحد رؤساء جيش عبد الملك بن مروان ، استدعى أبناءه السبعة ، وبذل لهم النصائح التى تنفعهم دنيا وأخرى . ثم أمرهم باحضار رماحهم مجتمعة ، وتقدم إليهم أن يكسروها واحداً فواحداً مبتدئاً بأصغرهم فلم يقدروا . فقال لهم : فرقوها وليتناول كل واحد رمحه ويكسره فكسروها بدون كبير عناء ، فعند ذلك قال لهم : اعلموا أن مثلكم مثل هذه الرماح ، فما دمتم مجتمعين ومؤتلفين يعضد بعضكم بعضاً ، لا تنال منكم أعداؤكم غرضاً ، أما إذا اختلفتم وتفرقتم فانه يضعف أمركم ، وتتمكن منكم أعداؤكم ، ويصيبكم ما أصاب الأرماح :

كونوا جميعا يا بنى إذا اعترى　　خطب ولا تتفرقوا آحادا

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت أفرادا

١٥٢ - التاجر والوالى

الاعتراف والإقرار أولى من الانكار

كان امرؤ من التجار يستحمّ فى نهر ، وقد وضع صرّة مملوءة لئالىء وأموالا كانت معه على شاطىء ذلك النهر فجاءت حداة والتقطت الصّرة وطارت ، فجرى وراءها لينتشل منها ما اختلسته حتى أعيا ، لبطء حركته ، وسرعة طيرانها ، فكاد يطير عقله ، وقصد والى البلدة ، وأنبأه بذلك مؤملا منه أن يجد له صرّته : فسأله الوالى : أىّ الأنحاء آل إليها اتجاه الحداة ؟ فأومأ إلى بعض القوى ، فقال له الوالى : اذهب وأتنى بعد أيام ، فأتمر بأمره . ثم أنفذ الوالى إلى رئيس تلك القرية أن أنبئنى بمن أثرى فى قريتك الآن بعد أن كان فى بؤس . فأنهى إليه : إن فلانا كان ضئيل الحال فأصبح ذا بزّة ونعمة كأولى الغنى ، فأمر باشخاصه ، فلما انتهى إليه قال له . أين صرة اللآلىء والأموال التى وقعت عندك

يوم كذا ، فقال الرجل فى نفسه : علام أنكر والوالى عالم بالمسألة فأقر بها وقال : هى عندى برمتها لم آخذ منها أغير بعض دريهمات صرفتها فى إصلاح شؤونى ، لئن شئت سامحتنى فيها ، فأبرأ ذمته منها ، وكافأه على صدقه وقال : لو أتيتنى بالصرة من غير سؤال منى لأجزلت لك المكافآت ، ثم ردها إلى صاحبها ، وعوض له ما فقد منها .

١٥٣ — التاجر وابنه الصادق الأمين

الدين المعاملة

أرسل تاجر ابنه إلى بعض عملائه بصرة فيها مبلغ كان متأخراً له عليه من ثمن بعض البضائع ، وفيما هو سائر بها وقعت منه على شاطىء نهر ، ولم يشعر بفقدها إلا قرب وصوله إلى محل قصده ، فآب عوداً على بدء يبحث عنها ، فجلس تحت شجرة نائحاً قائلا :

ربى إنى ضئيل سيىء الحظ ، لا عاضد لى سواك ، فأرشدنى إلى ضالتى كى أشكر فضلك وبوئنى مبوأ صدق إنك المبدىء المعيد .

يا من يرجى في الشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفزع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة ... فلئن رددت فأى باب أقرع

فاتفق وقتئذ أن مر أمير من الأمراء ، فسمع بكاءه ، فدنا منه وسأله عن سبب بكائه ؟ فقص عليه قصته ، فأخرج الأمير من جيبه صرة حسنة فيها لآلىء ذهبية ، وقال له : أهذه ، فنظر إليها الولد وقال : لا يا مولاى ، فأخرج له أخرى قليلة الهيئة ، وقال : أفهى هذه ؟ قال : نعم هى بعينها . فأعطاه الأمير إياها ، وأضاف إليها الأولى بما فيها جزاء صدقه ، وأنشد قول القائل :

أجلُّ للمرء من مجد الغنى شرفاً ... مجد الوفاء وتقوى الله والكرمُ
وأرفع الناس عند الله منزلة ... من لم يكن لحقوق الناس يهتضم

١٥٤ — هشام وفتى صغير

من عرف بالفصاحة ، لاحظته العيون بالوقار

وفد على هشام رءوس القبائل ، فجلس لهم ، ودخلوا عليه ، وكان فيهم فتى يبلغ سنه أربع عشرة سنة ، وكان فى رأسه ذؤابة ،

وعليه عباءة ، وفى يده منسأة ، فنظر اليه هشام ، والتفت لحاجبه وقال له : ما شاء امرؤ أن يدخل علىّ إلا دخل حتى الصبيان ، فوثب الفتى بين يديه وقال : يا أمير المؤمنين ، إن دخولى عليك لم يحط بقدرك ، ولكنه شرفنى ، وإن هؤلاء الوفود قد ائتمنونى وأتموا بى ، وقدموا فى أمر فهابوك دونه ، وإن للكلام نشراً وطياً ، وانه لا يعرف ما فى طيه الا بنشره . فان أذن لى أمير المؤمنين أن أنشر نشرته . فاعجبه كلامه ، وقال . انشره ، فقال : يا أمير المؤمنين ، انه أصابتنا سنون ثلاث : سنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة دقت العظم ، وفى أيديكم فضول مال ؛ فإن كانت لله ففرقوها على عباده ، وان كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم ؟ وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم ، فان الله يجزى المتصدقين ؟ فقال هشام : ما ترك الغلام لنا فى واحدة عذراً ، وأمر له بالصلات الجزيلة .

١٥٥ ـ الحجاج وعامله

لا تقصروا أولادكم على آدابكم فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم

لما تولى الحجاج شئون العراق أمر مرءوسه أن يطوف بالليل ، فمن وجده بعد العشاء ضرب عنقه ، فطاف ليلة فوجد ثلاثة صبيان ، فأحاط بهم وسألهم : من أنتم ، حتى خالفتم أوامر الرئيس ؟ .

فقال الأول :

أنا ابن الذى دانت الرقاب له ما بين مخذومها وهاشمها
تأتى إليه الرقاب صاغرة يأخذ من مالها ومن دمها

فأمسك عن قتله ، وقال لعله من أقارب الأمير :

وقال الثانى :

أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره وإن نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا إلى ضوء ناره فمنهم قيام حولها وقعود

فتأخر عن قتله ، وقال : لعله من أشراف العرب .

وقال الثالث :

أنا ابن الذى خاض الصفوف بعزمه   وقومها بالسيف حتى استقامت

ركاباه لا تنفكّ رجلاه عنهما   إذا الخيل فى يوم الكريهة ولّت

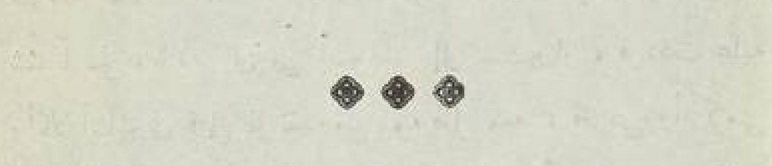
فترك قتله وقال : لعله من شجعان العرب .

فلما أصبح رفع أمرهم إلى الحجاج ، فأحضرهم وكشف عن حالهم فاذا الأول ابن حجام ، والثانى ابن فوّال ، والثالث ابن حائك . فتعجب الحجاج من فصاحتهم ، وقال لجلسائه : علموا أولادكم الأدب ، فلولا فصاحتهم لضربت أعناقهم . ثم أطلقهم وأنشد :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً

يغنيك محموده عن النّسب

إن الفتى من يقول هانذا   ليس الفتى من يقول كان أبي



١٥٦ — محمد بن هلال والمعمر

احتقار الصغير من عدم التدبير

قال محمد بن هلال : بعث إلىّ المعمر برسالة يطلب منى بغلة مسرجة ، ولم تكن منزلته عندى منزلة من أراعيه ، فرددت الرسالة ولم أجبه عنها . ثم إنه بعثها إلى وعلى ظهرها مكتوب :

عسى سائل ذو حاجة إن منعته　　من اليوم سؤالا أن يكون له غد
فانك لا تدرى إذا جاء سائل　　أأنت بما تعطيه أو هو أسعد

فاعدتها إليه من غير جواب كما فعلت أولا ، حتى ضرب الدهر ضرباته فصرف العلاء ، ووزر المعمر . وكنت إذ ذاك متوليا شئونا شتى ، فانفذ إلىّ من أشخصنى إلى شيراز ، فرددت عليه وأنا لا أشك فى قتلى لما تقدم من سوء فعلى معه ، فقربنى وأكرمنى أياماً وأنا من شؤونه متعجب ، فلما كان بعد أيام قمت من مجلسه منصرفا فاتبعنى الحاجب وقال . الوزير يريد أن يخلو بك ؛ فلما خلا مجلسه استدعانى ، وأسر إلى بعض خدمه شيئاً .

فمضى وعاد ، ومعه الرسالة بعينها ، فلما أنى قرأت بحيث يسمع (ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسياً) ، فقال لى . لا ترُع ، أوقفتك على سوء فعلك حتى لا تستصغر بعدها امرأ ، ولا تطرح مراعاة العواقب ، فيصير الدهر لك غير صاحب ، وليكن هذا الفعل لأخلاقك مهذبا ، ثم خلع علىّ ووصلنى وردّنى إلى منصبى .

وما أحسن قول القائل :

لا تحقرنّ امرأ قد كان ذا ضعة فكم وضيع من الأقوام قد رأسا
فرب قوم جفوناهم فلم نرهم أهلا لخدمتنا صاروا لنا رؤسا

١٥٧ - انو شروان وولى عهده

لا يؤمنُ أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه

لما أراد أنو شروان أن يولى ولىّ عهدة استشار أولياءه فى ذلك ، فكل ذكر عيباً لا يستحق به الملك ، فمن قائل : لا يصلح للملك لأنه قصير ، وذلك مما يذهب بهاء الملك ، فقال أنو شروان محتجا : لا يكاد يرى إلا راكباً أو جالساً على سريره ، فلا يظهر عليه ذلك ، ومن قائل :

إنه ابن رومية ، والملك إذا كان ابن أمة نقصه ذلك فى أعين الناس .
فقال أنو شروان محتجا : إن الأبناء ينسبون إلى آبائهم ، ولا ينسبون
إلى الأمهات ، فلا يضرّه ما قلت ، فقال المرزبان : إن فيه عيباً ، وهو أنه
مبغض للناس فقال أنو شروان عند ذلك : هذا هو العيب الذى لا مديح
معه ، ولا عذر عنه ، والداء الذى لا برء له ، فقد قيل : من كان لا يحب
الخير للناس ويرتضيه . فلا خير فيه .

١٥٨ — امرؤ القيس وقيصر الروم والسموءل

لا يفى بالعهود ، إلا كل حرّ معهود

لما أراد امرؤ القيس المضى إلى قيصر الروم أودع عند السموءل
دروعاً وسلاحاً وأمتعة تساوى من المال ثلثمائة ألف دينار ، فلما مات
امرؤ القيس أرسل قيصر يطلب الأشياء المودعة عند السموءل ، فقال :
لا أدفعها إلا لمستحقها ، ولا أغدر بذمتى ، ولا أخون أمانتى ولا أترك
الوفاء الواجب علىّ ، فقصده قيصر بعسكره ، فدخل السموءل فى حصنه ،

فحاصره قيصر وأخذ ولده أسيراً ، وقال للسموءل : إن ولدك هاهو معى ، فان أسلمت إلى الدروع والسلاح التى لامرىء القيس عندك سلمت إليك ولدك ورحلت عنك ، وإن امتنعت من ذلك ذبحت ولدك وأنت تنظر ، فاختر أيهما شئت ، فقال السموءل : ما كنت لأخفر ذمامى ، وأبطل وفائى ، فاصنع ما شئت ، فذبح ولده وهو ينظر ، ثم عجز عن الحصن ورجع خائباً ، فلما جاء الموسم وحضرت ورثة امرىء القيس . سلم إليهم الدروع والسلاح ، ورأى حفظ ذمامه ، ورعاية وفائه ، أحب إليه من حياة ولده وبقائه ، ومن وقتئذ صارت الأمثال تضرب بالسموءل فى الوفاء ، وقد قال فى قصيدته المشهورة :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه   فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها   فليس إلى حسن الثناء سبيلُ

الباب الثانى

فى الألف اللينة وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول

الألف اللينة هى الساكنة التى قبلها فتحة نحو : سما العلا ، ولها موضعان : الوسط والآخر .

أما التى فى الوسط فتكتب ألفاً مطلقا سواء أكان توسطها أصليا ، نحو : قال عامر ، أو كان التوسط عارضاً(١) ، نحو : فتاك يخشانى ، ونحو إلام وعلام وحتام وبمقتضام .

---

(١) التوسط العارض بأن دخلت إلى وعلى وحتى على ما الاستفهامية التى لم تتصل بهاء السكت كما مثل ، فان اتصلت بهاء السكت بقيت الأحرف الثلاثة مكتوبة بالياء نحو : الى مه وعلى مه ، وحتى مه . وبمقتضى مه . وكذا إذا دخل حرف منها على استفهام آخر غير ما ، تبقى الأحرف الثلاثة مكتوبة بالياء . نحو : إلى ماذا . وعلى ماذا . وحتى ماذا . أو دخلت حتى على الضمير نحو : حتاك ، فان دخلت على الظاهر كتبت بالياء نحو حتى مطلع الفجر أو اتصل الفعل بضمير المفعول . ولم يكن قبل الألف همزة نحو :

المبحث الثانى

الألف التى فى الآخر تكتب ألفاً فى مواضع :

١ ـ إذا كانت فى حروف المعانى نحو : لولا ، ولوما ، وألا ، وكلا ، وإذا ، وخلا ، وعدا ، وحاشا ، غير أربعة منها تكتب بالياء وهى : إلى ، وعلى ، وحتى ، وبلى : لإمالة الأخير وانقلاب الألف ياء عند الاتصال بالضمير فى الثلاثة قبله .

٢ ـ أو كانت فى الأسماء المبنية نحو : أنا ، وذا ، ومهما ، وهنا غير خمسة تكتب بالياء ، وهى : أنى ، ومتى ، ولدى ، وأولى (اسم إشارة) والألى (اسم موصول) .

٣ ـ أو كانت ألف العوض المبدلة من ياء المتكلم فى المنادى ،

يهواك فان كان قبلها همزة حذفت وعوض عنها مدة نحو : رآه .
أو اتصل الاسم بضمير ولم يكن قبل الألف همزة نحو . عصاه فتاه ، فان كان قبل الألف همزة نحو : لأى حذفت الألف وعوض عنها مدة فتقول : لآه . أى ثوره ، واعلم أن الفصل بين الفعل وضمير المفعول بنون الوقاية لا يخرجه عن الاتصال نحو : رمانى بخلاف رمى لى ونادى لى .

وألف المندوب والمستغاث به نحو باغلاما ، واولدا ، ياربا[١] .

٤ - أو كانت منقلبة عن الواو فى الاسم والفعل الثلاثيين نحو عصا ، وذرا[٢] ، وسما ، ودعا .

٥ - أو كانت فى الأسماء الأعجمية مطلقاً سواء أكانت ثلاثية أو غير ثلاثية ، وسواء أكانت أسماء أشخاص أو بلاد أو طيور أو فنون ، أو غير ذلك ، نحو : أغا ، ويهوذا ، وزليخا ، وطنطا ، وشبرا ، وطهطا ، وبنها ، وألمانيا ، وروسيا ، وبيغا ، وموسيقا ، ويستثنى من ذلك أربعة أسماء تكتب بالياء ، وهى : موسى ، وعيسى ، وكسرى ، وبخارى .

٦ - كل ماختم بألف قبلها ياء ، وهو غير علم مثل : استحيا ، أحيا ، سجايا ، ريا ، يحيا ، زوايا ، ثريا .

والعلم يكتب بالياء مثل : يحيى ، ريى .

---

(١) ومثلها ألف الاطلاق والاشباع والمبدلة من نون التوكيد والمبدلة من التنوين وقفا حال النصب : والمبدلة من نون إذا الواقعة فى المجازاة والجواب . وكذا المبدلة من هاء التأنيث .

(٢) وخالف الكوفيون فكتبوا مضموم الأول ومكسوره بالياء

المبحث الثالث

الألف التى فى الآخر تكتب ياء فى موضعين :

١ ـ إذا كانت منقلبة عن الياء فى الاسم والفعل الثلاثيين نحو سعى الفتى .

٢ ـ أو كانت فى الأسماء والأفعال الرباعية ، فما فوقها نحو : صغرى ، كبرى ، سلمى ، عذارى ، أغنى ، زكى ، آوى . اهتدى ، استعفى[1] .

المبحث الرابع

تعرف الألف المنقلبة عن واو أو عن ياء أو عنهما من كتب اللغة ، وأفواه العلماء ، غير أنه يمكن معرفة ذلك تقريباً (فى الأسماء) بتثنيتها أو جمعها جمع مؤنث سالما ، فان جاءت الواو فيهما علم أن الألف فى المفرد منقلبة عن واو ، فتكتب فيه ألفا وجوبا نحو :

---

(١) ما لم يكن قبل الياء مثلها . وإلا كتبت ألفا . نحو : دنيا ويحيا ـ إلا ما كان علما . فيكتب بالياء لخفته نحو : يحي ـ كما تقدم .

وعصا وقطا ، تقول فى تثنيته : عصوان وقطوان ، وفى جمعه : عصوات وقطوات .

وإن جاءت الياء فيهما علم أن الألف فى المفرد منقلبة عن ياء فتكتب فيه ياء وجوبا نحو : فتى ، ورحى ، وحصى. فتقول فى تثنيته : فتيان ورحيان ، وحصيان ، وفى جمعه . فتيات ، ورحيات ، وحصيات .

(وفى الأفعال) بمصادرها أو إسنادها إلى ضمير الرفع المتحرك[1] أو إسنادها إلى ألف الإثنين ، فان جاءت الواو فى هذه الأمور الثلاثة علم أن الألف فى الفعل منقلبة عن واو ؛ فتكتب ألفا وجوبا نحو : (دعا) فتقول : دعوت ، ودعوا ؛ وإن جاءت الياء فى الثلاثة السابقة علم أن الألف فى الفعل منقلبة عن ياء فتكتب فيه ياء وجوبا نحو . (رمى) ، فتقول . رميت ، رمياء ورميًا .

وإن جاءت الثلاثة بالواو والياء علم أن الألف فى الفعل منقلبة منهما نحو . عزا ، فتقول . عزوت ، وعزيت ، وعزوا ، وعزيا ؛

---

(١) التاء والنون . ؛ ونا ، نحو . دعوت . دعون ، دعونا .

ومثله : كنا ، وصغا ، ومحـــا ، وجنى ، وطلى ، ونمى ، وجلا ، وطحا ، ودها .

المبحث الخامس

يوجد فى الاسم والفعل الثلاثيين خمسة أمور يستدل بها على أن الألف منقلبة عن ياء وهى :

١ ـ الإمالة ، وهى حركة بـــين الفتحة والـكسرة ، نحو : كفى الندى [1] .

٢ ـ وافتتاح الـكلمة بواو نحو : وعى الورى .

٣ ـ وتوسط الواو فى الـكلمة نحو : غوى الهوى .

٤ ـ وافتتاح الـكلمة بهمزة نحو : أبى فعل الأذى .

٥ ـ وتوسط الهمزة فى الـكلمة [2] نحو : رأى الآى [3] .

---

(١) بمعنى المطر والجود والبلل . (٢) إلا ستة أفعال . وهى بأى . ودأى وسأى . وشأى . ومأى وفيأى . فانها جاءت بالواو والياء لكن يمتنع أن تكتب ألفا كراهة اجتماع المثلين . ولا يصح أن يستغنى عن رسم الياء بمدة توضع فوق الألف إلا فى حالة ما إذا اتصل بها ضمير المفعول نحو مآه

(٣) الثور الوحشى .

الباب الثالث

فى تقسيم الكلام إلى ما يجب فصله وما يجب وصله

١ — الفصل هو كتابة الكلمة على انفرادها منقطعة عما قبلها، وعما بعدها.

٢ — والوصل هو جعل الكلمتين فأكثر بمنزلة كلمة واحدة

٣ — وكل كلمة يصح تقدير الابتداء بها، والوقف عليها، يجب كتابتها منفصلة عن مثلها . وذلك كالأسماء الظاهرة، والضمائر المنفصلة مطلقاً سواء أكانت للرفع أو للنصب ، فكل منهما لا يتصل بشىء من الأسماء . ولا من الأفعال ، ولا من الحروف التى تزيد على حرف واحد ، بخلاف التى تكون على حرف واحد ، فيجب وصلها بها [1] .

---

(١) ومن ذلك يعلم أن من الخطأ مايفعله بعض الكتاب . وهو وصل الكلمات الآتية ببعضها . نحو : بومتاريخه فيتاريخه انشا الله . وغير ذلك . والصواب فصلها عن بعضها لأن كلا منها يبتدأ به . ويوقف عليه .

٤ — وكل كلمة يبتدأ بها، ولا يوقف عليها، أو يوقف عليها، ولا يبتدأ بها يجب وصلها بغيرها، والوصل يصيرها كجزء مما تتصل به، وفى هذا الباب خمسة مباحث:

المبحث الاول

الكلمات التى يبتدأ بها ، ولا يوقف عليها توصل بما بعدها، وهى:

٢ — الحروف المفردة وضعا كالباء والتاء واللام والكاف والفاء والسين، نحو: علم بلا عمل كشجرة بلا ثمر.

٢ — وأل نحو: الكتاب، المدنية، العلم، الفضل، الوطن.

٣ — والظروف المضافه إلى إذ المنونة تنوين عوض. نحو: وقتئذ يومئذ، ليلتئذ، صبيحتئذ، ساعتئذ.

٤ — وأول المركب المزجى نحو: بعلبك، معد يكرب، إلا أحد عشر وأخواته.

٥ - وما ركب مع كلمة (مائة) من الآحاد المضافة اليها،

ونحو : ثلثمائة ، وأربعمائة ، وخمسمائة ، وستمائة وسبعمائة ، وثمانمائة وتسعمائة [١] .

٦ ـ ونحو : حبذا .

المبحث الثانى

الكلمات التى يوقف عليها ، ولا يبتدأ بها توصل بما قبلها وهى :

١ — الضمائر المتصلة [٢] بأقسامها نحو : كتبت ، كتبنا ، كتبت ، أكرمنى ، أكرمنا ، أكرمك ، إننى ، إننا ، إنك ، غلامى ، غلامنا ، غلامك الخ [٣] .

---

(١) وصلوا ذلك للتخفيف . واعلم أنه إذا اضيفت الكسور إلى المائة ، فلا توصل بها . نحو: ثلث مائة .وربع مائة . وخمسمائة مضمومة الأوائل . فتفصل للتميز بين الآحاد والكسور :

(٢) هذا إذا لم يقصد لفظها . فان قصد لفظها صارت كالأسماء الظاهرة . فلا توصل إلا بالحروف المفردة كقولهم : تكتبها ،وصلة بذا الاشارية لحذف الفها مالم تكن بعد ذا كاف . وإلا فصلت ذامنها

(٣) ومجموع الضمائر المتصلة ستة وثلاثون ضميرا إثنا عشر متصلة بالفعل، وإثنا عشر متصلة بالاسم . وإثنا عشر متصلة بالحرف .

٢ ـ وعلامة التأنيث ، نحو : المرأة كتبت .

٣ ـ وعلامة التثنية نحو : إن الرجلين لقائمان .

٤ ـ وعلامة الجمع السالم للمذكر والمؤنث نحو : إن المؤمنين لناجون ، وإن المؤمنات لناجيات .

٥ ـ ونونا التوكيد وغيرهما من الحروف المفردة وضعاً نحو : ليحفظنّ محمد درسه ، لنسفعنْ بالناصية ، ذلكم بما كنتم تستكبرون فى الأرض .

المبحث الثالث

من الكلام الذى يجب فصله بعض كلمات توصل بأخرى فى أحوال خاصة بها وهى لفظة ما ، ومن ، وأن ، وإن .

فالأولى (ما) وتنقسم إلى اسمية وحرفية ، وأنواع الاسمية خمسة : استفهامية ، وشرطية ، وتعجبية ، وموصولة ، وموصوفة .

فأولاً : الاستفهامية ، وهى توصل ببعض حروف الجر ، وهى من ، وإلى ، وعن ، وعلى ، وفى ، وحتى ، والباء ، واللام ، نحو : مِمّ تشكو ، إلام هذا الكسل ، عمّ يتساءلون ، علام تستند فيمَ تذاكر ،

حتامَ تتهاون ، بمَ أكافئك ، لمَ لا تحترم إخوانك .

وتوصل أيضاً بالاسم المضاف إليها نحو . بمقتضامَ فعلتَ كذا[١]

وإذا لحقت هاء السكت ما الاستفهامية فصلت نحو إلى مه تتكاسل ، ونحو على مه تعتمد ، ونحو بمقتضى مه تضربه .

ثانيا : الشرطية نحو : وما تفعلوا من خير يعلمه الله . فلا توصل بشيء لأن لها الصدارة . وهي نوعان :

زمانية نحو : فما استقاموا لكم ، فاستقيموا لهم .

وغير زمانية نحو : وما تفعلوا من خير يعلمه الله .

ثالثاً : التعجبية نحو . ما أجمل هذا الخط . وهي لا توصل بشيء أيضاً لأن لها الصدارة .

---

(١) ولأجل الاتصال تحذف ألف « ما » فيما ذكر ، وتحذف أيضا نون من وعن لادغامها في كلمة « ما » ، وتكتب الياء ألفاً في إلى وعلى وحتى وبمقتضى لتوسطها . وإذا ركبت ما مع ذا لا توصل بما قبلها نحو : ماذا

« تنبيه » : إذا وقعت ما بين فعلين سبقهما علم ، أو دراية . أو نظر احتملت الموصولية والاستفهامية والمصدرية نحو : الله يعلم ما تبدون وما تكتمون ولا أدرى ما يفعل بى ولا بكم ، ولتنظر نفس ما قدمت لغد .

رابعاً : الموصولة[١] ، ومعناها الذى ، نحو : إن ما قلته مليح فتفصل عما قبلها إن لم يكن كلمة من أو عن أو فى أو سى فتتصل بها كما تتصل بالحروف المفردة نحو : لا سيما .

خامساً : النكرة الموصوفة بمفرد أو بجملة ومعناها شىء نحو : ربَّ ما حسن لديك قبيح عند غيرك ، ونحو ، ربَّ ماهو محمود عندك مذموم عند غيرك وحكمها حكم الموصولة .

بخلاف ما إذا وقعت ما صفة لما قبلها فتفصل وفائدتها التحقير ، نحو : أعطيته عطية ما . والتعظيم نحو : لأمر ما جدع قصير أنفه ، والتنويع نحو : ابر القلم بريامًا : أى نوعا من أنواع البرى .

وتوصل أيضاً ما بنعم إذا كسرت عينها وأدغمت إحدى الميمين فى الأخرى نحو : نعما يعظكم به . وإذا لم تكسر عينها لا توصل نحو: نعم ما يقول الأديب .

---

(١) قال أبو البقاء : إذا وقعت «ما» قبل ليس أو لا أو لم أو بعد إلا فهى موصولة نحو : قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته وأعلم من الله ما لا تعلمون . قالوا لا علم لنا إلا ما علمتنا .

المبحث الرابع

أنواع (ما) الحرفية خمسة أيضا : نافية ، وكافة وزائدة ومهيئه ومصدرية .

فأولا : النافية نحو : وما محمد إلا رسول ، وحكمها أن تفصل عما قبلها إذا كان غير الحروف المفردة .

ثانياً : الكافة عن العمل وهى ثلاثة أنواع .

الكافة عن عمل الرفع . وتوصل بطال ، وقلّ ، وكثر ، وجل نحو : طالما نصحتك ، وقلما انتصحت .

والكافة عن عمل النصب والرفع ، وتوصل بإن وأخواتها نحو : إنما يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد ، كأنما يساقون إلى الموت لكنما أسعى لمجد مؤثل .

والكافة عن عمل الجر ، وتوصل برب نحو : ربما إشارة أبلغ من عبارة ، وتوصل بالظروف مثل حين ، وبين ، وقبل — نحو : نادانى حينما رآنى ، بينما أنا مارّ بشارع كذا ، وقبلما اجتاز منزل فلان قابلنى أخى.

« تنبيه » لا تتصل ما بلفظة متى « ١ » . رأيان وشتان . « ١ » هكذا بالأصل والظاهر فى صحته هكذا . لا تتصل ما بلفظين هما ريان، وشتا فليحرر اه مصححه عبد الوصيف محمد

ثالثاً : الزائدة غير الكافة ، وهى التى تقع بين بعض العوامل ومعمولها . فالواقعة بين الجار والمجرور توصل بمن وعن ، وتحذف نونهما ، نحو : عما قليل مما خطاياهم ، والواقعة بين المتضايفين توصل بما قبلها ، نحو أيما الأجلين قضيت ، والواقعة بعد كى وبعد أداة الشرط (إن ، وأين ، وأى ، وحينما ، وكيفما) توصل بها نحو : اجتهد كيما تفوز بالتقدم ، أينما يتوجه العالم يلق اكراماً ، كيفما تكن يكن قرينك . وإذا وُصلت بإن الشرطية تحذف نونهما ، نحو قوله تعالى (إما يبلغنّ عندك الكبرَ أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف) .

رابعاً : المهيئة : وهى التى تهيىء رُبّ للدخول على الفعل ، فتوصل بها نحو : ربما يود الذين كفروا .

خامساً : المصدرية ، وهى التى تسبك مع ما بعدها بمصدر نحو : اجلس كما جلس الأمير أى كجلوسه .

وهى توصل بكلمة كلّ المنصوبة على الظرفيــة بمعنى كل

وقت ، أو كلّ مرّة ، نحو : كلما أضاء لهم مشوا فيه ؛ كلما زرتنى أكرمتك .

وتوصل بمثـل ، نحو : إنه لحقّ مثلما أنكم تنطقون . كوفئنا مثلما كوفئتم .

وتوصل بريث بمعنى مدّة أو مقدار نحو : ما وقفت عنده إلا ريثما كتب الجواب .

وتوصل مطلقاً سواء أجعلت موصولة أو موصوفة أو زائدة بكلمة سِىّ بمعنى مثل نحو : كوفىء المجتهد لاسيما[1] محمود .

---

(١) تستعمل سيما المنفية بلا فى الاستثناء بترجيح ما بعدها على ماقبلها ، فقولك لاسيما محمود فى جملة « كوفىء المجتهدون لا سيما محمود » يفيد أن مكافأة محمود أعظم من غيره ، وتستعمل بغير نفى للتسوية ، أو التشبيه نحو : كوفىء المجتهدون سيما محمود : أى مثل محمود .

« تنبيه » إذا استعملت الكلمة فى غير موضعها بأن تصد لفظها نحو قولك (تحذف الألف من ما المجرورة) فيجب فصلها عما قبلها : أى لا يصح فى مثل هذه الحالة وصل ما بمن ، وقس على ذلك مايوصل من الكلام بغيره .

المبحث الخامس

الثانية (من) سواء أكانت استفهامية أو موصولة، أو موصوفة، أو شرطية توصل بمن وعن الجارتين، وتحذف نونهما للادغام، نحو: ممن اشتريت هذا؟ وقد أخذتُ ممن أخذت منه ممن تأخذ آخذ، عمن تسأل؟، وتوصل الاستفهامية بكلمة (فى) أيضاً نحو: فيمن ترغب؟ وإذاجاءت إحدى هذه الكلمات بعد (مَن وجب الفصل نحو: مَن مِن هؤلاء ترغب؟ ولا توصل بمع، ولا بكل، ولا بأى، ولا بضمير؛ ولا باسم إشارة.

الثالثة: إن الشرطية، وهى توصل بكلمة (لا) وتحذف نونها للادغام نحو: إلا تنصروه فقد نصره الله — إلا تفعلوه تكن فتنة بخلاف لم ولن، فلا توصل بهما إن المكسورة ولا المفتوحة نحو وإن لم تفعل فما بلغت رسالته. ونحو: أيحسب أن لن يقدر عليه أحد.

الرابعة: أن المصدرية الناصبة للفعل، وتوصل بكلمة (لا)، وتحذف نونها سواء تقدمت عليها اللام التعليلية نحو: لئلا يعلم

أهل الكتاب ، أم لم تتقدم نحو : يجب ألا تهمل فى الواجب عليك ـ ويجب الفصل باثبات النون إذا كانت (أن) ليست مصدرية ناصبة بأن كانت مخففة من الثقيلة نحو : أشهد أن لا إله إلا الله ، علمت أن لا خوف عليه . أو كانت مفسرة نحو : بشر نفسك أن لا تخاف ولا تحزنى ، وكذا لا توصل لا (بكى) ولا (ببل) ولا (بهل) نحو : كى لا يكون عليك حرج ، ونحو كلا بل لا تكرمون اليتيم . ونحو : هل لا يقال كذا ، وأما كلمة هلا فى : نحو : هلا كتبت لأخيك ؟ فهى كلمة بسيطة موضوعة للتحضيض ليست مركبة من هل ولا .



الباب الرابع

فى الحروف التى تزاد فى الكلمات

وفيه ثلاث مباحث

المبحث الاول

تزاد همزة الوصل سماعا فى أل وفى الأسماء العشرة (ابن وابنة وابنم ، واسم ، وامرؤ ، وامرأة ، واست ، واثنان ، واثنتان ، وايمن) ، وتزاد قياسا فى المصادر القسمة وما تصرف منها من فعل الأمر والماضى — وهى الثلاثة الخماسية : (افتعال وانفعال وافعلا) والستة السداسية (استفعال ، افعنلال ، افعيلال افعوّال ، افعيلالا ، افعلالا)

وتزاد الألف فى الوسط أو فى الطرف ، ولا ينطق بها أصلا فتزاد فى الوسط فى كلمة (مائة) وتطرد الزيادة فى حالة التثنية نحو مائتان ، وفى حالة التركيب مع الآحاد نحو : ثلثمائة ، وأربعمائة وخمسمائة . وستمائة ، وسبعمائة ، وثمانمائة ، وتسعمائة . ولا تزاد فى الجمع نحو . مئون . ومئات . ولا فى النسبة إلى مائة ، نحو مئينى .

وتزاد فى الطرف بعدوا والضمير المتطرفة [1] فى الفعل الماضى نحو : كتبوا أكلوا ، اجتهدوا وفى الأمر نحو : اكتبوا ، كلوا وفى المضارع المحذوف النون لناصب أو جازم نحو : فان لم تفعلوا ولن تفعلوا . بخلاف جمع المذكر السالم ، والملحق به نحو : مهندسو المدينة على ضفتى النيل ، ونحو : هم أولو الفضل وذوو السبق — فلا تكتب ألف بعد الواو كما لا يكتب أيضا بعد واو

---

(١) بعض الكتاب يزيد ألفا بعد كل واو متطرفة سواء كانت فى فعل أو اسم وهذا من الخطإ المحض إذ ان زيادة الألف مختصة بواو الضمير المتطرفة فى الفعل بخلاف واو العلة فلا تزاد بعدها ألف نحو : يدعو محمد . واعلم انك إذا قلت العلما علموا هم غيرهم . وجعلت هم ضمير رفع مؤكد للواو . فاكتب الألف بعد الواو ، وان قلت . ربوا الأحداث وعلموهم الواجب عليهم ، فلا تكتب الألف لأن هم مفعول . فلا يفصل بينه وبين ما قبله .

الأسماء الخمسة نحو : جاء أبو منصور . وكذا بعد واو الاشباع نحو: همو حضروا .

ويزاد فى الشعر ألف لينة يقال لها : ألف الأطلاق ، وهذه ينطق بها وتكون فى آخر البيت لضرورة القافية كالألف التى فى كلمة : (شهدا) فى البيت الآتى .

وكم لكم يابنى الزهراء من شرف   عال به الله فى القرآن قد شهدا

وتزاد الألف فى آخر المنصوب المنوّن نحو : قرأت كتابا — بشرط ألا يكون منتهياً بتاء التأنيث المربوطة ، أو بهمزة مكتوبة فوق ألف أو بهمزة قبلها ألف ، وألا يكون مقصراً .

المبحث الثانى

تزاد هاء ساكنة فى الطرف تسمى هاء السكت بعد كل متحرك الآخر بحركة غير إعرابية لأجل الوقف عليها ، وتسقط لفظاً فى حالة الدرج ، وزيادتها إما واجبة أو جائزة ، فتجب زيادتها فى الكلمات الآتية .

١ — فى الأمر من اللفيف المفروق [(١)] لكونه يصـير على حرف واحد ، بشرط ألا يكون مسبوقاً بفاء أو واو ، وألا يكون وق ووف

وكذا فى الأمر من رأى نحو . ره نفسك ولا تره عدوك

٢ — فى كلمة (ما) الاستفهامية المجرورة بالاضافة إذا وقف عليها نحو . بمقتضى مه فعلت كذا ، ويجوز زيادة الهاء أو تركها فى الكلمات الآتية :

١ — فى الأمر من اللفيف المفروق إذا أكـد بالنون أو سبقته فاء أو واو نحو : ق نفسك ، أوقه نفسك ، أوقنّ نفسك أو قنه نفسك ، وكذا مضارعه المجزوم نحو · لم يف كامل بوعـده أولم يفه بوعده .

٢ — فى الأمر من الناقص [(٢)] ومضارعه المجزوم نحو : اسعه فى طلب المعالى ، وإن لم تسعه فقد أخطأت .

---

(١) اللفيف المفروق.هو ما فاؤه ولامه من حروف العلة نحو : وقى.وفى.

(٢) الناقص ما لامه حرف علة نحو : غزا . ورمى . سعى .

٣ ـ فى كلمة (ما) الاستفهامية المجرورة بأحد حروف الجر نحو : لمه أضعت وقتك سدى ، عمه تسأل .

٤ ـ فى الاسم المنتهى بحرف علة مثل : هو ، وهى ، نحو : وماأدراك ما هيه .

٥ ـ فيما آخره ياء المتكلم مثل . مالى وسلطانى نحو : ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى سلطانيه .

٦ ـ فى الاستغاثة والندبة نحو . يارباه . ياغوثاه ، ياأبتاه ، ياويلتاه ، واولداه ، واحرّ قلباه .

المبحث الثالث

تزاد الواو فى الوسط أو فى الطرف ، ولا ينطق بها أصلا ، فتزاد فى الوسط فى الكلمات الآتية :

١ ـ فى أولاء (بالمد) ، وأولى (بالقصر) اسماً إشارة مطلقاً نحو : أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون .

٢ـ فى أولو (المرفوعة) أو أولى (المنصوبة أو المجرورة) بمعنى أصحاب نحو : أولئك هم أولوا الألباب ، إن فى ذلك لآيات لأولى النهى .

٣ـ فى أولات بمعنى صاحبات نحو : وأولات الأحمال .

وتزاد فى الطرف فى اسم (عمرو) بشرط أن يكون علماً لم يضف لضمير ، ولم يقع فى قافية ولم يصغر ، ولا محلى بأل ، ولا منسوباً ، ولا منصوباً منوناً ، فان كان منصوباً غير منون فتزاد الواو منعا من التباسه بعمر الممنوع من الصرف نحو : إن عمرو بن العاص هو الذى فتح مصر فى عهد عمر بن الخطاب .

وتزاد واو ينطق بها بعد ميم الجمع لتدل على إشباع ضمتها ويقال لها . واو الصلة نحو قول الشاعر :

واخوان تخذتهمو دروعاً	فكانوها ولكن للأعادى
وخلتهمو سهاماً صائبات	فكانوها ولكن فى فؤادى
تخذتكمو درعاً حصينا لتدفعوا	نبال العدا عنى فكنتم نصالها
وقد كنت أرجومنكمو خير ناصر	على حين خذلان اليمين شمالها
فان كنتمو لم تحفظوا المودتى	ذماما فكونوا لا عليها ولا لها

الباب الخامس

فى الحروف التى تحذف من الكلمات

يحذف من الكتابة غالبا للتخفيف تسعة حروف ، وهى : همزة الوصل ، وهمزة القطع ، والألف اللينة ، والواو ، والياء ، والتاء ، واللام ، والميم ، والنون .

وفى هذا الباب ثمانية مباحث :

المبحث الأول

تحذف همزة الوصل فى الكلمات الآتية ، وهى :

١ — من كلمة (أل) فى حالتين :

أولا : إذا دخلت عليها همزة الاستفهام لأن تلك تقلب مدا بعد هذه ، وتكتب على همزة الاستفهام علامة تسمى مدة

وصورتها هكذا (آ) : نحو : آلعلم أفضل أم المال ؟ آلجهل شر أم الفقر ؟

ثانياً : إذا دخلت عليها اللام المفتوحة أو المكسورة[1] نحو : للعلم مع الفقر خير من الجهل مع الغنى ، ونحو : حضرت للمدرسة . والحذف هنا هو خطا ولفظا .

٢ — من المصادر وأفعالها الماضية ، خطا ولفظا إذا دخلت عليها همزة الاستفهام ، نحو : أستغفرت لهم أم لم تستغفر . أصطفى البنات على البنين ، أستكباراً على من هو أعلم منك ، اضطراراً فعلت كذا أم اختياراً ؟ .

٣ — من كلمة (اسم) خطا ولفظا فى حالتين :

أولا . إذا دخلت عليها همزة الاستفهام . نحو . أسمك على أم خالد ؟ أسم أخيك محمود ؟

ثانياً . إذا كانت كلمة (اسم) فى البسملة الكريمة بشرط

---

(١) لا تحذف الهمزة ، من أل ، التى هى جزء من الكلمة عند دخول فى اللام عليها نحو : التقاء الثقات . التماس . تقول قصدتك لالتماس معروفك .

ذكرها كاملة بلا متعلق قبلها أو بعدها ، فان ذكر المتعلق ، أو لم تذكر البسملة بتمامها فلا حذف نحو : أتبرك باسم الله الرحمن الرحيم ، باسم الله الرحمن الرحيم أفتتح ، باسم الله .

المبحث الثانى

تحذف همزة الوصل من كلمة (ابن) خطا ولفظا فى ثلاثة أحوال وهى :

أولا : إذا دخلت عليها همزة الاستفهام نحو : أبنك هذا ؟ .

ثانياً : إذا دخلت عليها (يا) الندائية نحو : يابن آدم .

ثالثاً : إذا وقعت كلمة (ابن) بين علمين[1] اشتهر أولهما بالانتساب إلى الثانى نحو : عمر بن الخطاب ، على بن أبي طالب ، محمد بن الحنفية ، ويشترط فى العلم الأول ألا ينوّن ، وفى ابن أن يكون مفرداً ونعتاً للأول ، وغير منفصل عنه بفاصل ، ولم يكن

---

(١) لا فرق فى العلمين بين أن يكونا اسمين ، أو كنيتين ، أو لقبين ، أو مختلفين ولا فرق فى العلم الثانى بين أن يكون اسم أب الأول ، أو اسم جد ، أو يكون اسم أمه ، واعلم أن علة الحذف اعتبار الاسمين اسما واحدا .

مقطوع الهمزة لضرورة وزن الشعر ، وليس أول سطر ، فان خولف شرط من ذلك ، فلا حذف .

وكذلك تحذف الهمزة من كلمة (ابنة) ، ويشترط لحذفها ما اشترط فى همزة (ابن) نحو : هذه فاطمة بنت عبد الله ، وتحذف همزة القطع من الأول أو من الوسط أو من الطرف ، فتحذف من الأول خطا ولفظا من فعل الأمر المتصرف من أخذ ، وأكل ، وأمر ، نحو : خذ ، وكل ، ومر .

وتحذف من الوسط من كل كلمة تقع فيها ساكنة بعد همزة أخرى مفتوحة لانقلاب الساكنة مدا بعد المفتوحة ، ويكتب على الهمزة الأولى علامة المد نحو : سوف آخذ حق منك ، سآكل مع أخى .

وتحذف من الوسط ومن الطرف وتكتب القطعة موضعها فى أحوال تقدم بيانها .

(تنبيه) لا يجوز وضع القطعة على همزة الوصل - وأما همزة القطع . فاذا أريد الشكل تكتب على الألف لأنها شكله تكتب عند ارادته ، وتحذف عند حذفه ، وبعضهم اختار فى همزة القطع المكسورة أن توضع الكسرة تحت الألف والقطعة فوقها .

المبحث الثالث

تحذف الألف اللينة التي في الوسط من الكلمات الآتية :

سواء أكان توسطا أصليا أم عارضا .

١ ـ من كل كلمة تقع فيها الألف بعد همزة ترسم ألفا على مقتضى القواعد ويكتب فوق الهمزة علامة المد نحو : الآن ، آمن ، آثر ، آدم ، مآدب ، مآثر ، مآرب ، مآل ، تآلف[1] .

٢ ـ من كلمتى : رحمان ، وحارث إذا عرفتا بأل نحو : عبد الرحمن ، وحكى الحرث بن همام .

٣ ـ من كلمة (لكن) سواء أكانت نونها مخففة أو مشددة نحو : زيد كريم لكنه جبان .

٤ ـ من كلمة (أولاء) إذا جاءت بعدها الكاف . نحو : أولئك هم المفلحون .

---

(١) ومن ذلك الألف فى الاسم المثنى نحو : هذان ملجآن ونآن . وخطآن وكذلك الألف فى جمع المؤنث السالم نحو : مكافآت ، مفاجآت ، أما الألف ضمير المثنى فلا تحذف نحو : الرجلان قرآا . ويقرأان . القاضيان أبرآ زيداً . وقد سبق الكلام على ذلك فراجعه فى أحوال الهمزة السابقة .

٥ ـ من لفظ (الجلالة) نحو : ربى وذلك لكثرة الاستعمال .

٦ ـ من كلمة (إله) سواء كانت معرفة أو نكرة نحو : والحكم إله واحد ، الإله تجب طاعته ، ولا تحذف من كلمة (الآلهة) سواء أكانت بمعنى العبادة ، أو غير ذلك .

٧ ـ من كلمة (سماء) إذا جمعت بالألف والتاء نحو : الله خالق السموات والأرض(١) .

المبحث الرابع

تحذف الألف اللينة أيضا من الكلمات الآتية :

١ ـ من كلمة (ثلاث) إذا ركبت مع المائة نحو : هؤلاء ثلثمائة .

٢ ـ من الأعلام المشتهرة فى الاستعمال الزائدة على ثلاثة

---

(١) لا تحذف الألف مطلقا إذا وقعت بعد : همزة ترسم واوا نحو لا تواخذنى . أو ترسم ياء : هذان قارئان : ومن قارئات . أو بعد همزة تحذف بمقتضى القواعد المتقدمة نحو : شيئان . جزاءان جزءان . جزاءات . عطاءات . وقد سبق الكلام على ذلك فى مباحث الهمزة .

أحرف بشرط عدم التباس الكلمة بغيرها بعد الحذف نحو : إسحق ، هرون ، إسمعيل ، إبراهيم .

وقد يكتب (طاها) هكذا (طه) بحذف ألفين منه ويكتب (ياسين) هكذا (يس) بحذف ألف وياء ونون منه .

٣ — من (ها) حرف التنبيه ، وتوصل الهاء بما بعدها ؛ وذلك فى ثلاثة أحوال :

أولا : إذا وقع بعده اسم إشارة غير مبدوء بتاء ولا هاء ، وليس بعده كاف نحو : هذا ، هذه ، هؤلاء ، هكذا .

ثانياً : إذا وقع بعده اسم الجلالة فى القسم نحو : ها الله لأفعلن كذا .

ثالثاً : إذا وقع بعده ضمير مبدوء بهمزة ، نحو : هأنا ، هأنتم والحذف فى هذه الحالة قليل الاستعمال .

٤ — من (ذا) أحد أسماء الإشارة — وذلك إذا اتصلت به لام البعد المكسورة مما نحو : ذلك ، ذلكما ، ذلكم ، ذلكن .

أما إذا وقع بعده لام مفتوحة فلا حذف — نحو : ذلكَ فخذه

المبحث الخامس

تحذف الألف اللينة أيضاً من الكلمات الآتية :

١ ـ من (يا) أحد حروف النداء ، وتوصل الياء بما بعدها وذلك في ثلاثة أحوال :

أولا : إذا وقعت بعده كلمة (أيها) نحو : يأيها المرء المؤدب .

ثانياً : إذا وقعت بعده كلمة (أهل) نحو : يا أهل البلد .

ثالثاً : إذا وقع بعده علم مبدوء بهمزة من الأعلام التي لم يحذف منها شيء نحو : يإبراهيم ، يإسمعيل ، يإسحق ، وحذف ألف (يا) في هذه الأحوال قليل الاستعمال .

٢ — من (أنا) ضمير المتكلم فتحذف ألفها إذا وقعت بين هاء التنبيه وذا الإشارية . نحو هأنذا .

والتي في الطرف تحذف من الكلمات الآتية :

١ ـ من كلمة (أما) المخففة الميم التي بمعنى حقاً ؛ إذا اقترنت بالقسم نحو أمَ والله إن الظلم شؤم .

المبحث السادس

قد يجتمع في بعض الكلمات واوان مثل ناووس .

فتارة يقتصر على إحداهما وتحذف الأخرى — وتارة يكتبان معاً ؛ والمختار هو :

١ـ حذف إحدى الواوين من داود ، وطاوس . وحذفهما أو إثباتهما في هاوون ، وراووق ، وطاووس[1] .

٢ ـ إثبات الواوين معاً في ذوو ، إذا كانت مرفوعة جمع ذو بمعنى أصحاب ، وفي كل اسم منقوص واوى العين جمع مذكر سالم ، وكان مرفوعا نحو : الراوون ، العاوون ، الناوون ، وفي نحو : ؤول ، صؤول ، كؤوس ، سؤول ، شؤون . وكذا في اللفيف المقرون إذا أسند لواو ضمير الجمع نحو : لووا ، طووا غووا ، رووا ، يلووون ، يطوون ، يروون يعوون ، اطووا ، اغووا .

---

(١) واعلم أنها تحذف في أمر المنتهى بها نحو : ادع ، وفي مضارعه المجزوم نحو : لم يدع ، أو إذا اتصل به واو الجماعة نحو : الرجال يدعون ، أو إذا اتصل به ياء المخاطبة نحو : ياهند تدعين . وتحذف في جمع المذكر السالم المرفوع المضاف إلى ياء المتكلم نحو : جاء مسلمى .

أما الواو التى ترسم بدل الهمزة إذا تلتها واو نحو : يؤوب ؛ يؤول ؛ لؤوم . وغير ذلك فقد تقدمت فراجعه .

المبحث السابع

تحذف الياء من الكلمات الآتية :

١ - من الاسم المنقوص فى حالتين .

أولا : إذا أضيف إلى ياء المتكلم سواء أكان مفرداً أو جمعاً لإدغام الياء الأولى فى الثانية - نحو : هذا مفتىّ ؛ هؤلاء جوارىّ وموالىّ .

ثانياً : إذا نوّن وكان مرفوعاً أو مجروراً للوقف على ما قبل الياء نحو : هذا قاض عادل ؛ ذاك محام بارع ؛ وإنما البيع عن تراض ومن ذلك المنقوص المهموز ما قبل الآخر تحذف ياؤه الأخيرة ؛ ويكتب بياء واحد ؛ وهى المبدلة من المبدلة من الهمزة نحو : جاءى[1] ،

---

(١) والأصل جائى . رائى . الخ . فلما نون حذفت الياء الأخيرة .

تنبيه : تحذف الياء المحدثة من إشباع حركة الحرف الذى قبلها نحو .

أمن تذكر جيران بذى سلم   مزجت دمعاجرى من مقلة بدم

راءى ، مراءى . ناءى . والحذف فى هـــذه الحالة هو خطا ولفظاً وتثبت ياء المنقوص إذا كان منوناً منصوباً ، نحو : كن قاضيا . عادلا . أو معرّفاً نحو : المفتى ، أو مضافا لغير ياء المتكلم نحو : وادى النيل وطنى .

٢ — من المثنى المنصوب أو المجرور إذا أضيف إلى ياء المتكلم لإدغام الياء فى الياء نحو : أكرمت والدىّ . وكذا من جمع المذكر السالم المنصوب أو المجرور إذا أضيف إلى ياء المتكلم أيضا نحو . إن معلمىّ حضروا .

٣ — من أمر المنتهى بها خطا مطلقاً سواء أنطق بها ألفاً أو ياء نحو : اسع وارم .

٤ — من مضارعه المجزوم نحو : لم يسع ، ولم يرم .

المبحث الثامن

تحذف التاء من كل فعل آخره تاء أسند إلى تاء الفاعل لإدغام الأولى فى الثانية مثل . فات ، وبات ، نحو : فتّ ، وبتّ

تحذف اللام من كل اسم أوله لام وعرّف بأل ثم دخلت عليها اللام لإدغام أل فى لام الـكلمة مثل اللبن واللهو واللعب ، نحو : اللبن أخف طعام للمريض ، لم يخلق الانسان للهو ولا للعب ، ومثل ذلك الأسماء الموصولة التى تكتب بلامين ، وهى . اللذيا ، واللتيا ، واللذان أو اللذين ، واللتان أو اللتين ، واللاتى ، واللواتى ، واللائى . فاذا دخلت عليها لام تحذف إحدى اللامات نحو : الفضل للذين يسعيان فى طلب المعالى . وكذا تحذف لام الذى ، والتى ، والذين ، وتكتب بلام واحدة كما هى مرسومة .

وتحذف الميم من نعم إذ اتصلت بكلمة (ما) النـكرة نحو : إن تبدو الصدقات فنعما هى . وقد تقدمت .

وتحذف النون من كل فعل آخره نون إذا أسـند إلى النون أونا نحو : النساء ظعن وآمنا . وكذا مع نون الوقاية لإدغام الأولى فى الثانية نحو : آمنى ، وأعنى ، وقد تحذف من آخر الحروف المنتهية بها مع نون الوقاية للإدغام أيضاً نحو : إنّى ، كأنّى ، ولـكنى

وتحذف من الكلمتين ، (من وعن) إذا دخلتا على ما أو من ، نحو : مما وعمن

ومن المنوّن المرفوع أو المجرور ، ومن أن الناصبة وإن الشرطية ، وقد تقدم ذلك مستوفياً فى مواطنه فراجعه

الباب السادس

تاء التأنيث إذا كانت متطرفة تكتب إما مربوطة كالهاء ، وإما مفتوحة كأصلها .

فتكتب مربوطة وتنقط إذا كانت فى اسم مفرد غير مضافة لضمير وكان ماقبلها متحركا ولو تقديراً لانقلابها هاء ساكنة فى الوقف ، ولذلك تسمى هاء التأنيث نحو : فاطمة ، طاحة ، فتاة ، مائة صلة ، ابنة ، امرأة ، خاطئة ، ناشئة ، عائلة ، ولا تنقط إذا وقعت فى قافية سجع ، أو شعر

وتكتب تاء مفتوحة إذا أضيفت لضمير نحو : البخيل حارس لنعمته ، خازن لورثته ، ومن طابت سريرته ، حمدت سيرته.

١ — فى الأسماء مطلقاً مفردة أو مجموعة نحو : بنت ، أخت ، زينبات ، مسلمات ، قارئات ، كاتبات ، أوقات ، أموات ، بنات .

٢ — وفى الأفعال نحو: كتبت ، أكلت ، سمعت .

٣ — وفى الحروف، وتتصل بأربعة أحرف فقط، وهى : ثم العاطفة[1] المضمومة الأول ، ورُب ، ولعلّ ، ولا ، نحو : ثمت ، ربت لعلت ، لات .

أمثلة

النعت ، الصفة ، البخت ، الثبات ، الثبوت ، العظمة ، السكوت ، الصمت ، الفرات ، الحمرة ، الجهات ، الوفاة ، الصلاة .

نتيجة التفريط الندامة ، وثمرة التأنى السلامة .

إن الشباب والفراغ والجده   مفسدة للمرء أى مفسدة

---

(١) بخلاف ثمة الظرفية المفتوحة الأول . فتكتب تاؤها مربوطة

غش القلوب يظهر فى فلتات الألسن ، وصفحات الوجوه ، الشبهة أخت الحرام . بكثرة الصمت تكون الهيبة .

إذا فقدت العقول الحكمة ماتت ، ربّ صداقة ظاهرة ، باطنها عداوة كامنة . لا خير فى القول إلا مع العمل ، ولا فى الثقة إلا مع الورع ، ولا فى الصدقة إلا مع النية ، ولا فى المال إلا مع الزكاة ، ولا فى الصدق إلا مع إنجاز الوعد ، ولا فى الحياة إلا مع الصحة .

الباب السابع

فى نقط الياء وإهمالها

الياء إما أن يجب نقطها ، وإما أن يجب إهمالها ، وإما أن يجوز فيها الأمران .

فيجب نقط الياء الواقعة فى أول الكلمة ، أوفى وسطها إذا كانت غير مبدلة من همزة نحو يعيش الخليفة . ومن ذلك الواقعة فى المجموع الذى على وزن مفاعل أو أفاعل المعتلة العين ، نحو : مغاير ، مضايق ، مشايخ ، مكايد ، معايش ، أطايب ، ذخاير . والواقعة فى المفاعلة نحو : ساير يساير ، مسايرة ، فهو مساير : عاين يعاين ، معاينة ، فهو معاين .

ويجب إهمال المتطرفة سواء أكانت أصلية أو مرسومة بدلا من ألف لينة أو بدلا من همزة نحو : يهتدى ، يرتقى ، رضى ، يرى ، سعى ، وفى ، نهى ، بلى ، الى ، على ، حتى ، عيسى ، موسى ،

لدى ، متى ، برىء ، فيء ، ينشىء ، ينبئ ؛ مبتدىء وكذا ؛ المتوسطة المرسومة بدلا من الهمزة التى لايجوز إبدالها ياء محضة كالتى فى جمع على وزن فعائل نحو : سمائل ؛ قصائد ، قلائد ؛ والتى فى جمع على وزن مفاعل إن كانت العين همزة ؛ كمسائل ، جمع مسألة ؛ والتى فى اسم فاعل الثلاثى الأجوف نحو : جائز ، بائع ، قائل ما لم تكن قبل الألف همزة ، فإن الياء حينئذ تنقط ، وينطق بها ياء محضة نحو : آيل ، آيب .

والمختار أيضاً إهمال المتوسطة المرسومة بدلا من همزة إذا كانت ساكنة أو مفتوحة أو مضمومة بعد كسر نحو ذئب ؛ رئة يستهزئون ؛ أو مكسورة بعد فتحة نحو أئمة ، لجواز قلبها ياء محضة أو مكسورة بعد كسرة نحو مئين ، وفئين .

الباب الثامن

فيما يكتب واواً أو ياء ، وَيتلفظ به فى الوصل همزة
وما يكتب ياء ، ويتلفظ به فى الوصل واواً

(١) من المقرر كون الكتابة تابعة للابتداء والوقف ، فالهمزة الساكنة بعد همزة وصل مضمومة تكتب واواً وبعد المكسورة تكتب ياء لأنه فى الابتداء ينطق بها كذلك ، وإن كانت فى الوصل ينطق بها همزة نحو : فليؤدّ الذى اؤتمن أمانته ، ونحو : ائتمن الأمين . هذا ما لم يتقدم الهمزة الأولى واو أو فاء فى الماضى وَالأمر من باب الافتعال المهموز الفاء ، أو فى الأمر من مثل أتى وإلا حذفت الهمزة الأولى ، ورسمت الثانية ألفاً إذا أمن اللبس ، نحو : فأتمن الأمين ، فأتوا بكتاب وأتمنك علىّ ، وأتمر بأمرك وإذا لم يؤمن اللبس فلا حذف نحو : ائتمّ ، وائتلف ، فإنه عند حذف ألفه يشتبه بأتم ، وأتلف ، كما إذا تقدم على ما ذكر غير

الحرفين المذكورين لأن الفاء والواو كجزء من الكلمة . ولذا لم يصح الوقف عليهما ووصلت الفــاء بما بعدها خطأ ، ولولا المانع الطبيعى للواو من وصلها لوصلت ، ولذلك استقبح وضعها آخر السطر .

(٢) وكذا أول فعل الأمر من المثال (والمراد به هنا الفعل الذى أوله واو بشرط أن يكون من باب علم يعلم) نحو : وجل ، يوجل وود ، يود ، يكتب ياء نظراً للابتداء بهمزة الوصل مكسورة وينطق به واواً عند ضم ما قبله فى الوصل نحو ياءؤمن أيجل من هيبة الله ، ويا على أيد إخوانك .

خاتمـــة

لما كان اللفظ يحذف فيــه بعض الكلمات اتكالا على فهم السامع أو توقيف المعلم ، وينحت الكلمتين كلمة كالحسبلة ، والبسملة ، والحمدلة ، وكان الخط نائبا عنه استعمل الكتاب ما يشبه ذلك فى الكتابة ، وسموه الرمز كأن يؤخذ من اسم الشهر حرف أو أكثر

نحو : (م) محرم ، (ص) صفر ، (را) ربيع الاول ، (ر) الثانى ؛ (جا) جمادى الأولى ، (ج) الثانية (ب) رجب ، (ش) شعبان ، (ن) رمضان ، (ل) شوال ، (ذا) ذو القعدة ، (ذ) ذو الحجة ، وكأن يؤخذ من الاسم العلم حرف أو حرفان — أو منه أول حرف ؛ ومن لقبه أو بلده حرف آخر ـ نحو : (س) لسيبويه ، و (سم) لابن قاسم العبادى ؛ و (م ر) للامام الشيخ محمد الرملى ؛ و (ح ل) للحلبي ؛ و (ق ل) للقليوبى و (ع ش) للشيخ الشبراملسى ، و (ض) للحديث الضعيف و (م) للحديث المعتمد ؛ (ص) للمصنف بفتح النون : أى المتن (والمص) للمصنف بكسر النون ؛ و (الش) الشارح ؛ و (ش) للشرح ؛ (وثنا وثنى ، وأنا ونا) فى الصحيحين : البخارى ومسلم منقطعة من حدثنا حدثنى ، أنبأنا ، أخبرنا ؛ و (إلخ) إلى آخره . و (اه) انتهى . و (مم) ممنوع . و (لايخ) لا يخفى . و (ع م) عليه السلام . وكذا (صلعم) أو (ص م) وهذه الاربعة الاخيرة من اصطلاحات العجم . ولكل من علماء المذاهب

الأربعة والفنون الأخرى رموز نحو ذلك ، ينبهون على مدلولاتها فى أوائل كتبهم . وفى جميع ذلك ينطق بالأسماء المتعارفة دون أسماء حروف الهجاء وقد نهى علماء الدين الأفاضل عن كتابة الرمز بدل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لأن فيه إعراضاً عن اكتساب الثواب العظيم الوارد فى حديث : (من صلى علىّ فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام أسمى فى ذلك الكتاب .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

يقول مؤلفه : السيد أحمد الهاشمى — قد فرغت من تأليفه فى غرة سنة ألف وثمانمائة وتسعة عشر هجرية — على صاحبها أفضل صلاة وأزكى التحية .

أمثلة على القواعد السابقة

الصحة تاج على رءوس الأصحاء ، لا يراه إلا المرضى . الحرية أفضل سعادات الدنيا . اليد العلى خير من اليد السفلى . كفى بالقناعة ملكا ، وبحسن الأخلاق نعيما . إن ما عند الله هو خير لكم . ما كل ما يتمنى المرء يدركه . لن يبلغ المرء حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه .

لمنافع يسعى اللبيب فلا تكن لشيء بعيد نفعه الدهر ساعياً

ربما تكره النفوس من الأمـ ـر له فرجة كحل العقال

فتلك ولاة السوء قد طال مكثهم فحتام حتام العناء المطول

إلامَ تقول الناعيات إلى مه ألا فاندبا أهل الندى والكرامة

إن تبدو الصدقات فنعما هي ، لأمر ما جدع قصير أنفه .

﴿ إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾ .

ولكن نفساً حرة لا تقيم بي على الضيم إلا ريثما أتحول

قلما يبرح اللبيب إلى ما يورث المجد داعياً أو مجيباً
وَلكنما أسعى لمجد مؤثل وإنما يدرك المجد المؤثل أمثالى
إذا أنت لم تنفع فضر فإنما يرجى الفتى كى ما يضر وينفع
ربما ضرَّ خِلٌّ نافع أبداً
كالريق يحدث من عارض الشرَق
احفظ الإخوان كيما يحفظوا منك المغيبا

٢ — أمثلة أخرى على القواعد السابقة

قيل لامرأة : ما الجرح الذى لا يندمل ؟

قالت : حاجة الكريم إلى اللئيم ، ثم يردّه .

قيل لها . فما الذل ؟

قالت : وقوف الشريف بباب الدنىء ، ثم لا يؤذن له .

قيل لها : فما الشرف ؟

قالت : اتخاذ المنن فى رقاب الرجال .

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عبد الله

الاستشارة يفتقر إليها الرئيس والمرءوس ، فإذا تراءى لك أن تعمل عملا ، فاستشر ذوى الآراء الصائبة قبل أن تبتدئ فيه .

قال عمر بن الخطاب : « الرأى الفرد كالخيط السحيل ، والرأيان كالخيطين ، وثلاثة الآراء لا تكاد تنقطع » .

إذا شئت أن تحيا سليما من الأذى ودينك موفور وعرضك صين
فلا ينطلق منك اللسان بسوءة فكلك عورات وللناس ألسن
وعيناك إن أبدت إليك معايباً لقوم فقل ياعين للناس أعين

٣ — العلوم عند العرب

(١) فى عهد هرون الرشيد اخترعت الساعة الدقاقة والمتحركة بالماء وقد أهداها الرشيد « لشرلمان » ملك فرنسا ، ولما رآها الأفرنج ذعروا منها لزعمهم أنها آلة سحرية اختبأت فيها الشياطين وأرسلت إليهم للإيقاع بهم .

وابن يونس المصرى ، هو الذى اخترع بندول الساعات ، وهم الذين اخترعوا بيت الإبرة ، وبوصلة البحرية ، وقد أخذ الأفرنج

علم الأرقام الحسابية ، وعلم الجبر والمقابلة ، وقواعد ثقل الأجسام وعلم الكيمياء ، واستخرجوا المياه والزيوت بواسطة التقطير والتصعيد وقد برعوا فى الجراحة ، حتى إن نساءهم كن يعملن العمليات الجراحية لبنات جنسهن ، وقد كن يشاركن الرجال آونة فى عملها ، وقد ساحوا فى قارة آسيا وأوربا وأفريقيا .

(٢) وفى مدة المأمون حسب الخسوف والكسوف ، وذوات الأذناب ، وقيست الدرجة الأرضية ، ورصد الاعتدالان : الربيعى والخريفى ، وقدّر ميل منطقة فلك البروج ، وبرعوا فى الرصد ، حتى فاقوا علماء اليونان ، وكان لهم كثير من المراصد الفلكية . منها مرصد إشبيلية ، وهو أول مرصد ظهر فى أوروبا ، ومرصد بغداد ، ومرصد سمرقند ، ومرصد دمشق ، ومرصد جبل المقطم فى القاهرة .

(٣) وفى مدتهم انتشرت المدارس ، فقد كان بمدينة قرطبة ببلاد الأندلس ثمانون مدرسة فى عهد ابن عبد الرحمن الناصر المتوفى سنة ثلثمائة وست وستين ، وكان فى مدينة القاهرة عشرون

مدرسة ، وكان بها مكتبة فيها نحو مائة ألف مجلد . وكان ببلاد الأندلس نحو سبعين مكتبة عمومية ، عدا مكتبة الخلفاء التى بلغ مجموع ما بها من المجلدات نحو ستمائة ألف مجلد ، وقد أحرق الأسبانيون بعد فتح الأندلس نحو مليون وخمسة آلاف مجلد ، كلها من وضع العرب .

(٤) وقد أنفق الوزير نظام الملك مائتى ألف دينار على مدرسة فى بغداد ، ورتب لها نحو خمسة عشر ألف دينار تنفق فى شؤونها سنوياً ، وكان بها نحو ستة آلاف تلميذ ، وكان الفقراء يتعلمون فيها مجاناً ، وقد أنشأ العرب مدرسة فى إيطاليا ، وهى المسماة مدرسة سالبرن .

٤ — لقمان

(١) عاش ألف سنة ، وأدرك داود عليه السلام ، وأخذ عنه العلم وكان يفتى قبل مبعث داود ، فلما بعث قطع الفتيا ، فكان حكيماً لا نبياً ، وكان عبداً أسود فرزقه الله العتق ، ورضى قوله

وقد دخل على داود يوماً ، وهو يسرد الدروع ، وقد ألان الله له الحديد ، فأراد أن يسأله ، فأدركته الحكمة فسكت . فلما أتمها لبسها وقال : نعم لبوس الحرب أنتِ . فقال لقمان : الصمت حكمة ، وقليل فاعله : فقال له داود : بحق ما قد سميت حكيما .

(٢) وقد أوصى ابنه ، فقال له : « يا بُنىّ لا تشرك بالله ، وإن الشرك لظلم عظيم . يا بُنىّ أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، إن فى ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعر خدّك للناس ، ولا تمش فى الأرض مرحاً ، إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك ، واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » .

(٣) وقد رُوى أن مولاه أمر بذبح شاة ، وبأن يخرج منها أطيب مضغتين ، فأخرج اللسان والقلب ، ثم أمره بمثل ما أمره به أولا بعد عدة أيام ، وبأن يخرج له أخبث مضغتين ، فأخرج اللسان والقلب أيضاً ، فسأله عن سبب تقديم الجزأين فى كلتا المرتين ، فقال هما أطيب ما فيها إذا طابا ، وأخبث ما فيها إذا خبثا .

٥ — وصف على بن أبى طالب

سأل معاوية بن أبى سفيان عبدَ الله بن عباس عن علىّ بن أبى طالب ؛ فقال له : كان والله علَم الهدى ، وكهف التقى ؛ ومحل الحجا، وبحر الندى ، وطود النهى وبيت العلا داعيا الورى إلى المحجة العظمى ، متمسكاً بالعروة الوثقى . خير من آمن واتقى وأفضل من تقمّص وارتدى ، وأبرّ من انتقل وسعى ، وأفصح من تنفس وقرأ ، وأكثر من شهد النجوى ، سوى الأنبياء والنبى المصطفى .

٦ — خطبة لسيدنا عيسى بن مريم

قام عيسى بن مريم عليهما السلام ، خطيباً فى بنى إسرائيل فقال : يابنى إسرائيل ، لا تتكلموا بالحكم عند الجهلة فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، ولا تكافئوا ظالما فيبطل فضلكم . يابنى إسرائيل ، الأمور ثلاثة أمر تبيّن رشده فاتبعوه ، وأمر تبين غيه فاجتنبوه وأمر اختلفتم فيه فردوه إلى الله .

٧ ـ قس بن ساعدة الإيادى

أشهر قضاة العرب وفصحائهم وشعرائهم ، وأول من استهل خطابته (بأما بعد) وأول من علا على شرف فخطب ، وأول من اتكأ فى خطابته على سيف وعصا ؛ وأول من أقرّ بالبعث على غير علم ؛ وأول من قال (البيّنة على المدعى واليمين على من أنكر) وفى الحديث : يرحم الله قسا ، انى لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة واحدة . فقيل له : لم يا رسول الله ؟ فقال بقوله : أيها الناس انظروا واذكروا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، وبحار تزخر ، ونجوم تزهر ، وضوء وظلام ، وشهور وأيام ، ومطعم ومشرب ، وملبس ومركب ، مالى أرى الناس يذهبون ، ثم لا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا ، أم تُركوا فناموا .

٨ ـ العمل

العمل ينسج من الحديد خيوطاً ، يمدّها من بلد إلى بلد ، ومن قطر إلى قطر ، فوق الجبال الشامخات ، وتحت البحار

الجاريات ، فيأتى بما لا يخطر على قلب بشر . يهيّئ للكلام مطية يعتليها ، فيسبق بها الريح الذّرود . وما رسالة البرق إلا كسنحات الخاطر ، أو مسارح الخيال . العمل ساحر قادر ، يجول فى البريّة القاحلة ، غير المأهولة بالسكان ، ثم ينعم النظر فى تلك الحال الموحشة ، ويهز لها مخصرته عجيبة الفعال ، فاذا تلك البيد القفراء ، تبسم عن خيرات وزروع ، تحاكى الذهب فى فاقع صفرته ، حتى إذا سعر التنور ، ودقّ السندانات ، ودارت رحى العمل تكدح كدحاً ، انبثقت المدنية ، وتفتّحت الأسواق ، وازدهت ساحات العلوم ، وأقيمت معالم الدين كلها ، مشرئبة الشرفات إلى عنان السماء . وكذلك يلوح من المرفأ غابة من الصّوارى ، تخفق فوق أسنمتها الأعلام ، فيأوى إليه الناس من كل صوب وحدب .

٩ — الأمة والحاكم

إذا كان الحاكم عالماً حازماً . أصيلَ الرأى علىّ الهمة ، رفيع المقصد ، قويم الطبع : ساس الأمة بسياسة العدل ، ورفع منار العلم ، ومهد لها طريق اليسار والثروة ، وفتح لها أبواباً للتفنن

فى الصنائع ، وبعث فى أفرادهـــا المحكومين روح الشرف والنخوة ، وحملهم على التحلى بالمزايا الشريفة من الشجاعة والشهامة وإباء الضيم ، والأنفة من الذل ، ورفعهم إلى مكانة عليا من العزة ، ووطأ لهم سبل الراحة ، وتقدمهم إلى أوجه البر : وإن كان الحاكم جاهلا ، دنىء الطبع ، عديم الهمة ، شرهاً ، جباناً ، ضعيف الرأى ، أحمق الجنان ، خسيس النفس ، أسقط الأمة بتصرفه ، وضرب على نواظرها غشاوات الجهل ، وجلب عليها غائلة الفاقة ، وجاه فى سلطته من جادة الحق ، وفتح أبواب العدوان ، فيتغلب القوىّ على حق الضعيف ، ويختل النظام ، وتفسد الأخلاق ، ويغلب الناس على أمرهم ، فتمتد إليها أنظار الطامعين ، وتضرب الدول الفاتحة بمخالبها فى أحشائها .

١٠ — الأغنياء والفقراء

ينسى الانسان وهو فى نعيم هذه الحياة مافيه غيره من بؤس وشقاء . فكأن السعادة عند قوم ألا يفكروا فى مصـــائب الآخرين ، ولا يهتموا بمتاعب الآدميين ، حتى لا يؤلموا أنفسهم

الرقيقة بهذه المؤثرات ، ولذلك ترى صلات الرحمة والحنان بين الأغنياء والفقراء مقطوعة إلا بين القليل منهم ، وإنا لنرى فى مصر من أرباب الثراء ، من إذا عمل بدينه ، وأخرج من ماله الزكاة المفروضة لاتنقص بها خزائنه . وهل يؤدى إلا تافهاً ، أو يتصدق إلا بيسير . ولكن أنى ذلك وهم يمرحون فى مراتع القصف والترف ، غير عالمين أن كثيراً يشكون ألم الضنك ، ويئنون تحت أعباء الأمراض ، ولا من يرعاهم ، أو يحزن من أجلهم ، ولولا بر الفقير بالفقير على خصاصه ، لفتك الموت بهم فتكا ذريعاً بعد أن تأكل الأمراض أجسامهم كما تأكل النار الهشيم .

١١ — تعاقب الصحو والغيث

من تمام النعمة وعظيم الحكمة : أن جعل الله الصحو يتخلل نزول الغيث ، فصارا يتعاقبان لما فيه صلاح هذا العالم ، ولو دام واحد منهما عليه لكان فساداً . ألا ترى إلى الأمطار إذا توالت وكثرت ، عفنت البقول والخضروات ، وهدمت المساكن والبيوت ، وقطعت السبل ، ومنعت من الأسفار ، وكثير من

الحرف والصناعات ، ولو دام الصحو لجفت الأبدان والنبات وعفن الماء الذى فى العيون والاودية ، فأضرّ ذلك بالعباد ، وغلب اليبس على الهواء فأحـــدث ضرراً آخر من الأمراض ، وغلت بسببه الأسعار من الأقوات ، وبطل المرعى ، وتعذر على النحل مايجده من الرطوبة التى يرعاها على الأزهار . وإذا تعاقبا على العالم ، اعتدل الهواء ، ودفع كل واحد منهما ضرر الآخر ، فصلحت الأشياء واستقامت .

١٢ — مصر

مصر كالدرة اليتيمة أو اللؤلؤة الثمينة يتوارثها ملوك الدول ، فكأنها الجوهرة النفسية استخرجها أوّل فاتح من معدنها ، ثم وضعها وسط لآلىء تاجه الفخيم ثم جاء من بعده آخر اختطفها بقوته أو بخدعته ونزعها من ذلك التاج وصاغها فى تاجه الحـــديث الزاهى ، وهكذا فعل بها غيره . وهى فى كل تلك الادوار تقاسى نتائج النقل وتعانى مشقة الصياغة الحامية والقارصـــة . تارة بالنار

وأخرى، بالضغط بدون أن تستفيد شيئاً غير حظوتها بشرف الوضع فوق رأس عزيز حكيم . أو قاهر جبار .

١٣ — الفقر

الفقر رأس كل بلاء ، جالباً إلى صاحبه كل مقت ؛ فهو معدن النميمة ، والرجلُ إذا افتقر ، اتهمه من كان له مؤتمناً ، وأساء به الظن ، من كان يظنّ فيه حسناً ، فإن أذنب غيره ، كان هو للتهمة موضعاً . وليس من خلة هي للغنىّ مدح ، إلا وهي للفقير ذمّ ، فان كان شجاعاً ، قيل أهوج . وإن كان جواداً ، سمى مبذراً ، وإن كان حليما ، سمى ضعيفاً . وإن كان وقوراً ، سمى بليداً . فالموت أهون من الحاجة التى تحوج صاحبها إلى المسألة ، ولا سيما مسألة الأشحاء اللئام ، فإن الكريم لو كلف أن يدخل يده فى فم الأفعى فيخرج منه سماً فيبتلعه ، كان ذلك أهون عليه ، وأحب إليه من مسألة البخيل اللئيم .

١٤ ـ الغـــد

الغـــد شبح مبهم يتراءى لناظره من بعيد . فربما كان ملكاً رحيما ، وربما كان شيطاناً رجيما . بل ربما كان سحابة سـوداء ، إن هبت عليها ريح باردة ، حللت أجزاءها ، وفرقت ذراتها . فأصبحت كأنما هى عـدم من الأعـدام ، الذى لم يسبقه وجود .

الغد : بحر خضم زاخر ، يعب عبابه ، وتصطخب أمواجه . فما يدرك أن كان يحمل فى جوفه الدرّ والجوهر ، أو الموت الأحمر ، لقد غمض الغد عن العقول ، ودقّ شخصه عن الأنظار ، حتى أن الإنسان ليرفـع قدمه ليضعها فلا يدرى أيضعها على عتبة القصر ، أم على حافة القبر .

الغد : صدر مملوء بالأسرار الغزار : تحوم حوله البصائر ، وتتسقطه العقول ، وتستدرجه الأنظار ، فلا يبوح بسرّ من أسراره ، إلا إذا جادت الصخر بالماء الزلال .

كأنى بالغـد وهو كامن فى مكمنه ، رابض فى محبسه ، ينظر

إلى آمالنا وأمانينا نظرات الهزء والسخرية ، ويبتسم ابتسامات الاستخفاف والازدراء .

١٥ ـ الملائكة

الملائكة : جواهر مقدسة عن ظلمة الشهوة ، وكدورة الغضب . (لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون) . طعامهم : التسبيح ، وشرابهم التقديس ، وأنسهم بذكر الله تعالى ، وفرحهم بعبادته . قال بعض الحكماء : إن لم يكن فى فضاء الأفلاك وسعة السموات خلائق ، فكيف يليق بحكمة البارىء تعالى تركها فارغة خاوية ، مع شرف جوهرها ، وأنه لم يترك قعر البحار المالحة المظلمة فارغاً ، حتى خلق فيه أجناس الحيوانات وغيرها ، ولم يترك جو الهواء الرقيق ، حتى خلق له أنواع الطير تسبح فيه كما يسبح السمك فى الماء ، ولم يترك البرارى اليابسة ، والآجام الوحلة ، والجبال الراسية الصلبة ، حتى خلق فيها أجناس السباع والوحوش ولم يترك ظلمات التراب ؛ حتى خلق فيه أجناس الهوام والحشرات ؟ !

١٦ ـ صغار الامور يولد كبارها

على العاقل ألا يستصغر شيئاً من الخطإ فى الرأى ، والزلل فى العلم والإغفال فى الأمور : فان من استصغر الصغير أوشك أن يجمع إليه صغيراً وصغيراً . فاذا الصغير كبير ، وإنما هى ثلم يثلمها العجز والتضييع ، فاذا لم تسد أوشكت أن تنفجر بما لا يطاق .

ولم نر شيئاً قط إلا قد أوتى من قبل الصغير المتهاون به . وقد رأينا الملك يؤتى من العدو المحتقر به ، ورأينا الصحة تؤتى من الداء الذى لا يحفل به ، ورأينا الأنهار تنبثق من الجدول الذى يستخف به .

كل الحوادث مبدؤها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

١٧ ــ الروح

الروح : هى أصل الحياة والحركة ، وأصل الاحساسات ، والإدراكات والشهوات . تهدى الانسان فى حركاته وسكناته ، وأفعاله ، وأقواله ، وبها يمتاز عما سواه من باقى الحيوانات . وهى من أصل الفطرة ، طاهرة زكيـــة . وإنما تولدت عنها الشهوات

والاذات : لمّا اتصلت بالأجسام الطبيعية . ثم إن للروح استعدادات تتميز بها ، إلا أن كنهها مغيب عن البشر ، لا يعرفون حقيقته وغاية ما يقال فيها إنها جوهر متميز عن الجسم ، ومباين له من حيث إن لها استعدادات لتنجيز عمليات ليس من خواص المادة تنجيزها . فهي التى تدرك الأشياء بما فيها من المشابهة والمشاكلة ، والمباينة والمضادة . وتجيل فيها الفكر ، وتقيم عليها الدليل ، وتنتج النتائج الصحيحة ، وتتبصر فى عواقب الأمور ، وتقضى وتحكم بما يلزم. وهذا لا يوجد فى المواد الجسمية ، وأن الروح سر إلٰهى أودعه البارى فى هذا الهيكل الجسمانى قال تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) .

١٨ — الوقت والعامل

الإنسان مطالب من قبل ذاته أن يعمل ، ليعيش عيشة راضية ، ومطالب من قبل معاصريه بمادلة المنفعة والمشاركة فى كل عمل يحفظ لهم حياتهم ووحدتهم . ومطالب من قبل

السلف أن ينظر فيما اعترضهم فيه الوقت فمنهم من إتمامها ليهيئوا الفائدة التى أرادوها بالشروع فيه : ومطالب من قبل الخلف أن يعدلهم ما يتخذونه أساساً لأعمالهم ، ويشيدون عليه بناء هيئتهم فهو واقف بين أربع قوّات تتجاذبه ، إن أضاع طرفة عين من وقته طالبته إحدى القوّات ، وأقامت كلها فى وجهه حرب التأنيب ، وبادرت إلى صحيفته فلوّثتها بسواد تقصيره ، وهو ليس بشىء إذا انطوى وطويت صحيفته على هذا النمط ، وخلت ذكراه من الأثر الحسن .

١٩ ـ الطيارات الهوائية

اهتزت الأمم بالطيارات ، وأولعت بها الولوع الشديد ، فأصبحت أعجوبة العالم فى العصر الحاضر ، وموضع الغرابة والدهش ، وميدان المنافسة بين الممالك الأوربية ، كلّ منها يتطلب قصب السبق فى هذا المخترع العجيب ، الذى لا مشاحة

سيقلب أطوار التاريخ ، ويصبغه صبغة جديدة ، فتكون أوسع الدول سلطة ، وأقواها شوكة : أكبرها أسطولا فى جو السماء ، لأنها تكون سيدة الهواء ، ومالكة أعنة الرّياح ، تَصُبّ من نقمتها جالا وقنابل على عدوها من تحتها ، وتزجى فلكً التجارة فى ملكوت السموات من غير أن يعارضها معارض ، أو يزاحمها مزاحم ، وتكون السابقة إلى كشف البقاع التى لم يتغلب عليها الانسان لو عورة مسالكها الطبيعية على ظهر الكرة الأرضية . لقد نسج الانسان على البسيطة شباكا من القضبان ، وزحم الشوارع بالمركبات والسيارات ، ومخر فى البحر شرقاً وغرباً بالفلك العاديات ، فشغل العالم الدنيوى بجميع أسباب الجدّ والعمل ، فلما أن ضاق به ذرعاً نفذ إلى أقطار السموات يحلق فى فسيح الفضاء فلله دره ما أقواه ، فلا القيود الوثيقة ، ولا العوامل القوية ، ولا الطبيعة بقوانينها ، ولا جاذبية الأرض نفسها التى يخضع لسلطانها وعليها جميع الكائنات ، بقادرة على أن ترغم منه تلك الروح العالية القوية .

٢٠ — الجد فى العمل

الجد : أى العمل الدائم ، هو شرط لازم للنجاح خصوصاً فى هذه الأيام ، فقد اشتدت المناظرة فى العلم ، والتجارة ، والصناعة والزراعة ، حتى لم يبق سبيل للنجاح إلا للمجتهد فقط ، ولا يقوم مقامه شىء لأن الذكاء الذى يحسبه قوم كافياً كافلا للنجاح وهم لا يخدع إلا المعجبين بأنفسهم ، وضرب القدماء لذلك حكاية معروفة ، وهى حكاية أرنب وسلحفاة ، تراهنا على سباق ، ولما كان الأرنب واثقاً بسرعة جريه تقاعد ونام ، وأما السلحفاة فلم يكن لها مع بطء حركتها إلا الكد المتصل ، وكان ذلك سبب فوزها ، ثم إن أحذق الناس هم الذين اشتهروا بالجد العظيم والعمل الدائم ، وما بلغ مقاما رفيعا إلا من اعتزل القول بالسعد والنحس ، وقاوم المشاق التى عارضته ، واخترق صفوف ما عاداه من صروف الدهر ، إلى أن نال المطلوب ، فكان (لنيوس) واضع النظام النباتى المعروف باسمه ، فقيراً جداً يرقع حذاءه

بالورق ، ويسأل أصدقاءه الطعام ، و (ملر) الجيولوجى الشهير صانعا فى قطع الحجارة . و(ستيفنسن) مخترع القطار البخارى ، أجيراً لاستخراج الفحم الحجرى من الأرض ؛ وكثيرون غيرهم جدُّوا ووجدوا .

٢١ — محبة النفس

محبة الانسان لنفسه ؛ هو إحساس فيه يبعثه على أن يجلب جميع ما يقدر عليه لرضاها ؛ وشفاء غليلها ؛ وقضاء شهوتها — فالمتصف بهذه الصفة يجعل نفسه محبوبه ؛ وبغيته من الدنيا ؛ ومركز دائرة مرغوبه ؛ فلا تنبعث أشعة فكره إلا إليها ؛ وكلّ ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الغنى والزّينة والفخار يجعله عائداً عليها . وكذلك يقصر بحبه عن إزالة الشر عنها ؛ فلا رغبة له فى نفع الإخوان ولا الأوطان ، فجميع ما يجلبه من خير . أو يدفعه من شرّ ، فمتولد من هذه المحبة ، فهى بالنسبة إليه سبب اللذات والآلام ، ومجلبة الشهوات الجسمية والعقلية . وهذه الخصلة فى

الحقيقة خارجة عن حد الانصاف والاعتدال ، لا يعد صاحبها إلا ظالماً لنفسه ، طائعاً لهواه ، جائراً جباراً . متملقا ، حسوداً لمن سواه . فحب النفس خصلة جامعة لجميع العيوب والذنوب ، مخلة بالجنس البشرى ، دالة على دناءة النفس ، لأن صاحبها مقصور الهمة على منفعة نفسه لا يعود نفعه فى شىء مّا على إخوانه وأبناء جنسه ، وهى منبع الحرص والطمع .

٢٢ — الناس رجلان

قال بعض الحكماء : إن الأعمال والمآثر التى تخلدها التواريخ لرجال الأمم ، لو لم يكن فيها من اللذة والحبور إلا أن يعرف صاحبها أن له حياة أخرى فى صدور قومه ، لن تموت بموتهم ، ولن تفنى بفنائهم ، لكفى بها لذة ونعيماً . وفى الحقيقة شتان ما بين جمال طبيعى تسلبه العوارض ، وتطمس معالمه الأيام ، وبين جمالى أدبى يرتسم فى صفحات الدهور يزيد بكرورها ، ويعظم بمرورها ، وشتان بين من يعمل ليخدم نفسه ، وبين من يعمل ليخدم قومه ووطنه . ومن هنا كان الناس رجلين :

رجلا عورة على نفسه ، وعاراً على قومه ، ورجلا تُجَمَّل به الأمة ويجمّل بها .

٢٣ — الوافد

لابدّ للوافد عن قومه أن يكون عميدهم ، وزعيمهم الذى عن قوسه ينزعون ، وعن رأيه يصدرون ، فهو واحد يعدل قبيلة ، ولسان يعرب عن ألسنة ، وماظنك بوافد قوم يتكلم بين يدى ملك جبار فى رغبة أو رهبة ، فهو يوطد لقومه مرة ، ويتحفظ من غريبه من غرائب الفطنة ، أم تظنّ القوم قدموه لفضل هذه الخطة ، إلا وهو عندهم فى غاية الحذلقة واللسانة ، ومجمع الشعر والخطابة .

٢٤ — الإنسانية

ما ألطف كلمة الانسانية فى الدنيا ، وما أشرحها لصدور سامعيها ، وما أسكن الخواطر إليها ، كان ينبغى أن يكون موضوع الانسانية أهمّ درس يعول عليه فى التعليم ، ويلقنه الطلبة منذ الحداثة تقويماً لأخلاق الأمم ، وتلطيفاً من شرّ النوع البشرى الذى يكاد متمدينوه يبتلعون أبناء طينتهم طمعاً وشراهة فما ظنك بغير المتمدينين . لقد كان البحث فى الإنسانية ، وواجبات الانسان أجدر بعناية المتمدينة من البحث عن تركيب المواد المستأصلة للنوع ، واختراع المهلكات الجارفة لبنى الإنسان ومن الافتخار بإتقان فن الطيران للقذف بالموت من فوق رؤوس الناس .

٢٥ — الفقر الد الخصام

ركب خالد فى يوم شديد البرد كثير الغيم ، فتعرض له رجل فى الطريق فقال له : ناشدتك الله أن تضرب عنق . قال له : أ كفرت بعد إيمان ؟ قال : لا . قال : أفنزعت يداً من طاعة الرحمن ؟ قال : لا . قال أقتلت نفساً من غير تبيان ؟ قال : لا . قال : فما سبب ذلك ؟ قال : خصم لجوج قد علق بى ، ولزمنى وقهرنى قال من هو ؟ قال : الفقر قال : فكم يكفيك ؟ قال : أربعة آلاف درهم ، فالتفت خالد إلى رفقائه ثم قال لهم : هل ربح أحد من التجار كربحى اليوم ؟ قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : عزمت أن أعطى هذا الرجل ثلاثين ألف درهم ، فلما طلب أربعة آلاف درهم ، توفر ستة وعشرون ألفاً . فقال الرجل : حاشاك ، وأعيذك بالله أن تربح على مؤملك : فقال ياغلام أعطه ثلاثين ألفاً . ثم قال للرجل : اقبض المال آمناً من خصمك ، ومتى عاد يعاندك ، فاستنجد عليه بنا « قاتل الله الفقر ، ولو كان رجلا لقتلته » .

٢٦ _ العرب

العرب جيل سامى سكنوا الجزيرة التى سميت باسمهم ، فاضطروا بطبيعتها فى أكثر مواطنها إلى أن يكونوا رُحّلاً نزّلاً ينتجعون مواقع المطر ، يسيمون فيها أنعامهم التى عليها أكثر اعتمادهم ، يشربون ألبانها، ويأكلون لحومها ، ويتخذون من أصوافها ، وأوبارها ، وأشعارها أثاثاً وملابس وبيوتاً ، فهى جلّ ما بأيديهم من متاع الحياة الدنيا ، يحفظونها لتحفظهم ، ويحيونها ليحيوا بها ، فأوغلوا لذلك فى البوادى ، حيث البعد عن العفونات التى تضرّ بنتاج إبلهم ، فتولد فيهم أخلاق وعادات امتازوا بها بين الأمم ، لأن الظعن وكثرة الترحال والتعرض للمؤثرات الجوية تعود الجسم الخشونة والتقشف وشظف العيش ، وتحمل المشاق ويتبع هذا أن النفس تراض على ما يشابهه من الأخلاق والعادات ، إذ الجسم وعاء الروح ، والظاهر كما يقولون عنوان الباطن ، فكان لهم من ذلك أخلاق تأصلت فيهم . منها الحرية والكرم ، والشجاعة والوفاء .

٢٧ — نصيحة

أوصيك ألا تأخذ العلوم من الكتب ، وإن وثقت من نفسك بقوة الفهم ، وعليك بالأستاذ فى كل علم تطلب اكتسابه ، ولو كان الأستاذ ناقصاً ، فخذ عنه ما عنده ، حتى تجد أكمل منه ، وعليك بتعظيمه وترحيبه ، وإن قدرت أن تفيده من دنيك فافعل ، وإلا فبلسانك وثنائك ، وإذا قرأت كتاباً ، فاحرص كل الحرص على أن تستظهره ، وتملك معناه ، ثم توهم أن الكتاب قد عدم ، وأنك مستغن عنه لا تحزن لفقده ، وإذ كنت مكبا على دراسة كتاب وتفهمه ، فإياك أن تشغل بآخر معه ، واصرف الزما الذى تريد صرفه فى غيره إليه .

٢٨ — النشأة الحربية

ليس من بين الأمم الأوربية أمة إلا وتنشىء أبناءها نشأة حربية حرة ، حتى الأمم الضعيفة التى مهما استكثرت من وسائل العدة والقوة ، فلا طاقة لها بمقاومة دولة كبرى ينفقن

فى هذا السبيل أموالا طائلة ، استعداداً للطوارىء المدلهمة ، والظاهر أن للنشأة الحربية تأثيراً كبيراً فى رقىّ الأمة فى الصناعة والتجارة ، لأن الرجل إذا نشأ نشأة حربية ، أكسبته أخلاقاً شريفة ، وجعلته رجلا شهماً مقداماً يعتمد على قواه وجهوده ، ولا يخشى الخطر إذا اقترب منه ، بل يقتحم بقلب ثابت ، وعزيمة ماضية ، ولذلك نرى أبناء الأمم الحربية من أكبر الناس آمالا ، وأشدّهم ثقة بأنفسهم ، يقدمون على المشروعات الكبرى فى الأقطار النائية ، ويعرّضون أنفسهم لخطر الخسارة ، وبإقدامهم ينجحون ويفوزون .

٢٩ — المرأة فى الجاهلية

من أكبر الأدلة على رقى العرب فى جاهليتهم : ارتقاء نسائهم ، فقد كان للمرأة عندهم رأى وإرادة ، وكانت صاحبة أنفة ورفعة وحزم ، فنبغ غير واحدة منهن فى السياسة ، والحرب والأدب والشعر ، والتجارة والصناعة . لا سيما فى أوائل الإسلام

على أثر ما حصل من النهضة فى النفوس والعقول ، فاشتهرت جماعة منهن بمناقب رفيعة ، تضرب بها الأمثال ، وأ كثرها فى المدينة مقر الخلافة الاسلامية فى ذلك العهد . فاللوآتى اشتهرن فى الجاهلية بالشجاعة ، وشدة البطش ، وكبر النفس منهن : سلمى بنت عمر إحدى نساء ابن عدن . وعمرة بنت علقمة الحارثية . وهند بنت عتبة امرأة أبى سفيان ونبغ فى الرأى والحزم غير واحدة. أشهرهن خديجة بنت خويلد ، والخنساء . وقد حرضت أولادها على الثبات فى واقعة القادسية ، فلما بلغها أنهم قتلوا فى سبيل الجهاد ، قالت : (الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم) . وكان لها شأن فى الشعر والأدب .

٣٠ — التدخين

منذ شاعت عادة تدخين التبغ . بعد كشف القارة الأمريكية ، وضربت فى أنحاء الارض مشارقها ومغاربها ؛ كان ولا يزال الناس على اختلاف فى فائدة التدخين وضرره : فمنهم من

تعصب له وغيرهم تعصب عليه ، وكان بين آراء الفريقين تضارب شديد، وبون بعيد ، يقف بينهما المتجرد حائراً ، لا يهتدى أمره إلى صواب ، ولا يقدر على الترجيح ، إلا أن يكون ذلك اتباعاً للميل ، لا اقتناعاً بالدليل . وليس هذا شأن العامه فقط ؛ بل هو شأن الأطباء المختصين ؛ وقد اجتمع منهم منذ عهد غير بعيد فى مدينة واشنطن عدد كبير فى مؤتمر ، تبادلوا فيه الآراء فى شؤون علمهم وجاءوا على ذكر التدخين فى حركة القلب ، فمنهم من أثبت للتدخين تأثيرا مضرا على القلب قد يؤدى إلى الموت الفجائى ، ومنهم من أنكر هذا المذهب وبرهن على العكس حتى إذا انفض المؤتمر ، كان الخصيصيون على نفس الانشقاق فى الرأى ، والبعد عن النتيجة كما كانوا قبل اجتماعاتهم . ولكن جميع العلماء متفقون على أن تدخين التبغ بين القصر والمراهقين مضرّ للغاية ، وأن حلق المفرط فى التدخين ، يتأثر تأثيراً شديداً ، فيضعف الصوت ويجعل صاحبه معرضاً للسعال والنزلة الوافدة . وأشد وطأته على

القلب ، فانه يبطىء حركته ، ويقلل نبضاته ، حتى أنه فى فترة كل خمس نبضات ، يتوقف القلب مدة نبضة .

٣١ ـ الاهرام

كان ملوك مصر القدماء كلفين ببناء القبور العظيمة لأنفسهم مدة حياتهم على شكل هرمى قاعدته رباعية ، وقد وقف الباحثون فى هذا الزمن على أطلال نحو ستين هرما تتقاطر بعضها وراء بعض فى مصر الوسطى من أرباض القاهرة حتى مدخل الفيوم ، وأشهرها هى المعروفة بالأهرام الكبرى ، وهى قائمة على سفح سلسلة جبال لوبيا إلى الغرب ، قريباً من المدينة المستحدثة المعروفة بالجيزة ، وكل واحدة من هذه الأهرامات حجرة واحدة ، أو أكثر لدفن الموتى ، يدخل إليها الانسان من دهاليز منحدرة ، منحوتة فى نفس البناء ، وكانوا متى وضعوا جثة الملك أقفلوا الحجرات بصخور من الصوان ، ثم يردمون الجزء من دهليز الدخول القريب من الخارج ردماً تاماً ، وبعد ذلك يطلون جميع

سطوح الهرم بطبقة كاسية جميلة بهجة ، فيختفى الباب ولا يبقى له أثر يدل عليه .

٣٢ — مراسلات العرب

إن المراسلات والمكاتبات ، من ضروريات المجتمعات الانسانية، التى لا يستغنى عنها ، فحاجة الناس إلى استعانة بعضهم ببعض ماسة إذ الدنيا دار أعمال مشتركة المنفعة ، ولما كانت البداوة سابقة الحضارة ، والكتابة كغيرها من الصناعات . من لوازم التمدين والتمصر ، والحاجة إلى تبادل الآراء فى الشئون الهامة قائمة ، والشمل ليس مجتمعا فى كل زمان ومكان ، التُجىء إلى الترسل الشفهى ، فكانوا يصطفون لتحمل رسائلهم من يثقون بصدقه وصداقته ، وحكمته وأمانته ، وقد كثر كلامهم فيما ينبغى أن يكون عليه الرسول ، حتى يصلح لتحمل رسائلهم ، ويكون أمينا على وحيهم .

٣٢ – الهيئة الاجتماعية

كيفما يكن المجتمع ، تكن حالة مجرميه وأشراره ، فان البيئة الاجتماعية . هى المغرس التى تذبت فيه شجرة الشر والاجرام ، فاذا كان الوسط فاسداً ، ونظام المجتمع منحطا تكونت فيه جراثيم الجرائم كما تكون جراثيم الوباء فى الأوساط المستعدة لايوائها وتكوينها ، وقد أيدت المشاهدات صحة هذا المذهب ، لأننا لو نظرنا إلى حالة الاجرام فى سويسرة مثلا ، وفى غيرها من البلاد المشهورة بقلة الجرائم فيها . وقارنا بينها وبين حالة الاجرام فى بلادنا ، لوجدنا فرقا كبيراً بين الحالتين فلم ذلك ؟ ألأن هناك محاكم تستعمل منتهى القسوة والصرامة فى توقيع العقوبات ، أم لأن الحكومة السويسرية قد تفننت تعذيب المجرمين فى السجون ،كلا، لا هذا ولا ذاك ، فان نظام محاربة الجرائم فى سويسرة هو أخف النظامات وطأة على المجرمين ، وإنما السبب الحقيق فى تلك البلاد السعيدة هو تربية الأمة وغرس حب الفضيلة واستنكار الرذيلة فى نفوسهم وانتشار

المدارس فى كل قرية ، فتؤلف هذه بين قلوب الناس وهم صغار، وتنشئهم نشأة صالحة طيبة ، فيقلّ بطبيعة الحال ميل الناس إلى ارتكاب الجرائم والمنكرات .

٣٤ — ضحية النيل

كان من عادة المصريين قبل الفتح الإسلامى أنه إذا مضى إثنا عشر يوما من شهر (بؤونة) يعمدون إلى جارية بكر ، فيأخذونها ويحملون عليها من الحلى أفضلها ، ثم يلقونها فى النيل ضحية ، فأبطل عمرو هذه العادة ، وعوّض الجارية بتمثال من طين . والسبب فى تلك العادة الشنعاء : أن المصريين كانوا قد ألّهوا النيل وعبدوه ، وأقاموا له التماثيل والرموز ، مما يستلزم السجود لاسمه ، وقد كان لهم فى جزيرة (فيلى) بقرب أسوان هيكل لا تزال آثاره ظاهرة إلى الآن ، تعرف بآثار أنس الوجود ، وفى هذا الهيكل كان يجتمع جماهير الكهنة

ولم يؤذن لأحد غير الكهنة بوطء تلك الجزيرة ، ومن أهم واجباتهم فى ذلك الهيكل ، أن يلقوا حلياً ، أو قطعاً من الذهب مرة كل سنة ، ثمناً لما يجود به عليهم بفيضانه ، وكان الحلى أكثره على شكل الخواتم والمظنون أن البندقيين اقتبسوا عادة زفاف البحر الأدرياتيكى ، من هذه العادة المصرية .

٣٥ — تأثير البشر بعضهم فى بعض

لما كان الإنسان عضواً فى الأسرة وفى المجتمع الانسانى ، كانت له علاقة شديدة بإخوانه البشر ، فينتشر من كل إنسان شىء من التأثير فى الذين حوله ، كثر أو قلّ ، ظهر أو خفى ، صلح أو فسد ، فيكون كل فرد من أفراد الناس : إما من العاملين الصالحين الذين يبثون الخير فى الأرض ، أو من المفسدين الذين يعيثون فيها فساداً ، ويملأونها بالقبائح ، وكثيراً ما يكون هذا التأثير على سبيل المثال الذى لا يسمع له صوت ، ولكنه يعمل فى النفس خفية ، ويكسبها الأخلاق الكريمة ، إذا رأى الصدق ، والاستقامة والنزاهة ،

والعفة ، والاجتهاد ظاهرة فى صفات الذين ينظر إليهم ، والتاريخ مشحون بأسماء الأبطال والقوّاد والعلماء والصالحين الذين لم يقتصر عملهم فى أهل زمانهم ، بل امتدّت شهرتهم مدى الأجيال ، وكانت سيرتهم مثالا وقدوة لخلق عظيم .

٣٦ — العلم واقف لايتحرك

أين الجماعات المشتغلة بالعلوم الإلهية ؟ أين منشئو المذاهب والآراء ؟ أين المحامون عن العقائد ؟ أين المؤلفون فى الرياضيات ؟ أين المخترعون علوماً لم تكن — كالجبر والكيمياء ؟ أين من نقل فلسفة أوربا كما نقل أولئك فلسفة اليونان ؟ أين من شرح كتب (كانت) و (ديكارت) كما شرح ابن رشد كتب أرسطو ؟ أين من كتب كتب أفلاطون ؟ أين من جمع علوم الأوائل فى سفر شامل ، كما فعل الفارابى فى كتاب التعليم الثانى ؟ أين من ألف فوق مائة مؤلف فى الطبّ ؟ كابن سيناء والرازى ؟ أين من سافر لجمع غريب النبات وتدوينه كما سافر ابن البيطار لى بلاد الأغارقة ؟ أين من جرب فى الحرائة ودون

كأبي زكرياء الأشبيلي ، الذى رقت بجاربه زراعة الأندلس ؟ أين من ساح آسيا وأفريقيا والجزر ، وكشف البقاع ، ووصف المواطن ؟ كالحسن ابن محمد القرطبي ؟ أين من طلب العلم وأراد به أن يعرف حقيقة يجهلها ، ولذة عقلية يحصلها ؟

٣٧ — ذوات الذنب

من الكواكب ما لها ذنب عظيم ، ملازم لها ما شاء الله . وهو كما يرى بالنظر ، شعاع من نور ينبعث فى الكواكب فى الفضاء على هيئة قوس يبتدىء من الكواكب ، كلما امتد اتسع وضعف نوره ، حتى يتلاشى عند نهاية قوته . وسواء كان الذنب من نور أو أبخرة ، فهو ليس بجسم صلب يخشى من تصادمه مع الأرض ، إذا حصل وهو من الممكنات الجائزات . والذى دلّ على كونه كذلك ، هو إمكان رؤية الكواكب الأخرى المستورة وراءه . وإلى اليوم لاتزال أسراره غامضة عنا : فلا يغرن أحدنا قول البعض عن هذه الأذناب : إنها أبخرة سامة أو غير ذلك من المفروضات الوهمية التى تكثر عادة حول كل عجيبة مجهولة . ففى

سنة ١٨٦١ قد صادم الأرض أحـــد هذه الأذناب ، ولم يحدث من ذلك أمر غير عادى ، اللهم إلا لمعان غريب . هذا ، وأشهر الكواكب ذات الذنب هو الكوكب (هالى) الذى سمى كما هى العادة باسم كاشف حركته .

٣٨ — تطهير النفس عن الأوهام

إن الأوهام الفاســدة ، والأباطيل الكاذبة ، هى للنفس مثل الأقذار للجسم ، فيجب الاهتمام بإزالتها بالوسائل الفعالة قبـــل أن تتراكم على النفس فتمرضها ، وتجعلها غـير صالحة لتأدية وظيفتها ، فقد شوهد أن خرافة واحدة ، وقد تلم بالنفس وتمنعها من التمتع بمزايا كثيرة أخرى ، وحرمانها من لوازمها ، فتقع فى أمراض يعبر عنها بمثل الجبن والحقد والبغض : وهى الأمراض التى يضحى فلاسفة الأخلاق كل أوقاتهم للسعى فى إزالتهـا ، حتى أنك لتراهم يحذرون عامة الناس من الوقوع فى أشراك الخرافات ، كما يحذرونهم من أنيـــاب الأراقم ومخالب الضراغم :

٣٩ — المرأة فى الهيئة الاجتماعية

المرأة شريكة الرجل فى الحياة ، ولكلّ منهما وظيفة مخصوصة ، أوجدتها وحتمتها قوانين طبيعية ، لا مناص من اتباعها والسير على اقتضائها ، أهمها أن المرأة أمّ يجب عليها أولا وقبل كل شىء ، أن تسوس منزلها ، وتراقب خدّامها ، وتربى أولادها وتقوم بواجبات زوجها : كما أن الرجل عليه أن يكدّ ويجتهد فى الحصول على مايلزم لزوجه وولده من الحاجات أوّلا ، والكماليات إذا استطاع إلى ذلك سبيلا . وليس الغرض من تربية البنت ، أن تكون فيلسوفة أومهندسة أو شاعرة أو — الخ اللهم إلا عدد قليل منهنّ يخصص لأن يكنّ معلمات ، أو ممرّضات ، أو طبيبات . وهؤلاء لهن مميزات طبيعية ، تبدو دلائلها من الصغر وإنما الغرض أن تكون البنت عالمة بوظيفتها فى هذه الحياة ، ودائرة اختصاصها ، وما هو مركزها الاجتماعى . أما وظيفتها فهى وظيفة الأم الرشيدة ، التى تقوم بها فى كل الأمم الراقية . وأما دائرة اختصاصها فهو المنزل ، ومصادر حاجياته من الحوانيت وما ماثلها .

وأما مركزها الاجتماعي ، فهو أنها مدبرة « لمستعمرة » صغيرة هي المنزل ورئيسة « لجمهورية » بسيطة هي ذريتها :

الأمّ مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

الأمّ روض إن تعهد الحيا بالريّ أورق أيما إيراق

٤٠ — حلم معن بن زائدة

لما تولى معن بن زائدة إمارة العراق ، وكان قد اشتهر بالحلم والكرم أتاه أعرابي يختبر حلمه ، فدخل عليه دون أن يؤذن له . فلما مثل بين يديه قال له :

أتذكر إذ لحافك جلد شاة وإذ نعلاك من جلد البعير

قال : نعم أذكر ذلك ولا أنساه . قال الأعرابي :

فسبحان الذي أعطاك ملكا وعلمك الجلوس على السرير

قال معن : سبحانه على كل حال . قال الاعرابي :

فلست مسلماً ماعشت دهراً على معن بتسليم الامير

قال معن : إن السلام سنة يا أخا العرب ، تأتي به كيف شئت . قال الاعرابي :

سأرحل عن بلاد أنت فيها ولو جار الزمان على الفقير

قال معن إن أقمت فينا فمرحباً بك ، وإن رحلت عنا فمصحوب بالسلامة قال الأعرابى :

فجدلى يابن ناقصة بشىء فإنى قد عزمت على المسير

قال معن : ياغلام أعطه ألف دينار فأخذها الأعرابى وقال :

قليل ما أتيت به وإنى لأطمع فيك بالمال الكثير

قال معن : يا غلام أعطه ألف أخرى ، فأخذها الاعرابى ، وقال :

سألت الله أن يبقيك ذخراً فمالك فى البرية من نظير

قال معن لغلامه : أعطه ألف دينار أخرى ، فأخذها الأعرابى وقال أيها الأمير إنما جئت مختبراً حلمك لما بلغنى عنه ، فلقد جمع الله فيك من الحلم مالو قسم على أهل الارض لكفاهم . قال معن : ياغلام كم أعطيته على نظمه ؟ قال : ثلاثة آلاف دينار : قال أعطه على نثره مثلها ، فأخذها الأعرابى وذهب فى طريقه شاكراً .

٤١ _ المشورة والسخاء

قال رجل من أهل المدينة : لحقنى دين عجزت عن دفعه ، فشكوت أمرى إلى بعض أصحابى ، فأشار علىّ بقصد المهلب أمير العراق ، فذهبت إليه وذكرت له حاجتى . فقال لحاجبه . ادفع له ألف دينار . ففعل ولما عدت إليه ، قال لى هل ما وصلك يكفى لقضاء حاجتك ؟ قلت نعم وزيادة ، أصلح الله الأمير . فقال : الحمد لله على نجاح سعيك ، واجتنائك ثمرة مشورتك ، فأنشدته :

يا من على الجود صاغ الله راحته فليس يحسن غير البذل والجود
عمت عطاياك من فى الأرض قاطبة فأنت والجود مخلوقان من عود
من استشار فباب النجح منفتح لديه فيما ابتغاه غير مردود

وعدت من عنده فرحاً مسروراً ، معجباً بحسن كرمه وعطائه الوافر على غير سابق معرفة :

٤٢ _ المشورة

قيل لرجل من بنى عبس ، ما أكثر صوابكم فى مباشرة ما تأتون

ومجانبة ماتعرضون عنه ! : قال : نحن ألف رجل وفينا رجل واحد حازم ذو رأى ومعرفة ، فنحن نشاوره فى الجليل والحقير ، ونعمل برأيه ، فكأنما إذا عملنا برأيه ومشورته ، قد عملنا برأى ألف حازم ، وجدير بألف حازم أن يصيبوا .

٤٣ - حسن الآداب

أملى مؤدب (الراضى) عليه يوماً قول الحكيم قتيبة بن مسلم :

(من تكبر أعجِبَ برأيه ومن أعجِبَ برأيه لم يسمع قول نصحائه ومن اتصف بالإعجاب ، وتخلق بالاستبداد ، كان من الرشيد بعيداً ومن الخذلان قريباً ، ومن تكبر على عدوّه احتقره ومن احتقر عدوه قلّ احتراسه منه ، ومن قل احتراسه منه كثر عثاره ؛ ولا يسلم من عدوّه إلا من كان أحذر من غراب ، وقد قيل ليس لمعجب رأى صائب ، ولا لمتكبر صديق ، ومن أحبّ أن يحبه الناس يحببهم إليه ، ويقربهم منه . ولما حفظها الراضى . وفهم معناها ارتاح إليها قلبه ، وقال لمؤدّبه لعلّ الزّمان يبلغنى ، أن أتأدب بهذه الخصال الحميدة ، وأحلى نفسى بهذه الآداب الكريمة ، فكان كما تمنى .

٤٤ _ الاسكندرية

بناها اسكندر الأكبر ملك مقدونيا ، فى سنة ٩٥٤ قبل الهجرة وجعلها مقرًّا لحكومته لحسن موقعها ، وجودة موضعها . ولذا رغب الناس فى سكناها ، وصارت مركزاً للتجارة بين أهل المشرق والمغرب ، وقد كانت هذه المدينة فى عهد ملوك البطالسة : داراً للعلم والحكمة ، حيث أسس بها أوّل هؤلاء الملوك المدعو (بطليموس بن لاغوس) مدرسة شهيرة ، أحضر إليها كبار العلماء من اليونان وغيرهم لتعليم العلوم الإلهية ، والفلسفية ، والرياضية ، والطبيعية ، فنبغ منها عدد عظيم من أكابر الحكماء وفحول العلماء . وأنشأ بها أيضاً مكتبة جمع الكتب التى كانت تعد من كنوز علوم القدماء . وجلب إليها كثيراً من النساخين ، والمصححين ، والمجلدين والمذهبين . ثم احترقت عن آخرها فى زمن (جول قيصر) أحد أباطرة الرومان ، لافى أيام أمير المؤمنون عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما زعم بعض المؤرخين افتراء .

٤٥ — صديقك

إن صديقك الذى يبتسم لك فى حال رضاك ، وغضبك ، وحلمك وجهلك ، وصوابك ، وسقطك ليس ممن يُغتبط بمودّته ، أو يوثق بصداقته . لأنه لا يصلح أن يكون مرآتك ، التى تكشف لك عن نفسك ، فتصدقك عن زينك ، وشينك ، وحلوك ، ومرّك . وهو إما جاهل متهور فى ميوله وأهوائه ، فلا يرى غير ما تريد أن ترى نفسه ، لا ما يجب أن تراه ، وإما منافق مخادع ، علم أن هواك فى الصمت عن عيوبك وتجرير الذيول عليها ، فجاراك فيما تريد ليبلغ ما يريده

٤٦ — أخذ الرومانيين الايمان من الوطنى

كان الرومانيين فى قديم الزمان ، يجبرون الوطنىّ الذى بلغ من العمر عشرين سنة أن يحلف يميناً أن يحامى عن وطنه وعن حكومته فيأخذن عليه عهداً بذلك ، وصيغة اليمين (أشهد الله على أنى أحمل سلاح الشرف ، لأمانع به عن وطنى وأهله ، كلما لاحت فرصة أتمكن فيها من مساعدته ، وأشهد الله على أنى

لا أكدر صفو وطنى ، ولا أخونه ، ولا أغدر به ، وأنى أركب البحار أياماً إذا لزم ذلك فى جميع الغزوات ، التى تأمر بها الحكومة وعلى أن أحافظ على امتثال القوانين ، والعادات المقبولة فى بلادى الموجودة فى الحال وما يتجدد منها . وأشهد الله أن لا أتحمل أحداً يجسر أن يخل بها أو ينقص انتظامها) هكذا كانت الأمة الرومانية متشبثة بحب وطنها ، ولهذا تسلطت على بلاد الدنيا بأسرها . ولما انسلخت عنها صفة الوطنية حصل الفشل بين أعضائها ، ففسد حالها ، وانحل عقد نظامها .

٤٧ — الحسد

يراد بالحسد معنيان : أحدهما لغوى وهو الحسد المذكور فى الأخلاق ، وذلك أن يتمنى الإنسان لغيره زوال النعمة ، وهذا شر ذمه القرآن الكريم ، ومقتته الحكمة ، لانه ينهى عن العمل ، وينتج فى المجتمع الانسانى نتائج سيئه . والثانى مايعرفه العامة (بالعين) وهو أن يؤثر الانسان فى إنسان مثله تأثيراً سيئاً ، بالنظر إليه والتحديق فيه ، وهذا النوع موجود لا تمنعه أصول العلم

والدّين ، فان مما قرره أهل العلم ، أنّ للقوى في هذا العلم تأثيراً في الضعيف وعلى هذه القاعدة ينطبق ما يسمونه (بالتنويم المغناطيسى) والحسد بهذا المعنى لا يبعد أن يكون شيئاً من هذا ، وقد ورد فى الحديث ، قوله صلى الله عليه وسلم : (إن العين لتدنى الرجال من أكفانها ، والا بل من أوضاعها) غير أن أكثر ما يذهب إليه العامة من الغلوّ والمبالغة فى تكبير أمر العين وتهويله مبنى على الاوهام والاباطل .

٤٨ — الشراهة المفرطة فى الاكل

مضعفة لأعضاء الهضم ومتلفة لصحة الجسم

من المعلوم أن الشره المفرط فى الاكل ، لا يكون صحيح البنية ، بل يكون ضعيفها ، وعرضة لامراض قاتلة . لانه بافراطه فى الاكل ، يكلف معدته من الاطعمة ما ليست مكلفة به ، فيؤديها ذلك إلى عجزها عن هضم جميع ما كلفها به ، فيفسد إذ ذاك وينتج من فساده أمراض المعدة والتهاب القناة الهضمية ، فيقع فى دائها العضال ، الذى ينتج عنه كثير من الامراض التى

تؤدى إلى الحتف ، والهلاك ، بعد أن يكابد مشاقّ عظيمة ، وأهوالا جسيمة ، ينشأ عنها اضمحلال الجسم وسقمه ، وحرمانه من الصحة التى هى لنوع الانسان أعظم منحة ، فالحذر الحذر من شراهة النفس وتمكينها من إفراط نهوتها فى الأطعمة ، والأشربة حفظاً لصحته ، وحذراً من أن يكون قتيل بطنه ، وعملا بقول الحكيم : (البطنة أصل الدّاء ، والحمية أصل الدّواء) . وقوله صلى الله عليه وسلم : (ماملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه . حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان ولا بدّ فثلث للطعام ، وثلث للماء ، وثلث للتنفس) . وقول بعض الحكماء (البطنة تذهب الفطنة) . وقال أفلاطون . (راحة الجسم فى قلة الطعام ، وراحة اللسان فى قلة الكلام ، وراحة الروح فى قلة النوم ، وراحة القلب فى قلة الانتقام) .

٤٩ ـ فى الامتحان

يذهب بعض الناس إلى أن الامتحان قد يأتى ببعض نتائج تخالف الواقع ، منها أنه قد ينجح فى أدائه شخص ناقص

الكفاءة ، ويخفق آخر كفء . ولكن هــذا من قبيل المصادفة إذ قد يصيب الأول شيئاً من القليل الذى يعرفه فيجيد الإجابة ، وينجح ، ويصيب الثانى شيئاً من القليل الذى لايعرفه فيسىء الاجابة ويخفق ، وهــذه المصادفات نادرة الوقوع ، ولا يصح أن تجعل حجة تقلل من أهمية الامتحان . ومنها أن كثيراً ما يكون لهيئة الامتحان العام فى نفوس بعض الطلاب ، إذا دخلوه لأول مرة من الهيبة ما يأتى من ورائه اضطراب فى الأعصاب أو ذهول لايتمكن الممتحن بسببه من إظهار كفاءته ، وينشأ عن ذلك تأخره ، ومثل هذا الاعــتراض لايصح أن يعد من مثالب الامتحان ، بل هو دليل على أن التلميذ ناقص التربية ، لم يألف كمال النظام ، ولم يعود الشجاعة القلبية ، وعدم التهيب مما لاشر فيه ، والامتحان يكشف هذه الصفات بما يقتضى به من السكون العام ، والعزلة التامة لكل فرد ، واستحالة الحصول على مساعدة طالب آخر ، أو على كلمة تشجيع من ممتحن آ . أنه يتطلب من التلميذ أن يتحلى بفضيلة ملك النفس وضبطها ، ولايخفى مالهاتين الصفتين من عظيم القيمة فى التربية العملية .

٥٠ ـ غرض الحياة

يجب أن يكون لكم غرض من أغراض الحياة ، تجعلونه أبداً نصب العين ، سواء أكان ذلك صناعة ، أو تجارة ، أو علماً لأن من الواضح البيّن أنكم إذا فرقتم قوتكم فى أشياء كثيرة ، كنتم ضعفاء فيها جميعها ، وإذا جمعتموها فى شىء واحد ، كنتم أقوياء فيه . نعم لابد من الدرس الواسع ، وتحصيل المعارف العامة ، لأن هذا يشحذ عقولكم ، ويزيدكم قوة فى مباشرة الأعمال ولكن لابد من صرف قواكم إلى غرض واحد تختارونه وتتوقون إليه ، غير أن هذا الاختيار لا يكون دائماً فى طاقة الإنسان ، بل كثيراً ما يندفع إليه باتفاق الأحوال ، ولكن عليه أن يتقن مهنته مهما كانت ، فلا ترضوا إلا بما يمكن من أفضل وسائل العلم للقيام بها حق القيام لأنه إذا حدث نقص من هذا القبيل عارضكم الدهر ، وأوجب لكم الفشل والأسف . ومن أقوال

الحكماء : لاتدخلن أمراً لا تكون ماهراً فيه ، وقولهم أيضاً : لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده ، فان الناس لايسألون فى كم فرغ ، وإنما ينظرون إلى إتقانه ، وجودة صنعه

٥١ — الرياضة البدنية

من المعلوم أن الحياة لا تظهر إلا بالحركة لأن كل ما اشتمل عليه الجسم من الأعضاء محل للفعل ، وكل فعل حيوىّ مفتقر إلى الحركة ، ولذا جعلها الله عامة فى الأكوان ، وعلق عليها بقاء الحياة ، وبها أرزاق الحيوانات ، وجعل فى ارتباط الصحة بها فوائد عامة ، ومنافع خاصة ، فهى نعمة جليلة ، وحكمة بالغة ، والحركة فى علم الصحة هى الرياضة البدنية التى هى كما عرفها الأستاذ (ابن سيناء) عبارة عن حركة إرادية يضطرّ فيها إلى التنفس القوى المتواتر ، ولذا كانت أمراً مهماً فى حفظ الصحة ، وَبرء المرض ، فان المداوة بالرياضة الصحية ، أعظم سبب لزيادة قوة المريض وانتظام حركته ، لأن البدن يكتسب حالة أصلح ؛ لسهولة

التنقية وجودة التغذية : إذ الحركة البدنية معدّة لتقوية النفس وموازنته. ولا يخفى أن التنفس هو الميزان الذى به تنتظم أعمال أعضاء الجسم وأجهزته ويحفظ تركيب الدم ويجدد قوته ونشاطه.

٥٢ — عظماء الرجال

إن الخالق سبحانه وتعالى وضع فى أفراد من كل أمة خاصيات وملكات ، قلّما يشاركهم فيها أحد ، وآتاهم هبات يستخدمونها فى نفع البشر ، ونفوساً لا تعرف الملل لدرك مقاصدهم الشريفة وكلما ارتقت الحضارة فى شعب ، نبغ فيه رجال يصرفون على الافادة والاستفادة نقد أعمارهم ويتمحضون لاحسان الخدمة حتى لا يكادون يرون السعادة والملاذ والخير ، وكل ما تطمح إليه نفوس بنى الانسان من المعالى إلا فيما هم بسبيله . ومن أنعم النظر فى تراجم نوابغ العلماء ، ودرس حياتهم حق دراستها ، لا يلبث أن يزول عجبه إذا شاهد كيف يستغرقون فى أعمالهم ، ويتفاوتون فيما أخذوا به نفوسهم فيزهدون فى المال والبنين ، ويفطمون أنفسهم عن حب المناصب ، والمراتب ، والزخارف والسفاسف.

٥٣ — شرب الخمر

وهجر الخمرة إن كنت فتى كيف يسعى فى جنون من عقل

يشرب بعض الناس الخمر فراراً من الهمّ وحذراً من مؤلمات الحياة ، وهذا هو الحمق دون ريب ، لأنه عوضاً عن أن يفكر فى إصلاح شأنه بما يزيل مؤلماته ومسببات همه وغمه ، يسطو على أعظم مواهبه النورانية التى تمكنه من أن يسمع ويرى ويحسّ فيقتلها قتلا ، فيزداد هما على هم ، ويسهل للمصائب أن تتراكم عليه لأنه ألقى بسلاحه مستسلماً لمهاجمتها ، وهو فاقد عدّة الدفاع فمثل هذا مثل رجل مشى فى طريق فقيل له : يا هذا ، انتبه ، فإن أمامكم بئرا بعيدة العمق ، فبدلا من يأخذ الحيطة لنفسه من السقوط فيها ، أغمض عينيه لكيلا يراها . وسقط فيها مطمئناً ، حاسباً أن فى إغماض عينيه نجاة له .

٥٤ — التاريخ

لايستطيع امرؤ أن ينكر ما لدراسة التاريخ من الفضل العظيم على المشتغلين بتحصيله ، فزيادة على ما يستفيدونه منه ، على أنه

فرع من فروع الدراسة التى من شأنها أن تزيد فى معلوماتهم ، يجد فى دراسته لذة وانشراحاً من عدة أمور : منها الاطلاع على عدة مشاهير الرجال ، وعلى حياتهم الجيدة وما أتوه من أعمال الشجاعة والأقدام ، ومن الثمرات الجليلة لبلادهم . فتتربى عندهم ملكتا الملاحظة والنقد ، وتتبعهما بلا ريب قوة الحكم ، فيفرقون بين الغث والثمين ، ويمقتون الرذيلة ويحاربونها ، ويعجبون بالفضيلة ويجعلونها شعارهم ، اقتداء بمن أعجبوا بأعمالهم من أبطال الأمم . وبذلك ينشئون على حب الوطن وبذل كل نفيس فى نفعه . ويزداد هـذا الحب عندهم كلما رأوا مايدل على عظمة أسلافهم مما يقرءون ، أو يسمعون ، أو مما يشاهدون فى دور آثار بلادهم من الآثار النافعة .

٥٥ — حياة كلها تمويه

إن جلّ من نراهم من المنعمين المترفين والأغنياء الموسرين ، لو كشفت عن باطن أمرهم وحقيقة حالهم وخبايا معيشتهم من وراء الجدران لوقفت على ما يوجب الأسى والأسف ، ويدعو إلى الرحمة والشفقة ،

لا مايدفع إلى الحسد والغبطة ، ولأيقنت أن الرجل الأخير الذي يستخرج قوت يومه منغمساً بعرق جبينه هو أسعد منهم حالا وأنعم بالا، والغالب أنه كلما كان مظهر العيش زاهياً زاهراً كان باطنه مقتما مظلما . فلا تغرنكم الظواهر :

ألا إنما الدنيا كأحلام نائم ... وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل إذا مانلت بالأمر لذة ... فأفنيتها هل أنت إلا كحالم

٥٦ ـ الذكاء غير العقل

لاتعجب إن قلت لك إن الذكاء غير العقل . فاللصوص والمحتالون ، والمزوّرون ، والكاذبون ، والفاسقون ، والمنافقون أذكياء ، وليس بينهم عاقل واحد : لأنهم يوردون أنفسهم موارد التلف والهلاك ، من حيث لا يغني عنهم ذكاؤهم شيئاً ، وكثيراً ما يكون الذكاء الشديد داعيا للجنون ، حتى أنك لا تكاد ترى ذكيا من الأذكياء إلا وتبين لك من شؤونه وأطواره أحوال شاذّة ؛ لا تنطبق على قانون من قوانين العقل ، ولا قاعدة من قواعد الطبيعة . وعندي أن أكثر ما يصيب النوابغ الأذكياء

من بؤس العيش وسوء الحال عائد إلى ضعف فى عقولهم ونقص فى تدبيرهم .

وبعد فالذكاء فى رأس الإنسان كالسيف فى يد الشجاع ، وكثيراً ما يضرب الشجاع رأسه إذا كان طائشاً أهوج ، ولا يملك نفسه فى مواقف الحزن والغضب .

٥٧ ــ اختيار الكتب

كما تنتخبون الأصدقاء ولا توالونهم إلا إذا رأيتم فيهم الفضل وحسن الأخلاق ، هكذا اختاروا الكتب التى تقرءونها ، فهى خير الجلساء إذا كانت مما تتضمن حكمة الأزمنة السالفة والحاضرة لأنها تزيدكم علماً وتهديكم صراط الحياة المستقيم ، وتفعل فيكم فعل قدوة الصديق إذا كان عاقلا كريماً . وكما تحذرون جليس السوء ومعاشرة اللئيم ، ابعدوا عن الكتب التى تفسد النفس ، أو التى لا خير فى قراءتها لما فيها من ركاكة العبارة ورداءة المعنى ، وقد كثرت فى هذه الأيام ترجمة الروايات وعمد إليها الاحداث فلا بد من التمييز بينها واختيار الأدب المفيد منها ، ونبذ ما كان مضراً بالأخلاق . وإنى لأجفل متى دخلت

بعض بيوت هذه المدينة ، ورأيت بجانب الأسرة الروايات فى لغات شتى مع أنى أعلم حق العلم أن الكثير منها لا يستحق القراءة ، وبعضها يجب لها الطرد كما يطرد السفهاء فى الحال ، إذا رأيناهم مع أبنائنا وبناتنا.

٥٨ — الاقدام

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأى أن تترددا

لا بد من الإقدام فى العمل بحيث يبادر الإنسان إليه بالهمة ، بدون بطء أو تردُّد أو تقلّب ، لئلا تفوت الفرصة أو يسأم من الأمر قبل الشروع فيه ، قال القائل :

غفلة المرء عن دواعى المعالى من دواعى تخلف الآمال

فكما أنك لاتقف فى يوم بارد تقشعر أمام الماء الذى تستحم به ، بل تغطس فيه فى الحال ، كذلك لا تصرف زمانك فى الكلام وعقد النية والمماطلة ، بل اذهب واعمل حالاً ما أنت عامله ، وليس الممنوع هنا التروّى والتأنى والمشورة ، بل

الكسل والتردد . لأن الذين يتقلبون فى نياتهم ومقاصدهم هم الضعفاء الذين لايفلحون فى الدنيا ، المشار إليهم فى المثل السائر . « يوم العاجز غد » وقال بعضهم : لاتدفعن عملا عن وقته ، فإن للوقت الذى تدفعه إليه عملا آخر ، ولست تطيق ازدحام الأعمال ؛ لأنها إذا ازدحمت دخلها الخلل .

٥٩ — الجامعة

الجامعة هى الاستمساك بسنة أو اعتقاد أو غرض ، يجتمع حوله فئة من الناس يشتركون فى الأخذ والدفاع عنه ، والاجتماع فطرى فى الإنسان لكثرة حاجاته وعجزه عن القيام بها وحده ، فاضطر إلى الاستعانة على قضائها بالاجتماع مع أبناء جلدته ، للتعاون وتبادل النفع .. فهو يتذرع إلى الاجتماع بأسباب تجمعه مع الآخرين ، أقدمها القرابة أو جامعة النسب وتعرف بالعصبية ، ويدانيها فى القدم جامعة اللغة ، والتفاهم يقرب القلوب ويوحد الأغراض ، فإذا تكاثرت الأقرباء وتشعبت القبيلة إلى فروع ، أقام كل منها فى بلدة واشترك أبناؤه فى

الدفاع عنه. وهى جامعة الوطن مع بقائهم مشتركين بجامعة اللغة أو النسب، لأنهم من أصل واحد، وأهل البلد الواحد يقسمون إلى جماعات يجتمع بعضهم بجامعة المهنة، وآخرون بجامعة الجنس أو اللون أو الزواج أو العزوبة مع اشتراك كل فرد من إحدى تلك الجامعات بصفة أخرى مع جامعة أخرى، فيكون شريكا مع بعض الناس فى جامعة النسب، ومع غيرهم بجامعة الدين، ومع غيرهم بجامعة اللغة. فتضارب الجامعات وتقاطعها عجيب.

٦٠ — الشعر قبل الاسلام

قد تقرأ من شعر العرب قبل الإسلام فلا تفهمه ، وإن فهمته فلا ترى نفسك مرتاحة إليه راغبة فى الازدياد منـــه ، وإذا سألك سائل عن السبب ، قلت : إن فيه ألفاظاً غريبة وتراكيب غير مألوفة يعسر استخراج المعنى منها . فما تشعر به صحيح ، ومعك بعض الحق فيما تقول إن لم يكن كله ، ولكن الذنب ليس على الشعر نفسه ، وليس التقصير من أولئك الشعراء أنفسهم ، وإنما الذنب علينا لضعف ملكتنا اللغوية وعدم ممارستنا فهم شعر الجاهلية .

٦١ ـ اصل الطاعون

كانت الناس فى قديم الزمان تعتقد أن الطاعون من وخزات الجن برماحها ، وأن لا شىء يقوى على رد تلك الرماح القوية الخفية عن العيون ولكن البحث أوصلهم اليوم إلى اليقين بأن الطاعون جراثيم قتالة ، لا تدركها العيون المجردة ، وأن لها وخزاً خفياً دونه وخز الرماح ، إلا أنهم استعانوا بالعلم فصنعوا آلة تجسم الأشياء الدقيقة وتعظمها وتبرزها مرئية للعين ، فوقفوا بها على حقيقة ذلك الوباء . واستنتجوا طرق الوقاية منه فتذرّعوا بها لدفع أذاه ورد غائلته .

٦٢ ـ سيل العرم

إن اليمن وسائر جزيرة العرب ، أرض تقلّ فيها الأنهار والينابيع ، واعتماد الناس فى ريّ مغارسهم إنما هو على مياه الأمطار ، فإنها تجتمع فى مجارى الأودية وتسيل كالأنهار . فإذا انقضى الشتاء جفّ معظمها ، وملافاةً لذلك كانوا يجعلون فى عرض الأودية سداً من الحجر يعترض مسير الماء فيجتمع فيه ، ويرتفع حتى يسق أعالى الأراضى ؛ وكان من جملة تلك السدود فى اليمن سدٌ كبير

يقال له العَرِم ، بناه ملوك اليمن القدماء من حجارة ضخمة ، وجعلوا فيها خروقاً يصرفون منها الماء على مقدار ما يحتاجون إليه ، وكانت له حفظة يقومون بتعهده وتوزيع مياهه ، فتقادم عهده حتى تصدع وأهمل أمره حتى تهدم ، وصعدت المياه فأغرقت الحرث والنسل ، وسمى ذلك السيل سيل العَرِم .

٦٣ — تربية الأطفال

لقد أثبت أساتذة التعليم حقائق لم يبق فيها ريب ولا شبه ريب ، ومن أهمها حقيقة تنطبق على المثل البسيط المشهور ، وهو « العلم فى الصغر كالنقش على الحجر » فإن هذا المثل الذى نكاد نراه مبتذلا لكثرة شيوعه يحوى معنى كبيرا جليلا ، إذ ليس هنك شك فى أن إعداد الصغير ، وهو فى غضاضة الإهاب ، يكون له أثر كبير فى زمن الشباب ، فإن كان أفكار الشباب أو الكهل إذا تغيرت وتبدلت بالاختيار والدرس ، أو لأنه يتبع بين الرشد خطة لا تنطبق على خطته الصبيانية ، فإن أثر التربية الأولى لا يزول ، بل يبقى أساساً ؛ ولقد دلّ اختبار الأساتذة أيضاً : أن العادة تكاد

تصبح خُلقاً بقوّة الاستمرار ، فإذا عوّدت الطفل مثلا أن يكون ضعيف الإرادة ، أوسفيه اللسان ، أو قليل الترتيب ، رسخت فيه عادته وصعب تغييرها ، فكم من ذكى يرى عيبه ، ويذكره على مسمع من الناس ، ثم نجده عاجزاً عن إصلاح نفسه .

أليس هذا من نقص التربية النفسية ؟

٦٤ — لكل حاسة لذة

إن الخالق جلت عظمته قد جعل من فضله ونعمته على الإنسان لكل حاسة لذة . فلذة النظر فى تناسق المرئيات وترتيب أجزائها، وذلك هو الجمال ، ولذة الذوق فى ائتلاف الطعوم ، وذلك هو العذوبة ، ولذة الشمّ فى لطف الرائحة ، ولك هو الطيب ، ولذة اللمس فى تناسب أجزاء الملموس ، وذلك هو النعومة ، ولذة السمع فى انتقال الصوت وحركة توقيعه ، وذلك هو الغناء .

٦٥ الغلبة للأقوى

كما أن السمك الكبير يأكل الصغير ، والوحش الكاسر يفترس الضعيف الصاغر ، والنبات القوى يقتل الضئيل النحيل فى

مملكتى الحيوان والنبات ، كذلك الحيوان الناطق تسرى عليه هذه القاعدة ، وإذا كنا لا نرى ابن آدم يأكل بعضهم أجسام بعض فى أوروبا فإن منهم من أكلها مريئاً فى أيام المجاعات القديمة ، ومنهم من لا يزال يأكلها فى البلدان الهمجية ، على أن الإنسان المتحضر آخذ الآن يأكل البلدان بدلا من أكل جسم الانسان ، فكم من أمة قوية أغارت على جارتها الضعيفة فسحقتها وابتلعتها لا لشىء سوى الطمع الأشعبى ، وحب الأثرة ، والانفراد بالسلطة ، وهكذا يبقى ذلك الناموس الطبيعى مادامت الأرض والسماء .

قتل امرىء فى غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

٦٦ـ الاقتصاد فى الزمان

الاقتصاد فى الزمان واجب · كالاقتصاد فى المال ، لأن من يشغل زمانه بالعمل ، يشغله بالربح ، ومن يشغله بالكسل واللهو لم يخسر ما يمكن ربحه فقط ، ولكنه يخسر أيضاً شيئاً كبيراً

من حسن الأخلاق ، فان الانسان يكون على حسب مايتصرف فى الزمان. قال « سنكا » الفيلسوف الروماني : « إننا نشكو قصر الزمان ونحن لا نعرف كيف نشغل ماعندنا منه ، وإننا نصرف حياتنا فى البطالة أو بعمل مالا فائدة منه ، أو باهمال ما يجب علينا ، نشكوا أبداً قصر العمر، ونتصرف كأننا خالدون فى الدنيا . ومما يعين على هذا الاقتصاد النظام فى العمل ، بحيث يكون لكل ساعة من ساعاب النهار والليل ما هو خاص بها ، فان الذين اشتهروا بكثرة الأعمال وإتقانها ، وجودتها من رجال العلم ، والسياسة ، والتجارة ، والصناعة : هم الذين جعلوا لكل أمر وقتاً ، فرتبوا زمانهم ، ونسقوه استدراكا للمهام التى كان قضاؤها مستحيلا لولا نظام العمل الذى نهجوه .

٦٧ — لاخير فى علم بدون عمل

إن العاقل إذا فهم كتاباً ، وبلغ نهاية علمه فيه ، ينبغى له أن يعمل بما علم منه لينتفع به ، ويجعله مثلا لايحيد عنه ، فاذا لم يفعل ذلك كان مثله كالرجل الذى زعموا أن سارقاً تسور عليه وهو نائم فى

منزله ، فعلم به ، فقال: والله لأسكتن حتى أنظر ماذا يصنع ، ولا أذعره ولا أعلمه أنى قد علمت به ، فاذا بلغ مراده قمت إليه فنغصت ذلك عليه ، ثم إنه سكت عنه ، وجعل السارق يتردد وطال تردده فى جمع ما يجده ، فغلب الرجل النعاس فنام ، وفرغ اللص مما أراد ، وأمكنه الذهاب ؛ واستيقظ الرجل فوجد اللص قد أخذ المتاع وفاز به ؛ فأقبل على نفسه يلومها وعرف أنه لم ينتفع بعلمه باللص إذ لم يستعمل فى أمره ما يجب ؛ فالعلم لا يتم إلا بالعمل ؛ وهو كالشجرة ، والعمل به كالثمرة .

٦٨ — فضائل الأمانة

كان لأعرابى جواد يعزه كثيراً ، والناس يبذلون له فى ثمنه أموالا طائلة ، فلم يقبل أن يبيعه ، مهما عظمت قيمته ، ففكر رجل فى الاحتيال على أخذه منه . وقد اعتاد صاحبه السير به فى طريق معهود ، فجلس المحتال فى ذلك الطريق وأظهر أن الأعداء خافه يطالبونه بثأر ، واستغاث بصاحب الجواد لينقذه منهم . فنزل : وأذن له بالركوب . أولا : ليركب هو خلفه ويفران من الأعداء

فينجو صاحبه ولما ركب المستغيث أطلق للجواد عنانه ، ولم ينتظر الأعرابى ليركب معه ، فناداه قائلا : إنى أريد أن أقول لك كلمة واحدة ، فوقف على بعد وقال له : قل كلمتك ، قال إنى وهبت لك الجواد ، ولا أرجع فى هبتى ، ولكنى أخاف أن يسمع الناس بفعلتك ، فلا يأمن بعضهم بعضاً ، فنزل الرجل عن الجواد ، وقال لصاحبه : تفضل خذ جوادك ، فنفسى لا ترضى أن أكون سبباً فى رفع ثقة الناس بعضهم من بعض ، فسلمه الجواد وانصرف .

٦٩ — العدل اساس الملك

غصب أحد الولاة ضيعة لرجل ، فشكا أمره إلى الخليفة العباسى (المنصور) وقال له : أصلحك الله يا أمير المؤمنين . أأذكر حاجتى . ؟ . أم أضرب لك قبلها مثلا ؟

قال : اضرب لى قبلها مثلا . قال : إن الطفل إذا أصابه ما يكره ، يشكو إلى أمه ، ظنا منه أنه لا ناصر له غيرها ، فاذا ترعرع شكا إلى أبيه ، لاعتقاده أن أباه أقوى من أمه على نصرته

فاذا صار رجلا ، ووقع به أمر ، شكا إلى الوالى ، لعلمه أنه أقوى من أبيه . فاذا ازداد عقله ، شكا إلى السلطان ، لعلمه أنه أقوى من جميع الناس ، فان لم ينصفه ، شكا إلى الله تعالى .

وقد نزلت بي نازلة ، وليس فوقك أحد من الخلق أقوى منك ، فان أنصفتنى فيها ، وإلا رفعت أمرى إلى الله ، إذ ليس أقوى منك ، إلا هو قال : بل ننصفك ، وكتب إلى واليه بأن يرد إليه ضيعته ، ويهيء له أسباب راحته ويؤمن له شؤن معيشته :

لا تسألن بنى آدم حاجة ... وسل الذى أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبنى آدم حين يُسأل يغضب

٧٠ ـ الأخلاق الكريمة ترفع شان صاحبها

أحضر « الرشيد » يوماً رجلا ليوليه القضاء ، فقال له الرجل : إنى لا أحسن القضاء ، لأنى غير فقيه ، فقال له الرشيد : فيك ثلاث خصال ، تؤهلك للقضاء : لك شرف . والشرف يمنع صاحبه من الدناءة . ولك حلم ، والحلم يمنعك من العجلة . ومن لم يتعجل . فهو قليل الخطأ .

وأنت رجل تشاور الناس فى أمورك ، ومن شاور كثر صوابه وأما الفقه فنضم إليك من تستعين به . فتولى الرجل القضاء زمناً طويلا لم يعرف أثناءه للرجل تقصير فى عمل من أعماله . وكانت أحكامه كلها دائرة على محور السداد والحكمة :

٧١ - التواضع وكرم الأخلاق

قال رجل : كنا غلمانا نلتقط البلح الذى تلقيه الريح من نخل المدينة ، فمر علينا أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه ففر الغلمان وثبت أنا مكانى : فلما قرب منى قلت : يا أمير المؤمنين إن ما معى هو ما ألقته الرياح ، قال أرنى أنظر إليه ، فانه لا يخفى على ، فنظر فى حجرى ، وقال صدقت . فقلت : يا أمير المؤمنين ، هل ترى هؤلاء الغلمان ، والله لئن انطلقت وتركتنى ، لأغاروا على ، وانتزعوا مامعى ، فمشى معى حتى بلغنى مأمنى :

٧٢ ـ الاخلاق الفاضلة

وصف « سيدنا معاوية بن أبى سفيان » « عبد الملك ابن مروان » لسيدنا « عمرو بن العاص » رضى الله عنه ، فقال

ما أكرم مروءة هذا الفتى ! ! : فقال له عمرو : وكيف ذلك ؟ قال أخذ بأخلاق أربعة ، وترك أخلاقا أربعة . أخذ بأحسن البشر إذا لقى ، وبأحسن الحديث إذا حدث وبأحسن الاستماع إذا حدث وبأيسر الأمور إذا عوهد ، وترك مشورة من لا يثق بعقله . وترك مجالسة من لا يجتمع معه فى دين . وترك مخالطة لئام الناس . وترك من الكلام كل ما يعتذر منه .

٧٣ — علم السياسة

علم السياسة هو طب الاجتماع الانسانى ، وطالما أدى الجهل به إلى شقاء البشر . قال لوبون : إنك لا ترى أحداً لم يقرأ الفلك أو الجبر ، ثم يحاول حل مسائل فلكية ، أو معضلات جبرية ، ولا ترى أحداً كذلك لم يتعلم التشريح ثم يحاول أن يخيط عرقاً مقطوعاً مثلا ؛ ولكن نرى كل يوم رجالا لا يفقهون شيئاً من علم السياسة يسوسون الأمم ؛ ويضعون القوانين ؛ ويسنون النواميس غافلين عن الأخطار والازمات التى تنجم

من عملهم هذا ، مع أن خطأ الجاهل بالطب يودى بشخص واحد . وهذا الخطأ يودى بأمة .

لا تصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا
تهدى الأمور بأهل الرأى ما صلحت فإن تولت فبالأشرار تنقاد
إذا تولى سراة الناس أمرهمو نما على ذاك أمر القوم فازدادوا
كيف الرشاد إذا ما كنت فى نفر لهم عن الرشد أغلال وأقياد
أعطوا غواتهمو جهلا مقادتهم فكلهم فى حبال الغى منقاد

٧٤ـ من ربح من عمل فيلزمه وكل ميسر لما خلق له

إذا اخترتم صناعة وجعلتموها غرض الحياة وتعلمتوها حق العلم فالزموها بلا انقطاع إلى النهاية ، لأنكم إذا قعدتم عنها ، أو بدلتموها بغيرها ، كانت النتيجة دائماً خيبة الأمل ، ثم إذا كان جهدكم فى العمل عظيما ، وقدرتكم فى الصناعة شهيرة ، ومواظبتكم على أموركم غير منقطعة ، ولم تكن صفاتكم صفات الصدق والاستقامة ، والطهارة ، لم تبالوا شيئاً ، لأنه كما يغرق السفينة ثقب واحد ، كذلك فقد شىء من هذه الأوصاف كاف لاسقاطكم وتعطيل آمالكم ، ألم تروا المرة بعد

المرة أن الكاذب والخائن ، والسكير والمقامر ، والفاسد لا يفلحون .
ومهما كان طريقكم مظلما ، وعراً طويلا ، فلا تخافوا ولا تملوا ، ولا تركنوا إلى نسيب أو صديق ، وسواء أحبكم الناس أو أبغضوكم ، وسواء تملقوكم أو احتقروكم ، الزموا أبداً طريق الاستقامة والصلاح وتوكلوا على الله ولا تخافوا أحداً ولا تخشوا فى الحق لومة لائم

٧٥ - صاحب الدنيا

مثل صاحب الدنيا مثل رجل نجا من خوف فيل هائج إلى بئر فتدلى فيها وتعلق بغصنين كانا على سمائها ، فوقعت رجلاه على شىء فى طى البئر ، فاذا حيات أربع قد أخرجن رءوسهن عن أحجارهن ، ثم نظر فاذا فى قاع البئر تنين فاتح فاه منتظر له ليقع فيأخذه ، فرفع بصره إلى الغصنين ، فاذا فى أصلهما جرذانان أسود وأبيض وهما يقرضان الغصنين دائبين لايفتران . فبينما هو فى النظر لأمره والاهتمام لنفسه إذ أبصر قريباً منه كوراة فيها عسل نحل ، فذاق العسل فشغلته حلاوته وألهته لذته عن الفكرة فى شىء من أمره ، وأن يلتمس

الخلاص لنفسه ، ولم يذكر أن رجليه على حيات أربع لا يدرى متى يقع عليهن ، ولم يذكر أن الجرذين دائبان فى قطع الغصنين ، ومتى انقطعا وقع على التنين . فلم يزل لاهيا غافلا مشغولا بتلك الحلاوة حتى سقط فى فم التنين فهلك .

٧٦ – النوم

النوم عامل من أكبر العوامل فى قوى الحيوان ، وهو لا يقل عن التنفس والهضم فى أهميته . والذين يراعون جانب الاعتدال فى معيشتهم ينالون حظا كاملا منه ويتمتعون بنتائجه الحسنة ، وليس ثمة قاعدة يعرف بها ما يحتاج إليه كل فرد منه . ولا الناس متساوون فى حاجتهم إليه فى كل زمان ومكان ، غاية ما فى الأمر أن كل إنسان يحتاج إلى قدر معلوم منه ، وملائم لحالته كل يوم لاعادة الموازنة فى القوة العصبية التى فقد منها ما فقد ، على إثر أشغاله وأعماله اليومية ، وإلا اختل الجهاز العصبى بوجه من الوجوه ، ولما كان النوم أكمل شكل من أشكال الراحة ، كان الصغار أكثر الناس حاجة إليه من الكبار ،

والضعفاء من الأقوياء فمهما كان نوم الطفل والرجل منهوك القوى كثيراً فهو لا يزيد عن الحد اللازم . أما الرجل القوى الجسم فكثرة النوم تضر به غالباً .

٧٧ — المعتصم بالله

حدثتنا السير أنه حين أغار (تيوفل) ملك الروم على (عمودية) صاحت امرأة هاشمية من اللواتى وقعن فى أيدى جنده « وامعتصماه » فأجابها الحارس متهكما ومستهزئاً : سيأتيك « المعتصم » على جواده أدهم فلما انتهى ذلك إلى أمير المؤمنين « المعتصم بالله » أحد خلفاء الدولة العباسية ، وهو فى عاصمة خلافته ، تخلى فى الحال عما بين يديه من الشئون ، ونهض وهو يقول : « لبيك لبيك » وما عتّم أن استنفر جيشه الجرار ، فساروا وهو يقودهم وكثير منهم على دهم الخيل . فلما هاجم العدو وشدّ عليه وطأته ومزّق شمله كل ممزّق ، لقى تلك « الأخيذة » فصاح قائلا : « لبيك أنا المعتصم » وهنالك أعقبه أحد جنده بتلاوة قوله

تعالى : (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم به عمل «صالح» ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) .

٧٨ — المعتصم بالله أيضا

حدثنا التاريخ كذلك عن هـذا الخليفة العادل ، أنه رأى ذات يوم وهو على جواده كلباً مكسور الساقين يلهث من شـدّة العطش ، فدفعه الرفق بالحيوان إلى النزول عن جواده ، فنزل وصار يغترف بيديه من النهر ، ثم يعود إلى الكلب ، وقد فعل ذلك مرات متتاليات حتى حرّك الحيوان ذنبه شكراً له على برّه بعد أن روى ظمأه ، ولما عاد إلى عرش الملك جمع الأمراء والأغنياء ؛ وألف تحت رعايتـه « جمعية الرفق بالحيوان » لأول مرة فى التاريخ

٧٩ — حياة الامم

قالت الحكماء : إن الحياة هى مجموع الوظائف التى يقوم بهـا أعضاء الجسم ، والموت هو بطلان تلك الوظائف ، وهو أقرب التعاريف وأسلمها . وعليه فلا بأس من إطلاق الحياة على الأمة ، فيقال : هـذه

الأمة حيـة إذا كان أفرادها الذين هم بمنزلة الأعضاء لجسمها قائمين بوظائفهم . ويقال : الأمة ميتة إذ أخلد أفرادها إلى النوم ولم يقوموا بواجباتهم التي يفرضها عليهم قانون البقاء في عالم الوجود .

٨٠ – علم الاخلاق

علم الأخلاق هو طب النفس ، ومن العجيب أننا نرى الإنسان إذا إذا أصابه دمل في جسمه أسرع إلى العلاج والطبيب ، وفي نفسه عشرون دملا لا يلتفت إليها ، وإن أنهكته في الحقيقة آلامها ، ولا سبب لهذا إلا فقدان هذا الطب من بيننا الآن . مع نموه عند غيرنا من الأمم ، وحسبك أنه ألف في مرض الإرادة وحده عند المسلمين كتب ذات أسفار ، فيجب أن يكون هـــذا العلم ملكة في النفس كملكة النمو في الانسان حتى تنطبق أحوال المرء على قواعد بلا تكلف فتصير الفضائل : كالوقوف عند الفضيلة في الأعمال ، والحق في الأقوال والاعتماد على النفس . خلقاً له وسجية .

٨١ – تأثير الكواكب فى النفوس.

هناك فريق من الناس يقفون أثر قدماء المصريين والبابليين فى الاعتقاد بأن للكواكب تأثيراً شديداً فى أفكار وحالات البشر الروحية ، وهم يقولون : مادمنا نجد للقمر التأثير الظاهر على مياه البحر فى المد والجزر ، وعلى نمو بعض الأزهار والنباتات ، بل واتجاه سمت بعض الأشجار ، وما دام له على المجموعة العصبية التأثيرات الواضحة التى جعلت القـــدماء تسمى الأمراض العصبية والعقلية بالأمراض القمرية ، حتى أن مستشفى المجاذيب إلى اليوم يسمى فى الغرب « الملجأ القمرى » لشدة الأنفعالات وتنبه ، النفوس العصبية فى النصف الاول من الشهر وسكونها وانقباضها فى النصف الأخير منـه ، فإذا كان هـذا تأثير القمر وهو ذلك الكوكب الصغير ، فكيف تنكر تأثير بقية الشموس والكواكب السيارة ، والثوابت العظمى

٨٢ — النعام

غير خاف ما للنعام من المزايا بين ذوات الأجنحة الضخمة التى لا تستطيع الطيران ، فان منافعه فى عالم التجارة كبيرة من حيث استعمال ريشه الظريف فى التحلى والزينة ، بل هو ركن عظيم من أركان الثروة الصناعية والتجارية ، وقد أدرك ذلك بعض الأمم القديمة المتمدينة كالرومان وغيرهم ، فعنوا بتربيته عناية عظمى ، وأدخلوا ريشه فى التجارة ، فحصلوا من ورائه على أرباح جزيلة أما الأمم الحديثة فلم تنتبه إلى أمره الخطير إلا فى الازمنة المتأخرة ، فاعتنت به ، واتسع نطاق تجارته ، فامتلأت الخزائن من ثروته .

٨٣ — النمل

النمل حيوان حريص على الغذاء وهو عظيم الحيلة فى طلب الرزق ، فإذا وجد شيئاً أنذر رفاقه لتأتى إليه ، ويقال : إنما يفعل ذلك منها رؤساؤها ، ومن طبعه أن يدخر من قوته فى

الصيف للشتاء ، وله فى الادخار من الحيل أنه إذا ادّخر ما يخاف إنباته قسمه نصفين ما خلا الكبيرة ، فانه يقسمها أرباعاً لما أُلهم من أن كل نصف منها ينبت ، فاذا خاف العفن على الحب أخرجه إلى ظاهر الأرض ونشره وإذا أحسّ بالغيم رده إلى مكانه خوفاً من المطر ، فان ابتل شىء منه بسط يوم الصحو فى الشمس . ومن عجائبه اتخاذ القرية تحت الأرض ، وفيها منازل ودهاليز وغرف وطبقات ، ومنعطفات يملؤها حبوباً وذخائر للشتاء .

٨٤ — البخار

إن للبخار فوائد جمة ، ومنافع كثيرة ، ومزايا عديدة ، فقد نقل الانسان من ظلمات الوحشية إلى نور الحضارة والتقدم ، وأنقذه من وهدة التأخر إلى ذروة الخير والسعادة ، فان الأمم كانت فى تباعد وانقطاع ، وتناء وافتراق ، لا تعرف الواحدة ماتعمله الأخرى . ولا تدرى ما يكون من الحوادث . لا تبادل

ولا تعارف ولا تعاون ، ولا تآلف ، تعانى الأهوال ، وتقاسى الشدائد ، وتضعف من قوتها ، وقوة الحيوان معها ، وتنفق من أموالها ، وتصرف من أزمانها إن أرادت حرث أرض ، أو نقل متاع ، أو سفراً من بلد إلى آخر ، أو أحبت اتساع ملكها ، والوقوف على أحوال بلادها — إلى غير ذلك مما تحتاجه الأمة وتفتقر إليه .

فلما ظهرت قوة البخار ، تلك القوة التى غيرت الأرض ومن عليها ، ارتبطت البلاد ، واتصلت الممالك . وتقدمت العلوم والمعارف . وتم التآلف والتعارف ، والتحابب والتعاضد ، وحصل التنافس ، واستضاءت الأمم بآراء العلماء ، وأفكار الحكماء ، وتوطدت دعائم الأمن ، وسادت النظام ، وتوفرت الأزمان والأموال وقوة الانسان والحيوان .

عثر الانســـان على قوة البخار ، فسخرها فى حرث الأرض وريها والانتفاع بنباتها ، واستعملها فى رفع الميـــاه من مجاريها العميقة ، ونقل المصنوعات من بلدانها البعيدة كما أنه وطد بها

سلطته وزاد قوته ، وحفظ بلاده ، وانتفع بها فى مأكله ، وملبسه ، ومسكنه وأغلب أموره إلى غير ذلك من الفوائد الجليلة والمنافع الكثيرة التى غيرت مدنية الانسان وأكسبته مدنية حديثة، وحضارة جديدة ، هى بلاريب خير من الأولى وأحسن منها ، فسبحان الذى سخر لنا هذا وما كناله مقرنين

٨٥ — حق الامة على أبنائها

كان فى إحدى الممالك ثرية تملك من الذهب والفضة والقراطيس المالية ، ومن العقار شيئاً كثيراً ، ومع هذا كانت معتدلة فى معيشتها تأكل أكل متوسطى الحال من الناس وتسكن سكناهم ،وتنفق من دخلها فى الأعمال الخيرية ، واستمرت على ذلك زمنا طويلا فدهش الناس من من تصرفها مع مالها من الغنى والثروة .

وفى يوم سألها أحد الناس : لم لا تنفقين على نفسك كثيراً شأن الأغنياء .

فأجابته قائلة : إنما أنفق بقدر ما أستحق ، وأترك الباقى حقا لأمتى وبلادى ، وإنى مابلغت هذا المبلغ ، وما تمكنت من جمع هذا المال ، إلا بحسن معونتهم لى ، فلا يصح أن أبخسهم حقهم .

٨٦ــ الامتحان

إن أغلب الناس ميال إلى الراحة والكسل ، بغيض إليه العمل ، فهو محتاج إلى ما يبعث فيه النشاط ، ويسوقه وراء الجد والاجتهاد ، وإن الامتحان الذى يكرم به المرء المسئول أو يهان ، ويصير عزيزاً أو ذليلا ، لأعظم وازع ، وأكبر سائق يسوق الانسان إلى اقتناء المعارف والعلوم والصنائع والفنون التى تكسبه الحمد ، وحسن الذكر ، وتفيده وتعود على بلاده وأمته بالخير والسعادة

الامتحان هو السبب الوحيد الذى يقوى خلق التنافس فى أفراد نفوس الأمة فيعملون ، ويجتهدون ، وهم فى ذلك متنافسون

فيظهر فى الأمة أناس ينفعونها ويرفعون وطنها ، ويكونون عوناً لها على أية نازلة أو ملمة .

الامتحان هو الذى يرفع درجة الفقير العالم ، ويحطّ من شأن الغنى الجاهل ، ويعطى كل إنسان حقه ، فلا تسند المناصب إلى غير الأكفاء ، ولا تعطى للجهلاء ، ذلك الأمر الذى وراءه كل خير وسعادة للأمة والبلاد ، وبه ترقى وتتقدّم ، فان الحاكم إذا كان عالماً عارفاً ، حكم بالعدل والإنصاف ، وابتعد عن الجور والإجحاف ، والمعلم إذا كان كفئاً ربى شباباً ناهضاً ، هم خير البلاد وسعادتها ، وكذلك الجندى ، والطبيب ، والمهندس ، وغيرهم .

٨٧ — الكاغد الورق

كانت الأمم فى الأزمان الخالية ، والعصور الماضية ، تلاقى صعوبات جمة ، ومشقات كثيرة ، إذا أرادت تقييد علم ، أو حفظ تاريخ ، أو مخاطبة بعيد ، فقد كانت تستعمل لذلك جلد الحيوان

وعظمه ، والقحاف ، والعسب [١] وشظايا [٢] الحجارة ، وأن هذا لا يقوم بالمقصود ، ولا يفى بالغرض المطلوب ، من تدوين العلوم ، والمعارف ، وتقييد الأخبار ، والأشعار ، والكتب ، والأسفار ، وتواريخ الغابرين ، وآثار السالفين .

ولقد كان العرب فى جاهليتهم ، يعتمدون على ذاكرتهم ، ويتوكلون على حافظتهم فى صيانة علومهم ومعارفهم ، وأشعارهم ، وأنسابهم ، فكثرت الرواية والتلق ، وصارت العلوم تؤخذ عن العلماء بالمشافهة دون الكتاب ، فضاعت علوم ، وذهبت معارف ، واندثرت آثار كثير ممن أدركهم الفناء ، فماتت علومهم بموتهم ، ومحيت آثارهم من بعدهم .

فلما جاء الإسلام ، واتسعت لديهم الحضارة ، وكثرت العلوم ، وتعددت الفنون ، وظهر الحكماء ، والخطباء والعلماء ، والشعراء ، اضطروا إلى شىء يدوّنون فيه أفكارهم ، وأخبارهم ، وعلومهم ، وأشعارهم فأدخلوا صناعة الكاغد فى ممالكهم ، وكانت قبل

---

(١) العسب جمع عسيب ، وهو الجريدة المستقيمة من النخل يزال عنها الخوص . فاذا أريد أن يكتب عليها شقت شقوقا متوازية ليست سميكة ، ثم جففت ويكتب عليها بعد ذلك .

(٢) شظايا الحجارة . ما يتطاير منها رقيقا .

ذلك شائعه فى بلاد الصين ، ومن نظر إلى زمن المأمون ، علم مالكاغد من الفوائد الجليلة التى عادت على الإسلام والمسلمين والعلم ، وأهله .

ولما انتقلت صناعته إلى أوربا دخله التحسين ، وكثرت أنواعه ، وتعددت أصنافه ، وأصبح غير قاصر على أن تقيد فيه العلوم ، والأخبار ، وتكتب فيه التواريخ ، والأشعار ، بل دخل فى كثير من المصنوعات ، وأفاد فى تحسينها ، وجمالها ، واستعمله الإنسان فى كثير من الأشياء كلف البضائع ، وتزيين المنازل ، والحوانيت ، وعمل الصناديق المختلفة الأشكال ، والمقدار لحفظ المصنوعات النفيسة ، وصيانة البضائع الجليلة وتجليد الكتب ، والنقش ، والكتابة ، والتصوير إلى غير ذلك من فوائده التى لا تحصى ، ومزاياه العديدة التى لا تستقصى

٨٨ — المطابع

كانت العلوم فى الأزمان الغابرة ، والعصور الخالية ، قبل ظهور المطابع ، وطلوع نجمها ؛ بعيدة المطلب ؛ صعبة المنال ؛ لا يمكن

الغنى فضلا عن فقير أن يحوزها إلا بعد تجشم الأسفار ، وصرف الدرهم والدينار ، فلما من الله على عباده بظهور المطابع ، واخترعها ، أصبح نيل العلم سهلا هيناً ، فاستوى الغنى ، والفقير ، والعظيم ، والحقير فى اقتناء الكتب ؛ وانتشرت العلوم والمعارف ؛ وظهرت الافكار والآراء ؛ ونبغ النابغون ؛ وسبق السابقون ، وتقدم الفاضلون وبانت بلاغة البلغاء ، وفصاحة الفصحاء ، فاتسعت دائرة العرفان ، وراجت سوق العلم ، وعز أهله ، وعظمت أنصاره ، ووضعت الكتب ، وألفت المؤلفات ، ونقلت من لغة إلى لغة ، ومن لسان إلى لسان ؛ وبزغت أنوار الصحف اليومية ، والمجلات العلمية ، والصناعية ، والسياسية ؛ والدينية ؛ فاستضاء العالم بنورها ؛ واستنار بضوئها ؛ وسهل على الناس تبادل الافكار ؛ وتناوب الآراء مع السرعة الزائدة ؛ والزمن اليسير ، وإنا لا نرى أمة من الامم غنية عن المطابع غير مفتقرة إليها : بل كل الأمم الآن تنتفع بها ؛ وتستعين بواسطتها ؛ فعليها مدار الدواوين ، وبها نجاز الأعمال ، وتمام الامور ، وإنها لمختلفة الاشكال عديدة الانواع . وهى على اختلاف أشكالها ، وتباين أنواعها ، تخرج للناس المئات

من المؤلفات النفيسة ، والآلاف من الكتب المفيدة فى أيسر زمن ، وأقل كلفة .

ولقد أصبح الكتاب المطبوع ، يباهى بحسن منظره اللؤلؤ النظيم ، والعقد النضير ، مع ظهوره فى مظاهر عديدة حازت كلها من الرفعة أعلاها ، ومن المكانة أسماها .!

ترى الكتاب المطبوع ، فتميل إليه نفسك ، ويتمتع به نظرك لحسن تنسيقه ، وترتيبه ، وورونقه ، وجماله . فاذا قرأت فيه : قرأت بنفس مرتاحة ، وبال مطمئن ، وعين قريرة ، وميل طبيعى ، وشوق غريزى ، وإذا نظرت إلى المؤلف المكتوب باليد ، رأيت غالباً ماتشمئز منه النفس ، ولا يقبله الطبع ، ولو حوى بين دفتيه حكمة الحكماء ، وبلاغة البلغاء ، وفصاحة الفصحاء ، وزيادة على ذلك مايقع فيه من التصحيف ، والتحريف ، والتغيير ، والتبديل ، مما يضيق له صدر الحليم ، ويأنفه صاحب الذوق السليم .

فما أجل خدمة المطابع ، وما أكمل فائدتها ، فهى من نعم الله العظمى ، ومننه الكبرى ، فله الحمد والشكر على آلائه التى لا تعد ولا تحصى .

٨٩ - الكهرباء

إن من أجل العوامل ، وأعظم الوسائل التى أكسبت الإنسان خيراً ، وسعادة ، ورقياً ، وحضارة « الكهرباء » تلك القوة التى كانت كامنة ، فأظهرتها أفكار المخترعين ، وعقول المفكرين ، فأفادت العالم بأسره زينة ، وجمالا ، ورونقاً ، وكمالا ، وقدمت إليه غير ذلك منافع من اجلّ الخدمات ، وأحسن العطايا ، فهى تدير المعامل الكبرى . والمصانع العظمى ، فى أيسر زمن ، وأوجز وقت ، وقليل كلفة ، مع السرعة الزائدة ، والقوة الشديدة فأخرجت للناس المصنوعات على اختلاف أشكالها ، وتباين أنواعها زاهية زاهرة ، بديعة الصنع ، جميلة الإتقان .

وإنا لا ننسى خدمتها للأطباء الذين اتخذوا منها وسيلة للرأفة بالضعفاء ، فانتفعوا بحرارتها فى إزاحة أمراض كثيرة ، وبضوئها فى كشف ما سترته كثافة الأجسام ، فأزالوا عن المرض عناء الآلام ، وتعب الحياة .

كما لا يغيب عنا استعمالها فى قطع الأشجار الضخمة ، والأخشاب

العظيمة ، وقضبان الحديد ، مما أراح الانسان ، والحيوان ، وخفف عنهما مؤونة الأشغال ، ونصب الأعمال ، وصرف الأزمان ، والأموال .

ومن أعظم آثارها نقل الأخبار من بلد إلى بلد ، ومن قارة إلى قارة فى وقت وجيز ، وزمن قصير ، فأصبح الشرقى فى شرقه ، يسمع كلام الغربى فى غربه ، وسهل على سكان الأرض كلها أن يخاطب بعضهم بعضاً من غير مفارقة أوطانهم ، ومبارحة بلادهم ، فى ساعات معدودات ، ودقائق معلومات ، فكأن الناس كلهم أسرة واحدة فى بيت واحد ولقد محا ضوء الكهرباء آية الليل ، ونسخ معالمه فى المدن العظيمة .

٩٠ — الصحف (الجرائد)

الصحف هى لسان الأمة المعبّر عن أغراضها لآرائها ، وأفكارها ، فهى عنوان رقيها ، ودليل حضارتها ، تنبىء عن أحوال البلاد الداخلية ، وحوادثها المحلية ، وبين أنهارها منبر عام للخطباء والعلماء ، والحكماء والأدباء ، والشعراء ، وأهل الخبرة ، والسياسة

والدربة والكياسة ، فهى روضة النفس ، ونزهة الطرف ، والناصح الأمين والمرشد الحكيم ، والمبشر ، والمنذر ، والسائح الذى يطوف البلاد شرقاً ، وغرباً ، فيعلم الناس بالأخبار ، وما نقلوا لهم قدما ، ويوقفهم على أفكار غيرهم ، وما أتبعوا لهم نفساً ، وأنها عون الأمة فى الملمات ، وعضدها فى النازلات ، وبها يستغيث المستغيثون ، ويطلب النصفة المغبونون ، ويعرف العاملون والعاطلون ، والمجدون ، والخاملون ، وفيها تنشر الحكومة أوامرها وتعلن مطالبها ، وتدعو إلى ما ترى وتريد ، ويقف الإنسان بواسطتها على حوادث الأرض كلها ، وهو فى بلده ، فيعرف ما يجرى بين الدولة من عهود جديدة ، وشروط حديثة ونزاع ، وخصام ، وجدال ، وقتال الخ .

٩١ — الطرق الحديثة

كان الناس فيما مضى من الأزمان ، يلاقون أنواع الصعوبات ، ويرون صنوف الشدائد ، إذا أرادوا الانتقال من بلد إلى بلد ، والسفر من جهة إلى أخرى ، فكانوا يصرفون الأموال ، وينفقون

الأزمان ، ويضعفون من قوتهم وقوّة الحيوان ، لا أمن ولا راحة ولا اطمئنان ، إن ساروا فى البرّ فياويلهم من الأرض ، وضلال المسلك وفتك الفاتك ، وغضب الغاضب ، فيكونون هم وأولادهم عرضه للضياع والهلاك ، وإن ساروا فى البحر فياويحهم من موج يغشاه موج ، فيطوّح بالسفينة كيف شاء ، ويقلبها كيف يريد ، فتارة يرون الموت ، وأخرى يرجون الحياة ، وهم مع ذلك يخشون فتك الفاتكين ، ويخافون صولة الغاصبين ، وإن صعوبات كهذه تقف بالإنسان دون أن يخرج من بلده ، أو يرتحل عن وطنه ، فكأن الناس فى انقطاع وافتراق ، وتباعد ، واغتراب ، لا تعارف ولا تآلف ، ولا تبادل ولا تعامل .

فلما مدّت قضبان الحديد فى البلاد ، وتفرعت فروعها فى الجهات ، سهل الوصول وعمّ الأمن ، وازداد الرخاء وكمل الهناء فارتبطت البلاد وقربت المسافات ، وذلت الصعوبات وانتشرت التجارة ، وارتقت الصناعة ، ووجد التعارف والتآلف ، والتحابب والتحالف ، والتبادل والتعامل ، وصارت المصنوعات والمزروعات تنقل من البلاد الغربية إلى البلاد الشرقية ، وما كنا لنبلغ ذلك إلا بشق الأنفس وصرف

الأموال والأزمان وقوّتنا وقوّة الحيوان ، فزال ذلك كله ، وبدل الشقاء هنا ، والتعب راحة وتنافس فى الصناعة المتنافسون ، وتسابق فى الزراعة المتسابقون ، وتبارى فى التجارة التاجرون .

٩٢ — الثروة فى يد العاملين

أقام جماعة بجزيرة طاب هواؤها ، وعذب ماؤها ، فشيّدوا القصور الشامخة ، واتخذوا البساتين الناضرة ، مترفعين عن العمل ، راكنين إلى الكسل ، وكان معهم قوم من الفقراء يحرثون أرضهم ويسيمون دوابهم ، ولقلة أجورهم وسوء معاملتهم ، ضاقت صدورهم فاجتمعوا يوماً وقرّروا الرحيل عن هذه الجزيرة إلى غيرها .

فخرجوا إلى أرض خالية فكدوا بها وأحيوا أرضها حتى كثروا خيرها فحملوا ما زاد على حاجتهم إلى الجزيرة ليتجروا به ، فاذا أهلها فى بؤس من العيش ، قد أمحلت أرضهم وتهدمت قصورهم فعلموا أن السعادة للعاملين : وأن الشقاء حليف العاطلين .

ليس الحياة بأنفاس نرددها إن الحياة حياة الفكر والعمل .

٩٣ ـــ الحديد

الحديد أكثر المعادن نفعاً وأشدها بأساً ، وأعظمها قوّة ، له منافع كثيرة ، وفوائد عديدة . قال تعالى . وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، ولا ريب فى ذلك ، فإن عليه تؤسس الدور ، وتبنى القصور ، وترفع القناطر فوق الأنهار ، وتقام الحواجز فى عرضها ومنه تكون الأسلحة والدّروع والآلات الحربية ، التى يذود بها الإنسان عن نفسه ، ويمنع عن حوزته ، وتحفظ الممالك وتقيها عاديات الحوالك ، والعدد البخارية التى تدير المعامل الكبرى والمصانع العظمى ، وتطحن الحبوب ، وترفع المياه ، وتحرث الأرض ، ومنه المدية ، والمبراة ، والمقص ، والمنشار ، والقفل ، والمسمار ، وأغلب آلات الصناع والعمال ، التى لولاها ما تم لهم عمل ، ولا ارتقت صناعة ، كما أن السفن البخارية التى تشقّ البحار ، وتجوب أطرافها وتلاطم أمواجها ، فتحمل الانسان والبضائع من بلد إلى بلد ، ومن مملكة إلى أخرى ، وكذا القطر الحديدية التى أزالت عن المسافر كل عناء ، ورفعت عن

الحيوان كل شقاء وارتبطت بها البلاد واتصلت الممالك ، ومنه عجلات النقل على اختلاف أشكالها ، وتباين أنواعها ، والأسلاك البرقية التى تنقل الأخبار وتنشر الحوادث فى زمن وجيز ووقت قصير ، إلى غير ذلك مما أخذ بيد الإنسان إلى ذروة الحضارة . وأكسبه الخير والسعادة ، ولا تقوم الحياة إلا به ، ولا تستقيم المعيشة إلا بواسطته .

٩٤ — دور الكتب

ان مما يدلّ على تمدين الأمة وحضارتها ، وتقدمها ورقيها ، أن تنشىء دور الكتب فى أكابر مدنها ليقصدها طلاب العلم ، وينتفع منها أهل الأدب ، وذلك لأن أفراد الأمة فيهم الفقير العاقل والمعدم الفطن ، والغنىُّ الذى إن سهل عليه اقتناء بعض الكتب تعاصى عليه البعض الآخر على أن من الكتب مالا يسهل نشره بين أفراد الأمة لكبر حجمه فكان من الحكمة أن تبنى « دور الكتب » لتجمع فيها مؤلفات الحكماء والعلماء والشعراء والأدباء الحاضر منهم والقدماء ، ويكون ذلك مباحاً لجميع الأفراد ينتفعون به لا فرق بين الغنى والفقير ، والعظيم والصغير ، حتى يسهل عليهم

اقتناء الفنون والآداب والعلوم والمعارف ، ولقد كان بالاسكندرية زمن البطالسة دار كتب عظيمة ، احتوت على أنفس الكتب ، وأحسن المؤلفات . وأوّل من قام بإنشاء دور الكتب من أهل الإسلام العباسيون ، فقد أنشأوا ببغداد داراً جمعت كثيراً من كتب الحكماء والفلاسفة والعلماء ، وسموها (بيت الحكمة) . وأنشأ الفاطميون بالقاهرة (خزانة الكتب) ومكاتب الأندلس كانت مشحونة بالكتب القيمة مملوءة بالمؤلفات التى تكسب الإنسان حكمة ؛ وتورثه عقلا وفضلا ودراية وعلماً . والآن بالقاهرة « دار الكتب » فيها من الكتب أنفسها ، ومن المؤلفات أنفعها ، ويختلف إليها الناس للافادة ، والاستفادة والمذاكرة والاطلاع مما أفاد فائدة تامة .

٩٥ — الشركات

إن للشركة على اختلافها وتباين أنواعها تأثيراً حسناً ، وفعلا طيباً ، وعملا جليلا فى ارتقاء الأمة وتقدمها وسعادتها وثرائها وخصوصاً الذين قاموا بإنشائها واعتنوا بتأسيسها ، فإنها تبعث فيهم

النشاط وحب العمل ، والميل إلى التعاون والمساعدة ، وتزيد من أموالهم وثروتهم . وبديهى أن الفرد الواحد لا يقوم بما تقوم به الجماعة من بذل الأمـــوال ، وسرعة الحركة ، والنشاط والاجتهاد وحسن المراقبة ، والملاحظة ، والالتفات ، والانتباه ، فمن الضرورى أن يستعين بغيره ويتقوى به لتجتمع منهما قوة تعود عليهما بالنفع العميم والخير الجزيل ، لذلك وجدت الشركات التى لولاها ما ظهرت الأعمال العظيمة والأفعال الجسيمة ، والأمور الكبيرة التى تحتاج إلى المال ، والقوة ، والعقل والفكر كمد السكك الحديدية وتكوين الأراضى الزراعية ، واستخراج المواد المعدنية ، وحفر الترع والأنهار ، والسير فى البحار ، وإدارة المعامل الكبرى ، والمصانع العظمى إلى غير ذلك مما لا يمكن لفرد أن يقوم به أو يقدر على عمله .

٩٦ — المياه

إن المياه من العناصر التى لا يحيا الانسان إلا بها ، ولا يعيش إلا بواسطتها ، وهى على اختلاف أنواعها ، وتباين أصنافها ، مفيدة

للانسان والحيوان ، والشجر والنبات ، يرتوى منها الإنسان ، ويشرب الحيوان ويسق الشجر والنبات ويعتدل الجوّ وتتلطف الحرارة ، وينق الهواء ، وتطهر المياه ، وتسير فوقها السفن البخارية والشراعية ، وتدار بها المعامل الصناعية إن كانت ذا تيار عظيم .

ولا يغيب عنا تلك المخلوقات العديدة ، والخلائق المختلفة التى تعيش داخل البحار ، وفى بطن الأنهار ، وما نأكله من السمك ، ونستخرجه من اللؤلؤ والمرجان ، والملح والأصداف .

نحن محتاجون إلى المياه فى الأكل ، والشرب ، والمسكن والملبس والتنظيف ، والتطهير ، وفى أغلب الأمور إذا أردنا البناء احتجنا إلى الماء ، وإن طلبنا الغذاء وجدناه فى الماء ، وإن قصدنا نقىّ الهواء رأيناه عند الماء ، وبه نطفىء الحرائق ، ونصد به عاديات الزوابع ، ونخفف به عنا حرارة الصيف وجماع هذا قوله تعالى « وجعلنا من الماء كل شىء حىّ » .

٩٧ — المهدى والواشى

دخل رجل على المهدى فى أمر ، فتبين له أنه يريد أن يسعى عنده فى ضرر غيره . فقال له المهدى : اعلم يا هذا بأن الساعى ليس

بأعظم عورة ، ولا أقبح حالاً ممن قبل سعايته ، ولا تخلو من أن تكون حاسد نعمة ، فلا نشفى غليلك ، أو عدوّ فلا نعاقب لك عدوك ، ولا ينصح لنا ناصح إلا بما فيه لله رضاً ، وللمسلمين صلاح فالظاهر لنا ، والباطن ليس لنا ، ومن استتر عنا لم نكشفه ؛ ومن بادأنا طلبنا توبته ، ومن أخطأ أقلنا عثرته ، فإنى أرى التأديب بالصفح أبلغ منه بالعقوبة ، والسلامة مع العفو أكثر منها مع المعاجلة والقلوب لا تبقى لوال لا ينعطف إذا استعطف ، ولا يعفو إذا قدر ، ولا يغفر إذا ظفر ، ولا يرحم إذا استرحم .

٩٨ — الحرارة

إن الحرارة عنصر من العناصر التى لا يحيا الإنسان إلا بها . ولا يعيش الحيوان إلا بوجودها ، ولا ينمو النبات إلا بواسطتها .

وإنها لأنواع وأصناف ، فمنها حرارة الشمس وهى تلك الحرارة التى خدمت الإنسان أجل الخدمات ، وأفادته أحسن الفوائد ، فإنها تبخر مياه البحار ، فيعلوا ذلك البخار ، وينعقد سحباً فى السماء فيحملها الهواء حتى تصادف برودة تحولها إلى أمطار تنهمل على

الأراضى الجدباء ، فتصبح روضة خضراء ، فتبارك الله الفعال لما يشاء كما أنها تلطف برودة الجو ، وتمنع رطوبة الأرض ، وتجفف الثياب وغيرها وتنضج الثمار ، وتنمى الإنسان والحيوان والنبات ، وغير ذلك من الفوائد والمنافع .

أما حراره الكهرباء ، فقد استعملها الأطباء فى محو كثير من الأدواء ، وسخرها الصناع فى أمور كثيرة كقطع الأشجار ، وكسر القطبان والاستضاءة بجميل الأنوار ، إلى غير ذلك مما يحتاج إليه الإنسان ، ويستفيد منه .

وأما حرارة الفحم والخشب ، فقد عادت علينا بالنفع العظيم والخير العميم ، فإنها تسير القطر الحديدية ، والسفن البخارية ، وتدير المعامل الصناعية ، والآلات الزراعية ، التى تروى الأرض ، وتطحن القمح ، وتنق القطن ، وغير الزراعية كالتى ترصف الطرقات وتجر الأثقال وتجمد المياه .

وبالجملة فينابيع الحرارة ثلاثة : الينابيع الطبيعية ، وهى الأشعة الشمسية والحرارة الأرضية والكهربائية . والينابيع الكيماوية ،

وهى اتحادات الأجزاء ببعضها : والينابيع الميكانيكية ، وهى الاحتكاك والضغط والقرع :

٩٩ — الضوء

الضوء حركة أثيرية ، وهو على اختلاف أنواعه ، وتباين أصنافه ، مفيد للانسان الذى يحتاج إليه كل الاحتياج .

فبينما يكون الظلام منتشراً ، والجوّ معتما ، إذ ظهرت الشمس فمحت آية الليل ، وأزالت ظلام الجو بنورها الساطع ، وضوئها اللامع ، فتنبعث الناس من مراقدها وتروح إلى أعمالها ، فيكتب الكاتب ، ويحسب الحاسب . ويشتغل الصانع ، ويتجر التاجر ، وكلهم مطمئن البال ، مسرور النفس من ذلك النور الطبيعى ، وهذا الكوكب المنير ، الذى أنعم الله به على عباده ، فأفادهم فائدة كبرى ، وعاد عليهم بالنفع العميم .

ولما كان الإنسان لا يستغنى عن الاعمال ليلا ، أنعم الله عليه بذلك النجوم الزاهرة ، والقمر المتلألىء ، ليهتدى السارى والرائح والغادى ، فلولا الضوء ما كتب كاتب ، ولا راح رائح ، ولا عمل

عامل ، بل كنا نعيش فى ظلام حالك ، وليل مظلم . وبعيد أن نعيش على تلك الحال ؛ فما أجل نعمة الضوء !! .

ظهر الضوء الطبيعى وهو ضوء الشمس والقمر والنجوم ؛ فانتفع به الإنسان فى أموره وشؤونه . ولما هداه الله للضوء الصناعى استعمله حين تغيب الشمس ويخفى ضوء القمر والنجوم .

١٠٠ — الأشجار

إن الأشجار من أنعم الله العظمى ، ومننه الكبرى ، التى عادت على الانسان بالنفع العظيم ، والخير الجزيل : يبذر الواحد منا بذرة ضئيلة ضعيفة ، صغيرة حقيرة ، ثم يتعهدها حيناً من الدهر ، فلا يلبث حتى يراها شجرة ملتفة الأغصان ، مورقة الافنان ، ينتفع من ثمارها إن كانت من ذوات الثمار ، ويستفيد من أزهارها إن كانت من ذوات الازهار . فيستخرج الروائح الزكية والمواد العطرية ، التى تكسب النفس سروراً وانشراحاً ، ثم يجد فيها الادوية المفيدة لكثير من الامراض النافعة فى أغلب الادواء ، كما أنها تنقى الهواء ، ويستظل بها الإنسان ويتغذى بورقها

الحيوان ؛ ويأوى إليها الطير ؛ فيتخذ منها سكناً ؛ ومن أثمارها وأزهارها غذاء ؛ وإنا لنتخذ منها زيادة على ذلك الأخشاب التى نصنع منها السفن البخارية ؛ والمراكب الشراعية ، والنوافذ ؛ والابواب ، وسقف المنازل ومما يقينا عادية اللصوص وطوارىء الجو . كما أنا نصنع منها قماطر الكتب . ومقاعد الجلوس . وموائد الاكل ؛ وسلاليم الصعود ، ووقايات من رطوبة الارض ؛ وأغلب الآلات والأدوات . وننتفع بما كمن فيها من النار .

١٠١ – تأدية الواجب

أغلب الناس يحبون العمل حباً جماً ؛ ويكرهون الكسل كرهاً شديداً ؛ ويعملون ويجتهدون ويدأبون بالليل والنهار لايفترون ؛ يفضلون الشغل ؛ ولو أدى إلى الموت ، على الحياة التعسة الدنيئة التى لا يرضى بها عزيز ؛ ولا يقيم عليها إلا كل ذليل حقير ، أولئك الناس هم الذين أدّوا ما وجب عليهم وقاموا بعمل

ماطلب منهم فاكتسبوا سروراً لايعدله سرور ؛ لأن أتعب الأعمال مفعم باللذّة النفيسة ، وبه حياة الإنسان الأبدية .

كل واحد فى أىّ عمل لايقوم بما وجب عليه ، ولا يعمل ماطلب منه ، وهو ملزم به ، فقد عرّض نفسه للمذلة ، وسعى وراء ما يكسبه الضرر والامتهان ، لأنه يصبح مبغضاً عند رؤسائه ، مكروهاً بين رفقائه بل ربما أدّى ذلك إلى عزله عن عمله ، فتضيق عليه الأرض بما رحبت ، وتوصد فى وجهه أبواب الرزق .

أما من أدى واجبه ، فانه يكون حراً خالصاً ، لا سلطة لأحد عليه من رئيس ومرءوس ، وينال سروراً يعادل أضعاف التعب الذى صادفه فى طريق أداء الواجب ، ذلك هو الذى أفاد أمته وقومه فكان عضوا عاملا على نجاح بلاده ، ساعياً فى رفعة أمته .

إن الإنسان إذا تهاون بواجباته ، وتثاقل عن عمل مايجب عليه ، تراكمت عليه الأعمال ، وأصبحت عبئاً ثقيلا على كاهله ، وانفتح أمامه باب اليأس ، فيعيش عيشة تعسة ، ويحيا حياة الموت خير منها ، فلا يفيد ولا يستفيد ، ولا يعمل عملا يوجب له الشكر والاحترام

فأداء الواجب مرتبط بحياة الإنسان السعيدة التى يعيش بها مسروراً ، قرير العين مثلوج الفؤاد ، مرتاح الخاطر ، مطمئن البال .

وإن الأمة إذا قامت بواجباتها ، وأدت ما وجب عليها ، يعز شأنها ويقوى سلطانها ، وتعيش فى هناء دائم ، ونعيم مقيم ، والله لا يضيع أجر العاملين .

١٠٢ - إتقان العمل

إن الناس على اختلاف مشاربهم ، وتباين آرائهم ، يحبون العمل المتقن ، والصنع الحسن ؛ لأن الإتقان يكسب العامل رفعة وعلواً وذكراً وقدراً ، وإنا لنرى بعض المصنوعات فاق غيره ، وتقدم عليه فى الأسواق ، ونال رضا الناس وحبهم إياه ، ولم يكسبه ذلك إلا سلوك سبيل الإتقان فى عمله ، والجودة فى صنعه ؛ حتى ظهر بمظهر القبول فيسر منه من ينظره ، وينشرح له صدر من يبصره ، ويسعى فى اقتنائه من يراه

إن الإتقان فى العمل يقدم صاحبه ، ويجعله محبوباً بين الناس

ويكسبه الشرف الرفيع والمجد الأثيل ، فالصانع ، والتاجر ، والمتعلم والعالم ؛ والزارع وغيره ، إذا أتقنوا عملهم ، وأحسنوا صنعهم ، كانوا من الساعين فى خير أمتهم ، العاملين على تقدم بلادهم . الحافظين وطنهم من حادثات الدهر ، وكوارث الأيام .

الإتقان فى العمل هو الذى يأخذ بيد صاحبه ، ويقدمه على إخوانه ويرفعه على أقرانه ، ويظهره أمام قومه بمظهر الرجل العارف ، والإنسان الكامل ، فيحظى بالدرجة الرفيعة : والمنزلة الشريفة ، وينال محبة الرؤساء والكبراء ؛ والإخوان والأصدقاء وجميع الأمة ؛ وما هو إلا عمل أتقنه ؛ وصنع أحسنه .

الناس لاينظرون إلى مدة العمل وإنما ينظرون إلى جودته ، فعمل مفيد فى وقت طويل ؛ خير من عمل لايفيد ولا يغنى فى زمن قصير .

فليس المهمل فى عمله ، المتعجل فى شغله كالذى أتقنه وحسنه وإنما ساع فى ضرره ، عامل على تأخره ؛ وتأخر بلاده وأمته ، وربما هو نشأ عن العجلة الخطأ ، فيذهب عليه عمله سدى ؛ ويضيع تعبه بلا فائدة ؛ ولا ينال غير الندم ، وشقاء البدن ، وذلك جزاء المهملين

١٠٣ - الانسان

لقد خلق الله الإنسان فى أحسن تقويم ، باعتداله وتسوية[١] أعضائه ، وخلق كل حيوان منكباً[٢] على وجهه وخلقه سويا[٣] وجعل له لساناً ينطق به ، ويداً وأصابع يقبض بها الأشياء ، ويصرفها كيف يشاء ويريد ، وجعل له التمييز بين الأشياء الضارة والنافعة ، ومنحه[٤] العقل الذى به الإدراك

والإنسان أعدل الحيوانات . مزاجاً ، وأكملها أفعالا ، وألطفها حساً ، وأنفذها رأيا ، فهو كالملك القاهر لسائر رعيته ، وذلك بما وهب الله تعالى له من العقل الذى به تميز على كل الحيوانات ، فهو فى الحقيقة ملك العالم .

والإنسان — وإن خلق ضعيفاً — ليس له من الصوف أو الشعر ما يقيه[٥] الحرّ والبرد ، ولا من المخلب[٦] وحادّ الأظافر ما يتصيد به غيره من الحيوانات ، أو يدافع به عن نفسه ، فقد منحه

---

(١) اعتدال (٢) مائلا (٣) مستويا (٤) أعطاه
(٥) ما يحفظه (٦) هو للطائر والسبع كالظفر :

الله العقل الذى به سخر[١] له الأنعام ، وهداه إلى استعمال المعادن فى حاجاته ، ونسج الأصواف والأوبار[٢] والشعور لملابسه وزينته وحرث الأرض لاستنبات قُوته ، وقوت ما سخر له من بهيمة الأنعام ، ينزل الطير من السماء ، وينقل الأثقال من مكان إلى مكان ، ويشيد المبانى والقصور الفاخرة لسكناه ، وتراه يطير فى الجو بغير أجنحة .

ولكن بما هداه إليه عقله من البالون الذى يقله فى الجوّ فيقطع به البحار والجبال والوهاد .

١٠٤ — الاعتماد على النفس

هو أن يباشر الإنسان أعماله بنفسه ، وينظر فى أحواله وحده ، فلا يحتاج إلى معين يعينه ، أو مشارك يشاركه ، مالم تكن تلك الأعمال ، وهذه الأحوال ، مما تجب فيها المساعدة والإعانة ، فإن الإنسان محتاج إلى التعاون فى أشياء كثيرة ، لا تبعث فيها خلق التواكل ، ولا تجعله

---

(١) ذلل . (٢) شعر الإبل .

من أهل الكسل إن اعتمد فيها على غيره ، فالاعتماد على النفس أصل النجاح ، وأساس الرقىّ ، يدعو صاحبه إلى الجد ويسوقه إلى النشاط ، ويقتل من نفسه خلق التواكل الذى أخر كثيراً من الناس ، ووضع من قدرهم ، وحط من شأنهم ، فواجب على المرء ألا يعوّل على غيره ، وأن يعتمد على نفسه .

فإنما رجل الدنيا وواحدها   من لايعول فى الدنيا على رجل

إذا وُجد فى الأمة أفراد يعتمدون على أنفسهم ، ولا يحتاجون إلى مشاركة غيرهم ، تقدموا وتقدمت بلادهم ، وارتقوا وارتقت أوطانهم ، وعزوا وعزّت أمتهم .

١٠٥ — العمل

إن العمل من أسباب الكمال وهو طريق إلى بلوغ الآمال وسبيل إلى كل خير ونجاح ، فقد قيل :

الجدّ يدنى كل أمر شاسع   والجِدُّ يفتح كل باب مغلق

وإن الأرض الطيبة بغير العمل لا تنبت شيئاً ، والأرض الجدباء بالعمل تثمر وتنبت ، فمن حاول أن ينال العلا من غير كد وعمل فهو كمن حاول ارتقاء السماء ، واصطياد العنقاء .

وما طالب الحاجات فى كل وجهة   من الناس إلا من أجدّ وشمرا

فالعاقل من قابل العمل بكل صبر ، وثبات ، وعزم ، وحزم ، ونزاهة ، واستقامة ، وصدق ، وأمانة . ذلك هو الذى ينال المحامد ويكتسب الفضائل ، ويحيا حياة سعيدة ، ويعيش عيشة مرضية أما من خاف من الأعمال ، وتقهقر أمامها ، فإنه يعيش ذليلا مهيناً حقيراً وضيعاً ، ويكون عبئاً ثقيلا ، وعضواً أشل ، ومثل هذا لاخير له فى الحياة .

وما للمرء خير فى حياة   إذا ما عُدّ من سقط المتاع

وإن الفقر والنسب الوضيع لا يصدان العامل المجتهد عن نيل المراتب العالية ، والدرجات السامية ، كما أن الغنى والنسب الشريف لايفيدان الخامل الكسول ، فإن كثيراً من الأغنياء الأشراف انحطوا بعد الرفعة ، وذلوا بعد العزة ، لميلهم إلى الكسل وإخلادهم إلى الراحة

وكثير من الفقراء ذوى النسب الوضيع ، والأصل الحقير نالوا العزة بعد الذل ، والغنى بعد الفقر بجدهم واجتهادهم وسعيهم ونشاطهم ، فمن جد وجد ، ومن تكاسل ندم .

١٠٦ – الأمل

الأمل : هو ذلك القائد الذى قاد الملوك إلى مناصبها ، وأجلس الأمراء فى مجالسها ، وأظهر العلماء والحكماء والعظماء والكبراء وأفسح فى العيش لمن كاثرته الهموم ، وتوالت عليه الأحزان :

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

فهو مؤثر قوى يبعث فى الانسان حب العمل ، ويسوقه إلى الجدّ والاجتهاد حتى يصل إلى غرضه ، ويحصل على مطلبه ، فيكتسب رفعة ، وشرفاً ، ومجداً ، وثناء وحمداً — ذلك ان لم يخرج عن حدّ الاعتدال ، أو يتعلق بشىء دنىء ، فان كان الأول فانّ صاحبه مهما جدّ وسعى غير واصل إلى مطلوبه ، وإن كان الثانى فان صاحبه لو وصل إلى غرضه كانت عاقبته سيئة ، ونتيجته الوبال والخسران والخزى الكبير .

وهذا النوع من الأمل : هو الأمل الكاذب والأمل الدنيء .

كثير من الناس تعلقت آمالهم بالأمور العظيمة الممكنة ، فوجدوا من أنفسهم همة ونشاط يساعدانهم على نيل مطالبهم ، وإدراك رغائبهم . فنالوا الرفعة والمجد الأثيل . ذلك هو الأمل الصادق النافع ، ومن الناس من طلبوا المستحيل ، أو الأمر الحقير فباءوا بالخسران الكبير ، وما نالوا غير التعب الشديد ، وغضب الله والناس ، وذلك جزاء المعتدين ، وتلك عاقبة الآمال الكاذبة

فالامل الصادق هو الذى يجب أن يعتمد عليه الشخص ، ويجعله له إماماً ونوراً ، فهو آية السعادة والهناء ، وعلامة كل خير وسرور ، وهو الذى جعل الانسان رجلا يكافح النوائب ، ويقابل المصائب بجأش ثابت ، وقلب قوى ينزل فيه من وهدة إلى أخرى ، ومن صعب إلى صعب ، فلا تسأم نفسه ولا تمل ، وكيف تسأم أو تمل ؟ وأمامها الأمل ذلك الذى هزم الكوارث وخذل الصعاب ، حتى عاد صاحبه ظافراً غانما .

الأمل : هو الذى قوّى عضد الزارع والصانع ، ورفع من

نفس المتعلم والعالم ، والجندى الصغير والامير الكبير ، حتى أدرك كل غايته ، ونال مطلبه ، فما أعظمه نافعاً ، وما أفضله صاحباً وقريناً ، بعث للناس العلماء والحكماء ، والملوك ، والامراء ، وكشف عن الافئدة ظلمة الجهل . وأضاءها بنور العلم . وقاد الناس إلى ما فيه خير البلاد والعباد.

١٠٧ - مقابلة الاساءة بالاحسان

يحكى أن زبيدة العباسية [١] كانت جالسة ذات يوم فى قصرها . فدخلت عليها حاجبتها تقول أن امرأة جميلة عليها ثياب بالية [٢] تريد الدخول عليك ، وتقول أنها تعرفك من قديم . فأنكرت زبيدة ذلك ، فطلب من حضر من جواريها الاذن لها فأذنت فدخلت امرأة معتدلة الخلقة [٣] جميلة الصورة ، عليها رداء مرقع [٤] . فجعلت تمشى على استحياء حتى انتهت إلى باب المجلس فسلمت . فردت زبيدة عليها السلام . وقالت لها : من أنت ؟ قالت :

(١) زوجة الرشيد . (٢) ممزقة . (٣) مستويتها . (٤) ثوب به رقع

أنا طريدة الزمان ، وطريحة الحدثان (١) ماتت رجالنا ، واختلت أحوالنا ، وجفانا الصديق . وكدنا نلقى على الطريق ؛ فقالت لها زبيدة : انتسبي ؛ فقالت : أنا ربيبة ابنة مروان بن محمد (٢) فقالت : لاحياكِ الله ، ولا سلم عليك . ثم ذكرتها ببعض حوادث حصلت منها فى زمن عظمتها ، فبكت ، وقالت : يا ابنة العم وأى شىء أعجبك من الإساءة ، وقطع الرحم حتى تقتدين بى فى ذلك ، ثم انصرفت، فندمت زبيدة على ما حصل منها ، وبعثت جواريها اليها فلم ترجع . فقامت تعدو (٣) خلفها حتى أدركتها فى الدهليز فاعتذرت اليها فرجعت . ثم أمرت زبيدة جواريها فأدخلنها الحمام وأحضرن لها أصنافاً من الثياب فاختارت منها ماشاءت . وتطيبت وأقبلت ، فقامت اليها زبيدة ، وعانقتها (٤) ، ورفعت مجلسها . فلما دخل الخليفة (٥) قصت عليه القصة فشكرها وأمرها أن تعد لها مقصورة (٦) وجوارى يخدمنها .

---

(١) مطروحة الليل والنهار . (٢) أحد خلفاء بنى أمية . (٣) تجرى بسرعة . (٤) ضمتها إلى صدرها . (٥) هارون الرشيد . (٦) مكانا .

١٠٨ _ الاقتصاد

لكل مطلوب غاية يشرف بشرفها ، ويرتقى بها ، كما أنه ينحط بانحطاطها ، وإن الاقتصاد مطلوب : وغايته حسنة شريفة راقية جليلة — وهو يكون فى المال، والاكل والشرب ، واللباس والبناء وكل الامور . فأما الاقتصاد فى المال فوراءه كل كماله ، إذ به يجد الانسان عماداً يعتمد عليه عند الحاجة ، ونزول الملمة ، فهو عرضة للمرض ، عرضة للكبر ، عرضه للفقر عرضة للعزل ، عرضة لكل نائبة . فواجب عليه أن يدخر من ماله ما يقيه شر المصائب ، ويحفظه عن عاديات الدهر . على أن ما وراءه من الواجبات والحقوق ما يجعله عاملا على ادخار المال لادائها والقيام بها ، فواجب عليه تربية نفسه وأولاده وصلة ذويه وأقربائه ، ومساعدة الفقراء ، وتربية اليتامى ، وإعانة الضعفاء ، وأهل البؤس والشقاء . وكيف يؤدى الواجبات من لم يدخر من ماله ما يكفل له القيام بها ؟ أم كيف يقوم بهذه الحقوق من أسرف وبذر ، أو بخل وقتر ؟ إنه لينهزم أمامها ويتقهقر منها دون

أن يؤديها ، أو يقوم بواحد منها ، ولقد جاءنا من الأنباء أن الأوروبيين ، وبعض الشرقيين رجالاً ونساء ، وصغاراً وكباراً تنافسوا فى أداء هذه الواجبات ، والقيام بتلك الحقوق ، فلم يعنوا بجمع المال للهو واللعب ، والتفاخر والتكاثر ، بل ادخروه واقتصدوه لتعليم أنفسهم وأولادهم وإنشاء المدارس ، ومكافأة العلماء ، ومساعدة الفقراء ، وإسعاف المصابين وإقامة الملاجىء وبناء المستشفيات ، وكم رأينا من أناس منهم يوصون بأموالهم التى اقتصدوها ، وأعدوها لأعمال الخير أن تصرف فى هذا الغرض الشريف ، غرض رقىّ الأمة وسعادتها بعد موتهم ، ولمثل هذا فليكن الاقتصاد فى المال .

والاقتصاد فى الأكل ، والشرب ، والبناء واللباس . وغيره يكون بالاقتصار على ما يسد الخلة ويقضى الحاجة .

١٠٩ — الشمس

الشمس : كوكب عظيم يطلع نهاراً من الشرق فيضىء الدنيا ويساعد على رؤية جميع الأشيـــاء التى على سطح الأرض ، ومتى سقط شعاع الشمس على الزرع ينضجه ، ويكسبه ألواناً جميلة ، ويتحوّل به ماء البحر إلى بخار ، ويصير مطراً ، ثم يسقط ماء عذبا تجرى به ماء الأنهار ، ويسق به الزرع والحيوان ، وتنتفع به الناس فى حوائجهم .

ومن ذلك ماء النيل السعيد الذى يجرى فى بلادنا ، وننتفع به فى معيشتنا .

وحرارة الشمس تجفف الرطوبة الناشئة من وجود المياه فى جدران الأماكن كما أنها تجفف الملابس بعد غسلها ، ولكنها تضر من يتعرض لها كثيراً بدون وقاية بمظلة ونحوها ، فيحصل له ما يسمى بضربة الشمس ، وقد تكون هذه الضربة أحياناً مهلكة فيجب الاحتراس منها .

١١٠ — الارض

الأرض التى نعيش عليها : تتكون من بحر وبرّ ، فالبرُّ ما يعيش فيه الإنسان والحيوان ، وينبت فيه النبات والأشجار :

وتبنى فيـــه المدن العظيمة ، وينتفع بصخوره وجباله فى البناء والعمارات .

أما البحر فهو المـاء الذى تعيش فيه النباتات البحرية ، وكذا الحيوانات البحرية ، وتجرى فيه السفن لنقل الإنسان والبضائع من جهة إلى أخرى .

وينقسم البرّ إلى أقسام كل قسم له اسم خاص بحدود خاصة مثل مصر ، والشام ، والهند ، والصين ، والحجاز ، وأوروبا ، وأمريكا ، وأفريقيا :

١١١ - القمر

القمر : كوكب أصغر حجماً من الشمس ، ينير ليلا فيرسل على

الأرض ضوءاً يهتدى به الناس فى الطريق ، وينتفع الزارع بضوئه ، فيشتغل بالزراعة ليلا .

وهو يبدو فى أول الشهر مقوّساً ، ويقال له : هلال ، ويزداد حجمه إلى أن يرى تام الاستدارة فى الليلة الرابعة عشرة ، فيسمى بدراً ، ثم يعود إلى حالته الأولى تدريجياً ، حتى يصير حجمه فى أواخر ليالى الشهر كما كان فى أوائل لياليه ، ويرى فى أول الشهر بعد الغروب جهة الغرب ، وفى آخره قبل الفجر جهة الشرق .

١١٢ – النجوم

النجوم : هى الأجسام المنيرة التى تراها ليلا منتشرة فى السماء وحجمها يختلف صغراً وكبراً .

فمنها ما هو أكبر من الشمس ، ولكنها ترى صغيرة لبعدها الكثير عنها .

ومنها ماهو أصغر من الشمس .

والذى يهمّ معرفته منها هى النجمة القطبية التى تظهر جهة الشمال ، فبها يهتدى المسافر برّاً وبحراً ، وتعرف بها الجهات الأربع الأصلية، وهى الشرق ، والغرب ، والشمال ، والجنوب ، والنجوم لا يظهر ضوءها نهاراً لشدة ضوء الشمس .

١٢٣ ــ الثبات والصبر

وقلّ من جدّ فى أمر يحاول واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر إنما تمام الأعمال ، واجتناء ثمارها ، والحصول على الفائدة منهـــا يكون بالثبات والصبر اللذين أنالا المرء مطالبه ، وأدرك بهما رغائبه وإن لم يكن من كبار المفكرين ، وأهل البسالة والقوة ، فإن أكثر الأعمال العظيمة تمت بابسط الوسائل ، واستخدام القوى العادية ، وكان المعين على تمامها هو الثبات والصبر ، فأكثر الناس ثباتاً وصبراً أكثرهم نجاحاً ورقياً ، وإن الاجتهاد والصبر أخضعا كل صعب ، ولا فضل لبعض الناس على بعض إلا بالعمل والصبر .

ألا ترى أنه ما ولد العالم عالماً ، ولا الأمير أميراً ، ولا الملك ملكا ولا الحكيم حكيما ، ولكنّ الصبر أوصل هؤلاء إلى مراتبهم وسار بهم إلى مجالسهم ، وأنالهم الرفعة وعزّ الدهر .

أما من استسلم إلى اليأس ومَلّكه زمامَه ، فسيقوده إلى مهواة سحيقة ، فيسوء حاله ، وينكد عيشه ، ويحيا حياة لا خير فيها ، تراه لا يتمّ عملاً ، ولا يدرك مطلباً ، ولا ينال غرضاً فتضيق عليه الأرض بما رحبت .

١١٤ — (ا) العفو عند القدرة

يروى أن رجلا من الفرس كان يسوء آخر من العرب فتمكن العربي يوماً القصاص منه ، والفارسي وَحده ، والعربي وسط فئة من قومه ، كل واحد منهم أشار عليه برأي ، فمنهم من قال : نضربه حتى يفارق الحياة ، ومنهم من قال : نجلده ، ومن قال : نشنقه وهكذا ، وبقي منهم رجل لم ينطق بكلمة واحدة ، فقال له العربي : ما رأيك فيه ؟ قال : الرأي عندي العفو عنه ، لأنّ من جازى اللئيم بلؤمه ، كان مثله ، والعفو عند المقدرة . خير من التشفي : قال

العربى « أصبت ، وما قصدت غير ذلك » ثم قال للفارسى : « لقد عفوت عنك ، فلا تعد إلى مثل ما كنت تفعل معى ، فإن تقلبات الدهر سريعة ، يوم لك ، وآخر عليك » فشكر له الفارسى كرم أخلاقه ، وحسن صنعه ، وندم على ما فعل معه بادىء الامر ، واتخذه من أعظم أصدقائه . واستدل بذلك على مروءة العرب وكرم أخلاقهم .

١١٥ - (٢) العفو عند المقدرة

قيل إن العرب لما فتحوا بلاد الاندلس ، اعتدى شاب أسبانى على فتى من العرب وقتله ، ثم فر هارباً واتفق أن مر فى طريقه بحديقة على بابها رجل هرم . يبلغ عمره نحو مائة سنة ، فاستغاث به الشاب ، فأخفاه الرجل فى حجرة بالحديقة . وبعد قليل من الزمن ، حضر الناس يحملون القتيل ، ووقفوا به على باب الحديقة ، فتأمل الرجل فوجده ابنه ، فحزن ووقع على الارض مغشياً عليه ، ولكنه أخفى حزنه ، وكتم غيظه . وانتظر حتى دخل الليل : ثم ذهب إلى الشاب . وعرفه أن القتيل ابنه . فخاف وأيقن

أن الرجل سيقتله ، فهدأ الرجل روعه ، وأزال خوفه ، وقال له : قد استغثت بى فأغثتك ، وليس من دينى أن أنقض عهدى معك ، فكن آمناً منى ، ولكن لا آمن عليك من قومى أن يقتلوك ، ففرّ من هذا البلد . وانج بنفسك . وزوّده بألف درهم . فأثر هذا الوفاء . وذلك الخلق الكريم فى هذا الفتى تأثيراً شديداً ، حتى أيقن أن للاسلام فضائل ، لو عمل بها أهله لكانوا من أرقى أمم الارض

١١٦ — فى قياس الإنسان بسائر الحيوان

قد منحت الحكم الإلهية الحيوانات الانيسة والوحشية سلاحاً تدفع به عن نفسها ، وتسطو به على أبناء جنسها ، وغير جنسها ، وأما الإنسان فهو مجرد عن ذلك ، ومعرض بجميع أعضاه للمهالك . فجلده عرضة لحر الشمس . وزمهرير البرد . ومضار الرياح العواصف والتلاقيح القواصف وقد حمى المولى سبحانه وتعالى جميع المواليد فى سائر الهضاب والبطاح . حتى جعل للأشجار قشراً عليها وغلاف يقوم عندها مقام السلاح ، وخص الطيور الجوارح بأظفارها ووهب لذوات الاربع مخالبها وقرونها

لتدفع بها عن نفسها ، حتى السلحفاة التى هى أضعف الحيوان ، قد جعل لها درعاً يدفع عنها الأذى ويمنع عنها الردى ، بخلاف الانسان ، فقد خرج من بطن أمه لايعلم شيئاً ، ولايقدر على شىء إلا بالتربية والتعليم . فوجب تربيته وتعليمه وإرشاده للمعيشة والتكلم ، وتعــويده أن يتفكر ويتأمل .

١١٧ — القاهرة

إن سبب تسميتها بهذا الاسم . هو أن جوهر القائد لما رغب فى بنيانها جمع المنجمين وأمرهم أن يختاروا طالعاً سعيداً ليدوم ملك سيده وذريته من بعده . فوضعوا فى الأرض التى أرادوا اختطاطها قوائم من الخشب ربطوا فيها حبالا بها أجراس ، وأمروا العمال ألا يلقوا شيئا فى الأساس إلا إذا سمعوا صوت الأجراس . ثم تهيئوا لرصد الطالع ، فاتفق نزول بعض الغربان على هذه الحبال ؛ فاضطربت الأجراس ، وظن العمال أن المنجمين حركوها فوضعوا الأساس . وعندها صاح المنجمون « القاهر » أى (المريخ) فى برج الطالع ، فاشتق منه اسمها .

١١٨ — الكعك فى العيد

إن الكعك كثير السمن والسكر الذى يصنع فى زمن الاعياد إنما هو ينبوع صناعى لأمراض المعدة والامعاء والكبد، خصوصاً عقب الصيام، وخطره شديد على الاطفال والصبيان، ومن الغريب أننا نرى البعض من الناس يطعمه للطفل الرضيع، مع أنه بمثابة سم قتال لمثله وأشد منه خطراً، وأعظم منه ضرراً النوع المسمى (غريبة)، وهو يصنع أيضا أيام الأعياد، ولا يقدم إلا للاعزاء والاصدقاء الاخلاء، فكأنهم على قدر نصيبهم من المعزة والكرامة يوفون حظا أوفر، ونصيباً أكبر من الضرر، ألا قاتل الله الجهل، فإنه يحيل السيئة حسنة، والضارّ نافعا، والواجب إذا كان وجوده لازماً زمن الاعياد أن يكون خفيفاً قليل الدسم والسكر، وأن يجفف فى التنور جيداً.

١١٩ — مضار الدين

إذا شئت أن تعلم قيمة المـــال فاذهب واقترضه من أحد الناس تجـــد أن من استدان هان، لانك إذا صرت مديناً لاحـد ما

فإنك صرت عبداً رقا له ، لأن الجنيه الواحد الذى تقترضه من جارك ، هو ثمن حريتك الذاتية التى رهنتها لديه ، فإذا سلمت بأن المقترض عبد لمن أقرضه ، نصحتك أن تنفر من هذا القيد المؤلم، واحفظ حريتك واستقلالك ، وواظب على عملك تكن حرا ، واقتصد تكن سعيداً ، فإذا قدرت أن تكون نفقاتك أقلّ من دخلك ، فقد ملكت حكمة الفلاسفة .

١٢٠ ـ اللغة العامية

الكتابة لاتزال باللغة العربية الصحيحة فى الكتب الادبية ، وأما الكلام فقد تغلبت عليه اللغة العامية ، وهى خليط من العربية مع لغات أخرى ، نشأ من أختلاط الاعاجم بالعرب ، وهذه اللغة العامية تختلف باختلاف البلاد والعصور كما ترى ذلك فى لغة أهل مصر ، والشام ، وبلاد المغرب ، ولقد كادت اللغة العامية فى بعض الممالك تقضى على اللغة العربية الأصلية ، حتى أصبح معظم الناس فى مصر مثلا لا يستطيعون التعبير بها ، فيدرسونها كما تدرس اللغات الأجنبية ، فعلينا إذا أردنا إحياء هذه اللغة الجليلة أن تنفر

من اللغة العامية ، ونعقد الخناصر على كل كلمة لغوية ، أو عبارة صحيحة تمرّ بنا .

١٢١ — النظافة

الصحة من أجل النعم التي يتمتع بها الانسان فى هذه الحياة ، وبدونها لا يقدر على القيام بواجباته ، ولا على الدأب فى أعماله ، ولا يلتذ بشىء من أطايب الحياة وملاهيها ؛ والنظافة من أقوى الاسباب فى حفظ الصحة وأكبر الوسائل فى دفع العلل . والعناية بها أمر يجب لصالح الصغـــار والكبار . وهى تزيد البدن نشاطاً وبهاء . ذلك لأن الجلد الذى يغشى بدن الإنسان له مسامّ عديدة صغيرة جدا تكون مئات منها فى قدر الظرف مساحة . ومن هــذه المسام يترشح الجســد عرقا كل يوم صيفا وشتاء . وإنما يشتد ترشحه على المعترض للحر أيام القيظ ، وعلى العامل أو الصانع إذا عمل عملا شاقا . وإذا بدأ العرق على ظهر الجلد يمتزج بما يعلق بالبدن من الغبار الدقيق . فتعلو الأدران البدن وتلبد فيه حتى تصير كالغشاء عليه فينسد على العرق مسام الجلد فيحصل الضرر

١٢٢ ـ أخلاق العرب

إن العرب قلما كانوا يحتاجون إلى حاكم يفصل فى الخصومة بينهم لما فطروا عليه من المناقب الجميلة التى تقوم فيهم مقام الحاكم الصارم وتنزههم عن ارتكاب الدنايا مما يغنيهم عن القضاء والحكومة ، إنما تقضى بين الذين لا يعرفون الوفاء ، وكان الوفاء متمكناً فى خلق العربى ، ويزيد تمكناً فيه كلما بعد عن المدن وأوغل فى الصحراء ، لأن الغدر والنكث لا يعيشان إلا فى القصور الشماء ، فى ظلّ الحدائق الغناء ، وترى الوفاء مطبوعاً فى أقوال أهل البادية وأشعارهم وأمثالهم ، ويتجلى فى عاداتهم وأخلاقهم ، وفى سائر أعمالهم ، وهو فيهم سجية ، وفى سواهم تصنعٌ وتكاف .

١٢٣ ـ العالم السماوى

مضى على الإنسان حين من الدهر ، وهو يظنّ أن عالم الكون يتركب كله من شمسه وما يدور حولها من كواكب سيارة ، وأن بقية النجوم ليست إلا مصابيح تتلألأ فى الظلام

فترين السماء ، أما اليوم فقد دلت الأرصاد على أن بين تلك المصابيح السماوية ، ما هو أعظم من الشمس بأمثال الأمثـال ، وجميعها أجرام عظيمة تتحرك فى الفضاء بقـدر معلوم ، وما فلك شمسنا بما يدور حولها من كواكب سيارة إلا فلك صغير ، من عـدة أفلاك واسعة ذات شموس عظيمة ، لا تقاس شمسنا بالنسبة إليها بشىء مّا ، وما أرضنا هذه التى نقطنها الاذرة غبارة فى عالم الأفلاك فسبحان الخالق العظيم .

١٢٤ — مثل الأمة

الأمة كالجيش ، ترى فيه القائد والطبيب والمهندس والمعمارى والميكانيكى والموسيقى والامام وغيرهم ، وكلهم يشعر بواجب واحد هو خدمة بلادهم وتضحية نفوسهم من أجل وطنهم ، ولـكن كل فرد منهم عليه واجب خاص قد فرض عليه القيام به خـير قيام ، فالقائد يقود الجند إلى النصر والظفر ، والطبيب يداوى المرضى والجرحى ، والمهندس يرسم طريق عبور الأنهار وصعود الجبـال ، والمعمارى يبنى القلاع

والحصون ، والميكانيكى يصلح البنادق والمدافع ، والموسيقى يبث فى الجند بسحر نغماته روح الشجاعة والاقدام ، وينسيهم متاعب الحرب وعناءها ، والامام يصلى بهم شكراً لله على ما توجهم به من النصر ، فإذا خلا الجيش من أحد من هؤلاء كان ناقصاً معيباً فاقداً لركن من أركان قوّته .

١٢٥ — وصف مصر

مصر : هى بلادنا المحبوبة ، ووطننا العزيز ، تقع فى الشمال الشرقى من أفرقية ، بين البحر الأبيض المتوسط شمالا ، والسودان جنوباً والبحر الأحمر وبلاد الشام شرقا والصحراء الليبية غرباً ، وهى من أخصب البلاد أرضاً ، وأصفاها سماء ، وأعذبها ماء ، وأجودها هواء ، وألطفها سكاناً ، وأكثرها قطانا ، يقصدها الناس من كل ناحية ، ويؤمّونها من البلاد النائية ، قد اشتملت على أبهج المناظر ، وأبدع المساكن ، وأجمل القصور ، وأحسن الدور ، بها آثار من دخلوها متعاقبين ، وعاديات من ملكوها متتابعين . كالأهرام العظيمة ،

والتماثيل الهائلة ؛ من بقايا الفراعنة والصور والنقوش والتماثيل والمبانى والمساجد .

وللنيل الفضل الأكبر ، والنصيب الأوفر ، فى حياة مصر وهنائها ورفاهتها وسعادتها ، فهى هبة منه ، نعمة صادرة عنه .

١٢٦ - الصناعة

هى أصل من أصول التقدم ، وعامل من عوامل النجاح وسبيل إلى الغنى والثروة ؛ اللتين بهما تحسن حال الأمة ؛ ويرق شأنها ؛ ويعز سلطانها ، ولذا مالت إليها الأمم المتمدينة ميلا عظيما ، وتعلقت بها تعلقاً كبيراً . فتوطدت بها دعائم دولتها وازدادت عظمتها . وظهر منها النجار . والبناء . والحداد . والفلاح . والنساج . وصانع الآلات والأدوات . وغير أولئك ممن أعزوا بلادهم . وقدموا أمتهم . ونالوا عزّ الدهر .

وإن الصناع والعمال هم الذين أوصلوا أمتهم إلى زروة الحضارة وينابيع الغنى والثروة وأغلبهم من العامة وأكثرهم من السوقة . ولكنهم جدوا واجتهدوا حتى أفادوا الناس وزادوا راحة البشر

فإن طعامنا وكسوتنا ، وأثاث منازلنا والمصابيح التى ننير بها بيوتنا وطرقاتنا و الآلات البخارية التى نركبها براً وبحراً وغير ذلك مما لا يزال العالم ولن يزال يجتنى من ثماره ، ويقتطف من أزهاره ما يسد به حاجته وينال مقصده ، كل ذلك نتيجة أعمالهم ، وثمرة أتعابهم ، وغاية اجتهادهم ، فهؤلاء هم الذين أسسوا أركان التمدين والحضارة ، وعملهم هذا لا يعد ضئيلا أمام عمل الجنود ؛ بل هو أحسن مغبة ، وأفضل خاتمة ، وأعظم جهاداً فى سبيل رقى الأمة والبلاد .

١٢٧ — التجارة

هى : ركن من أركان الحضارة ، وأصل من أصول التقدم ، بها ترقى الصناعة ، وتتقدم الزراعة ، ويظهر أهل الجد والنشاط والسعى والاجتهاد ، ويصنع الصانع فيجد من ينتفع بمصنوعاته شرقاً وغرباً ، ويزرع الزارع فيرى من يستفيد من مزروعاته فى بلاده ؛ وفى غير بلاده ؛ فيزداد الصانع نشاطا وقوة ؛ والزارع جدًّا وسعيا ، فيعم الخير والهناء جميع الناس .

ليست كل أرض تقوم بحاجات أهلها ؛ وقلما تتوفر فيها موارد الحياة ، فمن الواجب أن يتبادل الناس فيأخذ كلٌ ما يفتقر إليه من الآخر : حتى يعيشوا فرحين مسرورين .

ولقد ازداد التعارف بالتجارة ، وتم التآلف والتعاون ؛ وانفتح للناس باب أصولهم إلى كل خير وسعادة فلولاها ما أنشئت تلك السفن التى تمخر عباب البحار ، ولا هذه القطر التى تجوب أطراف البلاد ، فتنقل البضائع من الغرب إلى الشرق ، والمزروعات من الشرق إلى الغرب ، ولا انتفع جمال ، ولا نقال ، ولا رقت صناعة ولا نمت زراعة ، ولعاش كثير من الناس فى بؤس وشقاء .

وإن الأمم العظيمة الآن تتنافس وتتسابق فى التجارة ، فإن عقدت عهود فمن أجلها ، وإن أبرمت شروط فلها ، وإن حصل خصام أو نزاع فبسببها ، ذلك لأنها أقرب طريق إلى سعادة الأمة ورقيها ؛ وازدياد ثروتها وتقدمها على غيرها . لذلك اعتنوا بها ، وفتحوا لها المدارس ، فأخرجت أناسا ارتقوا بأمتهم إلى ذروة السعادة والخير .

والأمانة والنزاهة والاستقامة والعدالة والصدق وترك الغش

كل هـــذه أوصاف يجب أن يتحلى بها التاجر حتى يكسب ثقة الناس فيربح مالا وصداقة وثروة ومودة ، ويحسن ذكره ، وتحمد ســيرته ، وإن ذلك لهو الربح العظيم ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

١٢٨ ـ الزراعة

هى الوسيلة العظمى ، والسبب الأقوى فى بقاء الانسان والحيوان ، وعيشتها فى هذه الحياة ، إذ منها يكون الغذاء والسكن واللباس والأثاث والمتاع ، وكل خير وهناء .

ترى الأرض هامدة (١) لازرع فيها ، ولا نبات ، فإذا أرواها الزارع بجده ونشاطه ، بعد فلحها وإلقاء البذر بها ، اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج (٢) بهيج (٣) فيجنى منها غذاءه وغذاء أهله وحيوانه ، ثم يدخر ماشاء ، ويبيع ما شاء فيفيد نفسه ويفيد الناس منه ويغنيها ويغنى أمته متى كان عاقلا مدبراً ، لا مسرفا مبذراً .

ولعلو شأن الزراعة وعظم نفعها اعتنت الأمم المتحضرة بها

(١) هامدة يابسة وساكنة (٢) زوج يقال للاثنين زوجان وزوج بهيج حسن .

فأنشأت لها المدارس ، وأقامت لها المعارض ، وكافأت النابغين فيهـــا ، وأصلحت من طرق الرى وبنت القنـاطر والجسور ، وحفرت الترع والمصارف ، وغير ذلك مما عاد عليها ، وعلى الناس بالخير والسعادة والغنى والثروة ، وهذا جزاء العاملين . وإنها لجديرة بكل ذلك .

فمنها الأقوات والادوية والروائح الزكية ، والعيدان العطرية والفواكه والملابس والوقود والخشب الذى تصنع منه السفن وتسقف به المساكن ، وتعمل منه الأبواب والنوافذ وغيرها ، كل ذلك من نتائج الزراعة ومن ثمرها ، فهى من أعظم الوسائل لرقى البلاد وسعادتها وتقدمها وعلو شأنها متى ادرع القائمون بهـا بالاقتصاد ، وابتعدوا عن الدين والاسراف ، هدى الله الناس الى سواء السبيل .

١٢٩ — تلاميذى

أنتم رجال الغد ، وموضع الآمال ، ومن ستكون بيدهم مقاليد الأمور والاعمال ، فيكون منكم الوزير ، والأمير ، والرئيس ،

والكبير ، والعالم ، والحكيم ، والمهندس ، والطبيب ، والمعلم ، والمربي فتصبحون وبيدكم مفتاح الخير ، والسعادة لكم ، ولأمتكم ، وبلادكم فكونوا خير خلف ، لخير سلف ، كونوا رجالا عاملين أعزة ، كونوا أمناء ، كونوا عادلين ، تجملوا بالآداب كللوا أنفسكم بمكارم الأخلاق :

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

كونوا بين الناس ضياء ونوراً ، ومصدر كل خير وكمال ، كى يقتدوا بكم ويهتدوا بنوركم ، ويكونوا لكم عوناً وناصراً ، يستمعون قولكم ويطيعون أمركم ، ابتعدوا عن الكبر فانه ممقوت ، تجنبوه فإنه من أقبح الرذائل ، فارقوه وانفروا منه ، فإنه لن يفيد صاحبه غير الامتهان والإحتقار ، حافظوا على وقتكم ، لا تصرفوه فى غير مفيد لا تهملوه يضيع سدى ، فهو محسوب عليكم ، وما هو إلا عمركم ، فإن أنتم ملأتموه بالخيرات ، كان لكم ذكراً حسناً ، وفخراً دائماً ، وإن أنتم أضعتموه فيما لا يفيدكم وينفعكم ، كان شاهداً عليكم بين يدى خلفكم ، وذلك ما لا ينتظر منكم ، إن وقت الشباب هو وقت العمل ، وقت الشباب هو وقت بناء المستقبل الحسن ، وقت

الشباب هو وقت السعادة الأبدية ، فادخروا من شبابكم لهرمكم ومن صحتكم لمرضكم ومن قوتكم لضعفكم ، واعملوا لسعادتكم ، وخيركم فى هذا الزمن الذى سيندم عليه الكسول ، ويتمنى رجوعه الخامل ، وذلك ما لا يكون أبداً .

نافسوا فى المكارم ، أحيوا الخير تجنبوا الشر ، كونوا إخواناً عاملين على نجاحكم ونجاح أمتكم وبلادكم « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب » .

١٣٠ ـ المستشفيات

هى من أهم ما تحتاج إليه الأمم لحفظ صحة أفرادها من غوائل الأمراض ، وطوارىء العلل التى يتعرض إليها الإنسان بطبيعة جسمه وحوادث الجوّ ، ولذلك اعتنت الحكومات الراقية وكثير من ذوى البر والإحسان بتشييدها فى أماكن مستجمعة لشرائط الصحة ، واستحضروا بها أنفس العدد وأدق الأدوات وعينوا بها مهرة الأطباء

وخيرة السيدات الممرضات ، ذوات الشفقة والحنان .

فأنقذت العامة من مخالب الأدواء والمهالك التى طالما فتكت بهم وهم لايستطيعون ردها باحضار الأطباء وشراء مايلزم من الدواء ، فلحق بأولادهم ومن يعولون من نكد العيش ما تذوب له القلوب ، وتقشعر منه الأبدان ، أزالت المستشفيات تلك النكبات ، فيجاء بالمريض إليها ويفحص داؤه ، ويعطى دواءه ويرتب له مايلائمه من الغذاء ، ويطوف به الطبيب صباح مساء ، والخدم والممرضات من حوله يلبون نداءه ، ويراقبون أخطار دائه ويظل كذلك حتى يبل من مرضه ، ويخلص من علله ، بلا أجر إن ثبت قصور ذات يده ، وإلا فبأجر زهيد لايكاد يذكر بجانب ما أنفق لاجله ، وقد أعدت بها أماكن للأغنياء والأواسط فى مقابلة أجر معلوم ، يوفر عليهم ما كانوا يصرفونه فى بيوتهم من طائل الأموال فى استحضار الأطباء وأصناف الدواء مع عدم توفر طرق الاسعاف بالمنازل .

فما ظنك بتلك الأماكن التى حفظت النفوس فى أجسامها وردت جيوش الأمراض على أعقابها ؟

١٣١ – التقليد

التقليد : غريزة أودعها الله — جل شأنه — فى نفس الإنسان لتكون داعية العمل ، ورائد الرقى ، ومبعث الحركة ، ومطلع شموس المدنية والعمران .

يولد الطفل وهو لا يعلم شيئاً من شئون الحياة : فتراه مولعاً بتقليد أمه وأبيه وسائر ما يقع تحت حواسه من حسن أو قبيح ، فجدير بالإنسان أن يصرف تلك الغريزة إلى النافع من الأشياء ، ويجعلها وصلة بينه وبين أعاظم الرجال ، فيقلدهم فى ما أتوه من جليل الأعمال ، فان شاء فليكن مرشداً حكيما ، أو قائداً عظيما ، أو صانعاً متقنا ، أو زارعاً محسباً ، أوطبيباً ماهراً ، أو أصولياً بارعاً ، أو جنديا مدافعاً ، أو تاجراً أمينا ، أو مخترعاً مفيداً ، أو سائحاً مستطلعاً ، أو قاضياً عادلا ، أو وزيراً نصيحاً ، أو خطيباً فصيحاً محبًّا لوطنه فى كل ذلك غيورا عليه ،

فانه إن فعل ذلك علم مقدار نفسه فى الوجود ، وقلد تقليداً نافعاً واستفاد وأفاد .

وإن أضاع تلك الهبة النفيسة ، وقلد تقليد الغراب ، وكان

كمن اغتر بالسراب ، وبهره حسن المنظر ، فشغله عن سوء المخبر وصار يخبط فى أموره خبط عشواء لا يميز بين السرّاء والضرّاء فذلك الذى رجع بصفقة المغبون ، وضل ضلال المفتون .

١٣٢ ــ المكافآت

جبلت النفوس على حب المحمدة والثناء ، ونيل الجزاء العاجل أو الآجل ، علِم جلّ شأنه منها ذلك ، ووعدها عشرة الأمثال والأضعاف المضاعفة مثوبة[١] منه تعالى على إسداء[٢] الخير وفعل البرّ[٣] وكل صالح يعود بالفائدة على الفرد أو الجماعة أو عامة بنى الإنسان ، ونهج[٤] ذلك النهج[٥] ساسة الأمم ، الناهضون بها ورؤساء المصالح فمنحوا[٦] المجيدين المكافآت وحلوا صدور النابغين فى أعمالهم بالأوسمة وشارات[٧] الشرف ، وميزوا الناجحين بأنواع الشهادات فكان لذلك الأثر الصالح فى إنهاض العزائم وترقية الأمم والإجادة فى الصنائع والتسابق فى ميدان الابتكار والاختراع .

---

(١) جزاء (٢) إعطاء (٣) الاحسان (٤) سلك
(٥) الطريق (٦) أعطوا (٧) علامات .

ألم تر إلى الملأ من الأمم الراقية يجعلون الآلاف من النقود لمن ينبغ فى عمل من الأعمال التى لم تكن قد دخلت تحت قدرة مخلوق من قبل ؟ فينبرى من بينهم المنافسون والسباقون إلى أبعد الغايات فيحوز أحدهم قصب السبق ، فيرجع برفيع الذكر وسابغ اليسر .

١٣٣ — المعارض

هى مظاهر أعمال الأمم ، وبراهين تفاوت الهمم ، ومشارق أنوار الاختراع ، ومجامع أحاسن المصنوعات ، ونظام نفائس المبتكرات ، تختلف باختلاف الأمم وتباين محصولاتهم ومبلغ علومهم وتفاوت مداركهم وميلهم إلى جليل الأعمال وعظيم الآمال .

فالأمة التى قدر رزقها الله بسطة فى المواد الصناعية واشتملت طبقات أرضها على أصناف المعادن وأعملت فكرها وبذلت جهدها فى سبيل الانتفاع بتلك المكنونات ، تريك فى معارضها من المصنوعات ما يأخذ بألباب الناظرين ، ويستهوى عقول الناقدين ، ويستدر عبارات الشاكرين ، ونجلى لك العقل الانسانى فى علو درجاته ومديد سبحاته .
والأمة التى قد منحها الله ثرى طيبا ، وسقيا نافعا ، وشكرت أنعم الله

عليها وقامت بعمارة أرضها واستثمرتها بأنواع الزرع ، تعرض عليك من مزروعاتها ما ينشرح له صدرك ، وينتعش به لبك ، وترى فى معارضها من وسائل الزراعة وأدواتها ما تستعين به على الحرث والغرس ، وما ترفع به ماء الآبار ، وما تدبره مياه الأنهار .

١٣٤ — جمعية الإسعاف

لا نرى أثراً حسناً أدلّ على رحمة الانسان من تلك الجمعية التى عرف رجالها موضع الحاجة فسدوه ، ومكان الداء فعالجوه ، رأوا المدن المائجة بالناس كالقاهرة مثلا تغدو فيها السيارات ، وتروح مراكب الكهرباء ، وبين ذلك تقع الأقدار ويصاب كثير من السابلة بصدمات هذه السيارات ، فكانت الحاجة ماسة إلى إسعاف هؤلاء بتضميد جراحهم ونقلهم إلى المستشفيات ، ولقد نهض رجال الاسعاف بعبء ذلك العمل وقاموا به خير قيام .

تحدث الحادثة فما نلبث أن نرى رجلا من رجال الاسعاف قد أقبل ينهب الأرض بدراجته ، وسرعان ما يقوم بتضميد المصاب ثم يمهده ذلك المهاد الوطىء الذى لا يحس فيه بألم ، ولا تزعجه حركة يسير به إلى المستشفى .

وإن تعجب فعجب ما يأتيه رجال هذه الجماعة من النشاط الذى يصورهم فى عين الرائى كأنهم ملائكة الرحمة ، يراقبون الحوادث حتى إذا وقعت حادثة كانوا بجانبها يخففون ويلانها ويهونون ألمها ، جزاهم الله خيراً ، وأثابهم مغفرة وأجراً .

وفى هذا القدر من الأمثلة والتمرينات كفاية ، وهداية لطلبة « علم رسم الحروف العربية » فقد بذلنا مجهودات عظيمة فى تذليل قواعد هذا الفن وتقريبها إلى طريقة مثلى ملائمة لروح التعليم الحديثة والأنظمة العصرية الجديدة بعناية وتوفيق رب العالمين ،

وبركة رسوله سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه

أجمعين ـ آمـــين



صفحة

صفحة

صفحة

(تمت ولله الحمد بدءا وختاما)

